الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر- باتنة-
كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية
قسم أصول الدين

نيابة العمادة لما بعد التدرج والبحث العلمي والعلاقات الخارجية

عنوان البحث:

قواعد التفسير بين التنظير والتطبيق عند الشيخ: عبد الرحمن بن ناصر السعدي

"القواعد الحسان " و "تيسير الكريم الرحمن " - نموذجا -

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية

تخصص: كتاب وسنة

إعداد الطالب:
هشام شوقي

إشراف الدكتور:
منصور كافي

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	مؤسسة العمل	الصفة في اللجنة
أ.د عبد الحليم بوزيد	أستاذ التعليم العالي	جامعة الحاج لخضر – باتنة–	رئيسا
أ.د منصور كافي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الحاج لخضر – باتنة–	مشرفا ومقررا
د. أحمد عقون	أستاذ محاضر	جامعة الحاج لخضر – باتنة–	عضوا
أ.د نصر سلمان	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة –	عضوا

السنة الجامعية: 1430/1431هـ
2009/2010 م

بسم الله الرحمان الرحيم

* إهـــــــــداء *

أهدي هذه الرسالة إلى أعز من أملك في هذه الدنيا، والديّ الحبيبين- حفظهما الله - الذين كانا نعم الوالدان طيلة مسيرتي الدراسية واليومية: أمّي الغالية: حياة، أحياها الله في طاعته وتوفاها على دينه، وأبي العزيز: عمر، عمّر الله حياته بالطاعات وأعمال الخير وتوفاه على الشهادة في سبيله –آمين- .

كما أهديها إلى جميع أشقائي الأعزّاء: الأستاذ: سمير- وفّقه الله لإتمام رسالة الدكتوراه-، وزكرياء- وفقه الله في دراسته- ، وإبتسام - رزقفها الله زوجا وذرية صالحين - ، وزين الدين - وفقه الله في دراسته - .

كما أهديها إلى جميع أفراد عائلتي من أعمام وأخوال وأخصّ منهم ابن خالي بلال وخالي النوري وابنه الكتكوت "هيثم" وضحى وعمّي عبد الوهّاب وغيرهم .

كما أهديها إلى جميع أصدقائي: عبد الوهاب،قدور، مراد، فؤاد، حمزة، شريف بن ضياف، وكمال... إلخ .

وإلى كلّ مسلم ومحب للعلم وأهله .

شكـــــر وتقديـــــر

الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذه الرسالة، التي أسأل الله أن يجعلها مباركة ونافعة لي ولمن قرأها –آمين– ثم عملا بما رواه أبو داود عن أبي هريرة–رضي الله عنه– أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال:

«لا يشكر الله من لا يشكر الناس»

فإنني أتقدّم بخالص الشكر وأعزّه، إلى فضيلة شيخي وأستاذي الدكتور: منصور كافي، الذي تحمّل عناء الإشراف على طالب مبتدئ –مثلي– في البحث العلمي، وأسأله تعالى أن يجعله منارة علم يستضيء بها طلبته وأن يجازيه خير الجزاء .

وأشكر أيضا إدارة مكتبة كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية الحاج الأخضر – باتنة – وعمّالها ، وكذلك عمال مكتبة أحمد عروة بجامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة – .

كما أشكر أساتذتي الأفاضل الأكارم: أعضاء لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور: عبد الحليم بوزيد، والأستاذ الدكتور: نصر سلمان، والدكتور: أحمد عقون، على جهدهم الذي بذلوه في قراءة هذا البحث وتصويبه .

والشكر موصول لجميع من أعانني على إنجاز هذا البحث من الأساتذة الأكارم والزملاء الأفاضل الذين شجعوني على إتمام الرسالة وتقديمها للمناقشة .

وأسأل الله تعالى أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم .

مقدمة

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ـصلى الله عليه وسلمـ أما بعد:

فإن القران الكريم كتاب بحرُه عميقٌ وفهمه دقيق وخزائنه ملأى، لا يصل إلى استخراج كنوزه واستنباط جواهره إلا من تبحّر في العلوم وعامل الله تعالى بتقواه في سره وعلانيته وتفكر فيه بدقة، فإنه حينئذ تفتح له أبواب واسعة في فهم المراد من كلام الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ** ﴾ **[القمر:17]** ومن هنا تظهر الحاجة إلى علم التفسير الذي يعدّ أجلّ العلوم وأشرفها على الإطلاق، وشرف العلم إنما يعرف بمعرفة موضوعه، ولما كان موضوع علم التفسير هو بيان المراد من كلام الله، كان أفضل العلوم -كما ذكر ذلك الإمام السيوطي- ، ولكن هذا الشرف لا يناله إلا من كانت له أهلية للكلام في هذا العلم. وفي مقابل الشرف المذكور يأتي الخطر والوعيد الشديدين للمتكلم فيه بغير علم -كيف لا ؟ - وقد قال أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- : "أيّ سماء تظلني وأيّ أرض تقلّني إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم ".

من أجل ذلك كلّه كان لابدّ أن يكون عند المفسر كلّيات وأصول يرجع إليها عند الكلام في التفسير وهي ما يعرف بـــ "قواعد التفسير" ، ولا يخفى على كل ذي لبّ ما لقواعد التفسير من أهمية بالغة، لكونها هي التي تضبط الأقوال وتعصم من التخليط فيها، قال الشيخ بن سعدي في بيان أهمية معرفة قواعد العلوم وكلّياتها -عموما- : "لابدّ أن يكون مع الإنسان أصولٌ كلية يردّ إليها الجزئيات ليتكلّم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت، وإلاّ فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات وجهل وظلم في الكلّيات، فيتولد عن ذلك فساد عظيم"[1] , ولا شكّ أنّ علم "قواعد التفسير" داخل في باب قواعد العلوم وكلّياتها، لأنّ تلك القواعد هي المستند الذي يستند إليه المفسّر أثناء تفسيره، وهذا العلم وإن كان علم وسيلة فإن تعلّمه يعد فرض كفاية على الأمة، وفرض عين على من أراد تفسير كتاب الله تعالى،

[1] ـــ حصول المأمول بترتيب طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد المنوّعة والضوابط والأصول، رتّبها: نادر بن سعيد آل مبارك، ط 1، سنة 1424هـ/2003م، دار بن حزم، ص 318 .

وقد أدرك هذا الأمر جِلّة من العلماء الأفذاذ، فاهتموا به سواء بالتأليف فيه نظريّا أو بتطـــــبيق هذه القواعد مباشرة في تفاسيرهم .

ومن هؤلاء العلماء الذين اهتموا بهذا العلم: الشيخ عبد الرحمان بن سعدي، حيث ألّف عـــدة مؤلفات متعلقة بتفسير القرآن الكريم، منها كتاب: "القواعد الحسان" وكتاب: "تيســـير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان" ، والقارئ لهذين الكتابين يتبيّن له بوضوح أن علم التفسير قـــد نضج في فكر الشيخ نضجا كبيرا وذلك تنظيرا وتطبيقا له، لذلك رغبت في معرفة هذا العَلـــم الفذّ ومعرفة الكلّيات والقواعد التي اعتمد عليها في تفسيره لكتاب الله، فتقدّمت بهذا البحـــث المتمثل في بيان حقيقة علم قواعد التفسير عنده تنظيرا وتطبيقا من خلال الكتابين المـــذكورين، وسوف أذكر فيما يلي عدة نقاط تعرّف بهذا الموضوع وتزيل الإشكال عنه، وهي كما يلي:

أولا: التعريف بالموضوع:

الشيخ بن سعدي من العلماء المعاصرين المبرّزين في علم التفسير، ولا أَدَلّ على ذلك من مؤلفاته المتنوعة التي تتعلق بتفسير كتاب الله تعالى، حيث إنّه فسّر القرآن كاملا في كتابٍ سمّاه "تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان" وكتب كتابا في قواعد التفسير سمّاه "القواعد الحسان لتفسير القرآن" وكتابا في التفسير الموضوعي سمّاه "تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن" وبعض الرسائل التي تتضمن فوائد وفرائد مستنبطة من الآيات القرآنية، مثل رسالة "فوائد مستنبطة من قصّة يوسف" ورسالة "المواهب الربانية من الآيات القرآنية" وغير ذلك من المؤلّفات المتعلقة بالقرآن الكريم، والذي يهمّنا من هذه المؤلفات في هذا البحث هما كتابَا:

"القواعد الحسان لتفسير القرآن" و "تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنـــان" حيـــث إنّ الأوّل منهما ألّفه الشيخ في الجانب النظري لعلم التفسير لأنه متعلق بالقواعد الـــتي يحتاجهـــا المفسّر، والثاني منهما ألّفه في الجانب التطبيقي لعلم التفسير لأنّه فسّر فيه القرآن كاملا فأردت أن أبحث في قواعد التفسير عند الشيخ بن سعدي تنظيرا وتطبيقا وذلك مـــن خلال الكتـــابين المذكورين،دون غيرهما من كتب الشيخ.

ثانيا: عنوان البحث:

لقد اخترت وبعد المشاورة أن يكون عنوان هذا البحث هو: "قواعـــد التفســـير بين التنظير والتطبيق عند الشيخ عبد الرحمان بن ناصر سعدي "القواعد الحسان " و "تيسير الكريم الرحمان" – نموذجا– " ومن خلال هذا العنوان يتبين لنا أن البحث يتركب من: شقين رئيسين هما:

- الشقّ النظري للبحث: ويشتمل على دراسة للقواعد التي نظّر لها الشيخ .
- والشقّ التطبيقي: ويشتمل على تتبّع تطبيقات الشيخ لهذه القواعد في تفسيره وطرق تطبيقها .

وشق فرعي وهو: ترجمة للشيخ عبد الرحمان بن ناصر السعدي .

ثالثا: أهمية البحث:

لاشك أن لقواعد التفسير أهمية بالغة في فهم كلام الله تعالى -كيف لا- ؟ وهي القواعد التي إذا غابت عن تفسير ما، فإنه يصبح كلاما إنشائيا خاليا من التقعيد والتأصيل لم يُبْنَ على أسس متينة، والمتفحص لكتب التفسير يتبين له هذا الأمر بوضوح، فإن المفسّرين الذين أهملوا هذه القواعد كانت تفاسيرهم عُرضة للنقد والانتقاص من غيرهم لأنهم لم يبيّنوا مستندهم في أقوالهم واستنباطاتهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن بعض المفسّرين للقرآن الكريم حفظوا هذه القواعد ولكنهم لم يفهموها حقّ الفهم و لم يعرفوا ما هي المواضع التي تطبّق فيها، فلما أقبلوا على تفسير القرآن الكريم خلّطوا وبعثروا هذه القواعد وطبّقوها في غير مواضعها فخرجوا بأقوال شاذة وآراء بعيدة كل البعد عن أقوال المفسرين من السلف والخلف، فتهاطلت عليهم ردود العلماء بالنقد والانتقاص فلحقهم الضرر في أنفسهم وألحقوا الضرر بأمّتهم بسبب أقوالهم الشاذة الغريبة . من كلّ هذا تأتي أهمّية الكتابة في هذا الموضوع، وأوجزها في النقاط الآتية:

1- تعلّقه بكتاب الله الذي هو أشرف كتاب، وتعلقه بعلم التفسير الذي هو أشرف علم .
2- معرفة عَلَم من الأعلام الأفذاذ المعاصرين، ومعرفة تراثه الذي خلّفه لهذه الأمّة .
3- معرفة بعض المقدّمات المهمّة التي يحتاج إليها من أراد معرفة علم "قواعد التفسير" .
4- إبراز جملة أو طائفة من قواعد التفسير، وضوابط تطبيقها على الآيات القرآنية، ومعرفة أدلّتها وبعض المسائل الفرعية المتعلقة بها .
5- التعرف على كتابين من الكتب التي بسط الله لها القبول، ومعرفة منهج المؤلف فيهما .
6- التدرّب والتمرّن على كيفية تطبيق قواعد التفسير على الآيات القرآنية عند مفسّر متمكّن في هذا المجال، وذلك ليحتذي حذوه من أراد تفسير كلام الله تعالى .

رابعا: إشكالية البحث:

إن الناظر إلى عنوان البحث يجد نفسه ملزما بأن يجيب عن مجموعة من الأسئلة هي كمايلي:

1- ما هي المقدّمات الأوّلية التي يحتاج إليها من أراد الولوج في تفاصيل مسائل علم "قواعد التفسير" ، وهل هو علم نضج حقا؟ أو هو علم مازال في بدايات نشأته ؟ .

2- هل جميع القواعد التي ذكرها الشيخ بن سعدي في كتابه "القواعد الحسان" تعتبر قواعد في التفسير حقا؟ أو أن منها ما هو قواعد حقا ومنها ما هو كليّات وإرشادات قرآنية أدرجها الشيخ ضمن كتابه واعتبرها قواعد في التفسير، وما سبب ذلك ؟ .

3- وما مدى التزام الشيخ بتطبيق هذه القواعد في تفسيره ؟ . وما طرق تطبيقاته لها؟ .

4- وهل هناك قواعد طبّقها الشيخ في تفسيره و لم يذكرها في كتاب "القواعد الحسان" أم لا ؟

كل هذه الأسئلة والإشكالات سيجد لها القارئ-إن شاء الله- جوابا في ثنايا البحث .

خامسا: أسباب اختيار هذا الموضوع ودوافعه:

هناك عدة أسباب ودوافع جعلتني أكتب في هذا الموضوع، ويمكن تقسيمها عموما إلى قسمين: دوافع ذاتية ودوافع موضوعية، وتفصيلها كالآتي:

أ - **الدوافع الذاتية:** وتتمثل فيما يلي:

1- الرغبة في الاهتمام بالتراث المعاصر والشّخصيات المعاصرة، والتعرّف على شخصية الشيخ ابن سعدي، وعلى المنهج الذي اتبعه في كتابيه "القواعد الحسان" و "تيسير الكريم الرحمان" .

2- أنني سمعت كثيرا من العلماء المعاصرين ينصحون طلبة العلم بقراءة هذا التفسير لأنه تفسير سهل العبارة واضح المعاني، ومن ذلك قول الشيخ محمد بن صالح العثيمين: "... فإن تفسير شيخنا عبد الرحمان بن ناصر السعدي –رحمه الله تعالى- المسمى (تيسير الكريم الرحمان) من أحسن التفاسير حيث كان له مميزات كثيرة... ومن أجل هذا أشير على كلّ مريد لاقتناء كتب التفسير أن لاتخلو مكتبته من هذا التفسير القيم" [2]، فلما قرأته وجدته كما وصفوه وزيادة، فشدّ الكتاب إعجابي، فأردت أن أكتب شيئا حول هذا التفسير، فكان هذا البحث بهذا العنوان ليحقق الغرض المذكور .

3- التدرّب على تطبيق قواعد التفسير على الآيات القرآنية، لأن هذه التطبيقات تُكسب الإنسان ملكة قوية يستطيع من خلالها تطبيق هذه القواعد على آيات قرآنية واستنباط الأحكام والفوائد .

ب - **الدوافع الموضوعية:** وتتمثل فيما يلي:

1- إنّ علم قواعد التفسير يعدّ من العلوم التي مازالت لم تنضج كل النّضج من الناحية النظرية، والبحوث العلمية التي كتبت حوله قليلة، فأردت أن أساهم فيه بجهد المقلّ .

---

[2]- تيسير الكريم الرحمان، ص 7 .

2- قلة البحوث الأكاديمية المتعلقة بعلم قواعد التفسير في الجامعات الجزائرية خصوصا وفي الجامعات الأخرى عموما .

3- عدم وجود -في حدود علمي- دراسة في الجامعات الجزائرية تتعلق بشخصية الشيخ بن سعدي وتفسيره، رغم شهرة هذا العَلَمِ وذيوع تفسيره بين الأقطار .

سادسا: أهداف البحث:

من خلال كلّ ما سبق تتبين لنا أهداف هذا البحث بوضوح، وهي كما يلي:

1- التعريف بالشيخ بن سعدي وبيان عقيدته ومذهبه الفقهي ومكانته العلمية... إلخ .

2- التعريف بكتابين من كتب الشيخ وهما "القواعد الحسان" و "تيسير الكريم الرحمان" وبيان منهجه فيهما وتقديم دراسة شاملة لهما .

3- بيان القواعد التي يصح أن يطلق عليها لفظ "قاعدة في التفسير" مما ذكره الشيخ بن سعدي في كتابه "القواعد الحسان"، لأنه ذكر في هذا الكتاب كلّيات وإرشادات قرآنية وقواعد فقهية وقواعد في التفسير، ثم أطلق على ذلك كلّه "قواعد في التفسير" وهذا أمر يحتاج إلى إعادة نظر وتمحيص .

4- معرفة مدى التزام الشيخ بتطبيق القواعد النظرية التي ذكرها .

5- تزويد المشتغل بعلم التفسير، بقواعد جديدة وتدريبه على كيفية تطبيقها على الآيات القرآنية .

6- بيان القواعد التي طبقها الشيخ في تفسيره و لم ينظّر لها في كتابه "القواعد الحسان" .

سابعا: الدراسات السابقة:

بعد البحث والتنقيب المتواضع الذي قمت به لمعرفة ما كُتب حول الشيخ بن سعدي من البحوث العلمية مما له علاقة بالموضوع الذي أبحث فيه، وجدت عدة بحوث لها صلة به من قريب أو بعيد، أهمها:

1- "قواعد التفسير-جمعا ودراسة- " للدكتور: خالد بن عثمان السبت، وهو أطروحة نال بها صاحبها درجة الدكتوراه، من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وقد طبع في مجلدين سنة 1426هـ، بدار بن عفان .

2- "الشيخ عبد الرحمان بن ناصر السعدي مفسرا" للباحث: عبد الله بن سايح الطيار، وهو بحث نال به صاحبه درجة الماجستير، بكلية أصول الدين بجامعة الإمام بن سعود الإسلامية، وقد طبع سنة 1421هـ، بدار بن الجوزي .

3- "قواعد الترجيح عند المفسرين بين النظرية والتطبيق" للدكتور: حسين الحربي، وهو بحث نال به صاحبه درجة الماجستير، بكلية أصول الدين بجامعة الإمام بن سعود الإسلامية، وقد طبع في مجلدين ، سنة 1429هـ، بدار القاسم .

4- "جهود الشيخ عبد الرحمان السعدي في العقيدة" للدكتور: عبد الرزاق البدر، وهو بحث نال به صاحبه درجة الماجستير،من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وقد طبع سنة: 1411هـ، بمكتبة الرشد.

5- "فقه الشيخ بن سعدي -رحمه الله- " للدكتور: عبد الله بن أحمد الطيار والدكتور: سليمان بن حمود أبا الخيل،ويظهر أنه بحث أكاديمي، وقد طبع سنة 1416هـ، بدار العاصمة .

هذه هي أهم البحوث التي اطّلعت عليها مما له علاقة ببحثي، وهناك بحوث أخرى تقرب وتبعد إليه بنسب متفاوتة .

وبعد الإطلاع والنظر في البحوث التي ذكرتها لمعرفة مدى صلتها ببحثي لاحظت عليها عدة ملاحظات هي:

- أن بعضها تكلّم على قواعد التفسير عموما، وفي ضمن ذلك تكلّم على كتاب "القواعد الحسان" للشيخ بن سعدي بصفته أحد المؤلفات في هذا العلم، وذلك مثل: قواعد التفسير-جمعا ودراسة- ،

وبحث "قواعد الترجيح عند المفسرين بين النظرية والتطبيق" . وهذا النوع من البحوث استفدت منه في الدراسة النظرية للقواعد التي ذكرها الشيخ .

- أن بعضها تكلّم على جهود الشيخ في مجال التفسير، مثل: بحث "الشيخ عبد الرحمان بن ناصر السعدي مفسرا" حيث تكلّم على كتب الشيخ في علم التفسير وبيّن منهجه فيها، لكنه لم يتطرق إلى قواعد التفسير عند الشيخ، وهذا النوع من البحوث استفدت منه في ترجمة الشيخ وفي بيان منهجه في تفسيره .

- أن بعضها تكلّم على الشيخ بن سعدي لكن في غير مجال التفسير، مثل: بحث "جهود الشيخ عبد الرحمان السعدي في العقيدة" لأنه يتكلم حول علم العقيدة عند الشيخ، وكذلك بحث "فقه الشيخ بن سعدي -رحمه الله- " لأنه يتكلّم حول الجانب الفقهي عند الشيخ، وهذا النوع من البحوث استفدت منه في ترجمة الشيخ فقط .

هذه هي أهم الملاحظات التي لاحظتها على البحوث المذكورة، مع بيان مدى الاستفادة من كلّ واحد منها -والله أعلم- .

ثامنا: المنهج المتبع في البحث:

لما كان البحث يتكون من جانبين: جانب نظري وجانب تطبيقي فإن البحث سيعتمد العديد من المناهج العلمية، وذلك بحسب ما يتضمنه من عناصر ومباحث، فعند الكلام على ترجمة الشيخ بن سعدي سوف يظهر المنهج التاريخي، وعند الكلام على المدخل العام لقواعد التفسير -بتعريفها وذكر المؤلفات فيها...إلخ - والكلام على كتابيه"القواعد الحسان" و "تيسير الكريم الرحمان" سوف يظهر المنهج الوصفي، وعند الكلام على قواعد التفسير عند الشيخ بن سعدي سيظهر المنهج المقارن لأنني سوف أتكلّم على هذه القواعد مبيّنا رأي الشيخ بن سعدي مقارنا بآراء غيره من العلماء، وعند الكلام على تطبيقات الشيخ لهذه القواعد في تفسيره سيظهر المنهج التحليلي .

هذا بالنسبة للمناهج العلمية العامّة التي اتبعتها في كتابة هذا البحث، وأما بالنسبة للمنهج التفصيلي الخاص بطريقة تحرير فصول البحث ومطالبه والهوامش والفهارس وغيرها، فسوف أذكر كلّ منهج في مَوْضِعه الخاص به، ليسهل على القارئ معرفة المنهج المتّبع في كل موضع بِحَسَبِه .

بقي أن أذكر المنهج الذي اتبعته في الأمور التي لا تختص بفصل أو مطلب دون غيره بل هي واردة في جميع الرسالة، وهي كالآتي:

أ- ما يتعلق بالتهميشات: وقد اتبعت في كتابة الهوامش الطريقة الآتية:

1- أذكر كلّ المعلومات الخاصة بالكتاب الذي أحيل إليه في أول مرة في البحث، ولا أعيد ذكر المعلومات في الإحالات الأخرى .

2- إذا أَحَلْت إلى الكتاب مرة ثانية فإنّي لا أذكر المعلومات الخاصة به بل أكتفي بذكر اسم الكتاب فقط والجزء والصفحة للمعلومة المأخوذة منه، إلاّ إن كان هناك كتاب لآخر له نفس الاسم فإنّي أذكر اسم الكتاب ومؤلِّفه لكي لا يشتبه الكتابان .

3- رتبت معلومات المصادر والمراجع كالآتي: أذكر أولا: اسم الكتاب ثم مؤلفه ثم محقق الكتاب-إن وجد- ثم رقم الطبعة ثم سنة الطبع ثم دار النشر ثم مكان النشر .

ب- ما يتعلق بالآيات القرآنية: وقد اتبعت فيها المنهج الآتي:

1- خرّجت الآيات القرآنية في متن الرسالة بعد الآية مباشرة، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية حتى لا تكثر الهوامش .

2- كتبت الآيات القرآنية برواية -حفص عن عاصم- لذلك فإن ترقيم الآيات يكون موافقا لها .

ج- ما يتعلق بالآحاديث النبوية: وقد اتبعت فيها المنهج الآتي:

1- خرّجت الأحاديث النبوية التي ذُكرت في الرسالة، فإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك عن ذكر درجته من حيث الصّحة والضّعف، وإذا لم يكن في أحـــدهما نقلت حكم العلماء عليه- صحة أو ضعفا - .

2- إذا ذكرت في تخريج الحديث حرف (ك) فمعناه الكتاب الذي ذُكِر فيه الحديث، وإذا ذكرت حرف (ب) فمعناه الباب الذي ذُكِر فيه الحديث .

د- ما يتعلق بتراجم الأعلام: وقد اتبعت فيها المنهج الآتي:

1- ترجمت لغالب الأعلام الذين وردت أسماؤهم في متن الرسالة غير مبال بشهرة العلم أو عدم شهرته .

2- الترجمة للعلم تكون في المرة الأولى التي أذكره في الرسالة فقط دون غيرها .

هذه هي أهم النقاط التي يمكن ذكرها في وصف المنهج الذي اتبعته في كتابة هـــذا البحـــث، وسوف يأتي مزيد بيان في موضعه -إن شاء الله- .

تاسعا: خطة البحث:

عنوان هذا البحث والأهداف التي يريد الباحث الوصول إليها يستلزم تقسيم خطة البحـــث إلى مقدمة وثلاثة فصول: فصل تمهيدي، وفصلين رئيسين وذلك وفق مايلي:

الفصل التمهيدي: وهو ترجمة للشيخ عبد الرحمان بن ناصر السعدي، وقد قسمته إلى مبحثين هما:

المبحث الأول: الحياة الشّخصية للشيخ عبد الرحمان بن ناصر السّعدي .

والمبحث الثاني: الحياة العلميّة للشيخ بن سعدي .

وكل مبحث منهما يحتوي على مطلبين وكلّ مطلب منها تندرج تحته فروع .

وأما الفصلان الرئيسان للبحث فهما:

الفصل الأول: القسم النظري للبحث . وقد قسمته إلى مبحثين هما:

المبحث الأول: مدخل عام لقواعد التفسير ودراسة تفصيلية لكتاب "القواعد الحسان" .

المبحث الثاني: دراسة نظرية لقواعد التفسير التي ذكرها الشيخ بن سعدي في كتابه "القواعد الحسان" .

وكل مبحث منهما يحتوي على مطلبين أو أكثر وكلّ مطلب تندرج تحته فروع .

الفصل الثاني: القسم التطبيقي للبحث . وقد قسمته إلى مبحثين هما:

المبحث الأول: دراسة تفصيلية لكتاب " تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان " .

المبحث الثاني: دراسة تطبيقية للقواعد التي ذكرها الشيخ في كتابه "القواعد الحسان" .

وكل مبحث منهما يحتوي على مطلبين أو أكثر وكلّ مطلب منها تندرج تحته فروع .

هذه هي خطة البحث التي يرجو الباحث من خلالها الوصول إلى أهدافه، بالإضافة إلى المقدمة التي هي تعريف عام بالموضوع، والخاتمة التي ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، والملحق: وفيه ذكر للقواعد التي طبقها الشيخ في تفسيره و لم يذكرها في كتابه "القواعد الحسان" وملخص للبحث باللغتين العربية والفرنسية،ثم جعلت فهرسة للبحث رتبتها كما يلي:

- فهرس الآيات القرآنية الكريمة .
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة .
- فهرس الأعلام المترجم لهم .
- قائمة المصادر والمراجع .
- فهرس المواضيع .

عاشرا: مصادر ومراجع البحث :

إن طبيعة البحث الذي أنجزته ألزمتني الرجوع إلى مصادر ومراجع في فنون مختلفة سواء للمؤلف نفسه أو لغيره من العلماء المتقدمين والمتأخرين، وهذا ما قمت به، فجاءت مصادر ومراجعه متنوعة،

كما يلي:

1 - **كتب في التفسير وقواعده وعلوم القرآن**، مثل: تيسير الكريم الرحمان والقواعد الحسان والإتقان والبرهان وغيرها .

2- **كتب في الفقه والأصول**، مثل: المختارا ت الجلية وشرح الكوكب والبحر المحيط والإحكام وإرشاد الفحول وغيرها .

3- **كتب في الحديث**، مثل: الكتب الستة وموطأ مالك ومسند أحمد وغيرها .

4- **كتب في التراجم والسير**، مثل: سير أعلام النبلاء وعلماء نجد خلال ثمانية قرون وغيرها .

5- **كتب في العقيدة والفرق**، مثل شرح القواعد المثلى وشروح العقيدة الطحاوية والواسطية وغيرهما .

6- **المعاجم والكتب اللغوية**، مثل: القاموس المحيط ولسان العرب وفقه اللغة وغيرها .

7- **كتب في اصطلاحات الفنون**، مثل الكليّات والتّعريفات وكشّاف لاصطلاحات الفنون .

8- **مراجع متنوعة من مجلات ومقالات ومواقع في الأنترنت...إلخ**، مثل: مجلة الجامعة الإسلامية ومقالات منشورة في ملتقى أهل التفسير وغيرها .

هذه هي أهم المصادر والمراجع التي استعنت بها بعد الله تعالى في إنجاز هذا البحث، وقد كان مقدار الاستفادة منها متفاوتا وموزعا على حسب الحاجة إليها .

حادي عشر: صعوبات البحث:

لقد اعترتني في أثناء إنجازي لهذا البحث عدة صعوبات، أذكر منها ما يلي:

1- قلة الباع العلمي الذي أخوض به مثل هذا البحث المركّز لتعلقه بالتّقعيد العلمي .

2- قلّة الدراسات الأكاديمية المتعلقة بعلم "قواعد التفسير" مما جعلني أجد صعوبة في تقسيم البحث وفي تحرير مبحث تطبيقات الشيخ للقواعد التي نظّر لها .

3- صعوبة الوقوف على بعض الكتب الأصول في ترجمة الشيخ بن سعدي، مما جعلني أرجع إلى بعض المراجع التي استقت من هذه الأصول .

4- عدم الاستقرار في تحديد بعض المصطلحات والمفاهيم الأساسية لعلم "قواعد التفسير" مما جعلني أجد صعوبة في التعامل مع الكتب التي أُلّفت في هذا العلم، وذلك لاختلاف مقاصد المؤلفين من بعض المصطلحات العلمية المتعلقة بعلم "قواعد التفسير" .

وفي الختام: أحمد الله تعالى وأشكره على نعمه وآلائه الكثيرة وعلى توفيقي لإتمام هذا البحث الذي أسأل الله تعالى أن ينفعني به وينفع جميع من قرأه، كما أشكر شيخي وأستاذي الدكتور: منصور كافي، على تحمله عناء ومشقة الإشراف على طالب مبتدئ في كتابة البحث العلمي -مثلي-، وأسأله تعالى أن يجعله منارة علم يستضيء بها طلبة العلم، ولا يسعني في هذا المقام إلاّ أن أقول له ما قاله الإمام الثعالبي (429هـ) لشيخه أبي الفضل عبيد الله الميكالي (436هـ)بعدما أعانه ووجّهه في تأليف كتابه "فقه اللغة" فقال له لما فرغ من تأليف الكتاب:

لاتنكرن إهداءنا لك منطقا * منك استفدنا حسنه ونظامه

فالله عز وجل يشكر فعل من * يتلو عليه وحيه وكلامه

و الله المـــوفق للـــصـــواب * وهذا حين سياقة الأبـــواب

وأشكر أيضا إدارة كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية -باتنة- كما أشكر أساتذتي الأفاضـــــل الأكارم: أعضاء لجنة المناقشة على جهدهم الذي بذلوه في قراءة هذا البحث، وأسأل الله تعالى أن ينفعني بملاحظاتهم وتصويباتهم وأن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم، كما أشكر جميـــع مـــن أعانني على إنجاز هذا البحث من داخل الجامعة وخارجها، وأسأل الله تعالى أن يجعل ذلـــك في ميزان حسناتهم .

الفصل التمهيدي

ترجمة للشيخ بن سعدي:

وقد قسّمت هذا الفصل إلى مبحثين هما:

المبحث الأول :

الحياة الشّخصية للشيخ عبد الرحمان بن ناصر السّعدي .

المبحث الأول :

الحياة العلمية للشيخ عبد الرحمان بن ناصر السّعدي .

المبحث الأول

الحياة الشّخصية للشيخ عبد الرحمان بن ناصر السّعدي

وسأتطرق في هذا المبحث إلى جوانب متعددة من حياة الشيخ بن ســـعدي الشخصـــية، وذلك من خلال مطلبين هما:

المطلب الأول: شخصية الشيخ بن سعدي وعائلته وظروف نشأته .

المطلب الثاني: صفات الشيخ بن سعدي .

المطلب الأول:

شخصية الشيخ بن سعدي وعائلته وظروف نشأته .

وسأتحدّث في هذا المطلب على جوانب عدة من شخصية الشيخ بن سعدي ونشأته، وذلك كما يلي:

الفرع الأول: اسمه ونسبه:

أما عن اسمه: فهو الشيخ عبد الرحمان بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن أحمد آل سعدي .

وأما عن نسبه:

- فمن جهة والده: فهو من أسرة آل سعدي وهم ينتمون في نسبهم إلى آل مفيد، الذين هم فخذ كبير يرجع أصلهم إلى بطن (آل حمّاد) وهم من بني العنبر من بني عمرو، أحد قبائل بني تميم الشهيرة، ومساكن بعض بني عمر بن تميم في بلدة قفار، إحدى القرى المجاورة لمدينة حائل عاصمة المقاطعة الشمالية من بلدان نجد، وقد قدمت أسرة آل سعدي من بلدة المستجدّة أحـــد البلدان المجاورة لمدينة حائل إلى عنيزة حوالي عام 1120هـــ[3] .

- ومن جهة والدته: فأخواله آل عثيمين المقيمين في عنيزة، وأجدادهم ثلاثة: عبد الله وسليمان ومحمد، أبناء عبد الرحمان بن عثمان الملقّب بـــ (عثيمين) فوالدة المترجم له هي فاطمة بنت عبد

---

[3]ـــ علماء نجد خلال ثمانية قرون، تأليف: عبد الله بن صالح آل بسام،ط 2،سنة 1419هـــ، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، ج 3 ص 218-219 .

الله بن عبد الرحمان بن عثمان، و لم يعقب عبد الله سوى والدة المترجم له، وأمّا سليمان ومحمد فذريتّهما في عنيزة، وقد قدم هؤلاء الإخوة الثلاثة من أشيقر إلى عنيزة [4] .

الفرع الثاني: مولده:

ولد الشيخ بن سعدي بعنيزة في اليوم الثاني عشر من شهر محرّم عام ألف وثلاثمائة وسبع للهجرة، على أنّه لم يختلف في عام ميلاده أحد ممّن ترجم له، أمّا يوم ولادته فلم يشر إليه إلاّ صاحب كتاب "سيرة العلامة الشيخ عبد الرحمان بن ناصر السعدي"[5] . وحين حملت به أمّه رأت في المنام كأنّها تبول من محراب المسجد الجامع، ففزعت لذلك فقصّت رؤياها على زوجها وكان عنده طرف من علم التعبير فقال لها: "إن صدقت رؤياك فستلدين غلاما يكون إماما في محراب المسجد الجامع، وكان الأمر كذلك"[6] .

الفرع الثالث: والداه ووفاتهما:

أما والد الشيخ بن سعدي: فهو الشيخ ناصر آل سعدي ولد في حدود سنة 1243هـ بعنيزة، ونشأ صالحا عابدا حافظا للقرآن محبا للعلم وأهله وإن لم يبلغ درجة كبارهم، فصار هو قارئ الوعظ المعتاد بعد صلاة العصر وقبل صلاة العشاء على جماعة الجامع الكبير حتى إمامة الشيخ علي آل محمد قاضي البلد، وصار الشيخ علي ينيبه في الإمامة وصلاة الجمعة والخطبة إذا طرأ له عذر، وبقي على هذه الحال مدة طويلة، وفي آخر حياته تولّى إمامة المسجد في عنيزة حتى **توفي** أواخر عام 1313هـ، وخلّف ثلاثة أبناء حمَد وهو أكبرهم وعبد الرحمان -صاحب الترجمة- وسليمان وهو أصغرهم، وكان عمر الشيخ السّعدي لما توفي والده سبع سنوات، وقد ذكر بعض المترجمين له أنّ عمره كان ثمان سنوات، وقال آخرون: كان عمره اثني عشرة سنة، وهذا كلّه غير مسلّم لأنّ عامّة من ترجموا له ذكروا أنّ عمره عند وفاة والده سبع سنوات ومن هؤلاء: ولده عبد الله وتلاميذه القريبون منه[7] .

---

[4] ـ علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج 3 ص 218-219 .

[5] ـ الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، تأليف: خير الدين الزركلي (ت: 1976م)، ط 1، سنة 1490هـ، دار الملايين، بيروت لبنان، ج 3 ص 340، والشيخ عبد الرحمان السّعدي مفسّرا، إعداد: عبد الله بن سابح الطيار، ط 1، سنة 1421هـ، دار بن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ص 16 .

[6] ـ علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج 3 ص 319 .

[7] ـ فقه الشيخ بن سعدي، تأليف: عبد الله بن الطيار وسليمان بن عبد الله أبا الخيل، ط 1، سنة 1416هـ/1996م ، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، ص 18 .

وأما والدة الشيخ: فلم أجد معلومات كثيرة حول ترجمتها، وأكثر ما وجدته أنها **توفيت** سنة 1310هـ وعُمْرُ الشيخ أربع سنوات[8] .

الفرع الرابع: كفالته:

لما توفي أبوي الشيخ بن سعدي عطفت عليه زوجة والده وكفلته وأحبّته أكثر من حبّها لأولادها فصار عندها موضع العناية والرّعاية، فلما شبّ صار في بيت أخيه الأكبر حمد بن ناصر، فنشأ نشأة صالحة كريمة، وكان والده قد وصّى به إلى ابنه الأكبر -حمد- فقام برعايته وتربيته خير قيام، وكان حمد رجلا صالحا من حملة القرآن ومن المعمّرين[9] .

الفرع الخامس: الحالة السّياسية للفترة التي نشأ فيها الشيخ بن سعدي:

إذا رجعنا إلى الوراء بمائة عام تقريبا وجدنا أنفسنا في العصر الذي ولد فيه الشيخ عبد الرحمان بن ناصر السعدي، وإذا ما بحثنا في الحالة السياسية لذلك العصر بالذّات، نجد أنّه عصر يضطرم بنيران الاضطرابات والقلاقل والفتن وتمزّق شمل الجزيرة العربيّة وانتشار الخوف والهلع في شتّى الجهات، ففي عام 1308هـ والشيخ بن سعدي لم يتجاوز الثانية من عمره، نجد أنّ محمد بن رشيد[10] حشد قوّاته من الحاضرة ومن بادية شمّر وعرب حرب وبني عبد الله وغيرهم، فزحف بهم لقتال أهل القصيم[11] وأهل القصيم قد استعدّوا لملاقاته، فالتقى الفريقان[12] فاقتتلا قتالا شديدا فكانت الهزيمة أوّلاً على ابن رشيد حيث تظاهر أمامهم بالهزيمة والانكسار حتى خرج أهل القصيم من مكانهم ومعاقلهم وتبعوا أثر المنهزمين، ولكن بن رشيد أعاد الكرة عليهم فانهزموا شرّ هزيمة، وقتل ابن رشيد معظمهم، واستولى على جميع أسلحتهم[13] .

---

[8] ـ إتحاف النبلاء بسير العلماء، تأليف: راشد بن عثمان الزهراني، ط 2، سنة 1418هـ/ 1997م، دار الصميعي، الرياض، ج 1 ص 43-44 .

[9] ـ تراجم لتسعة من الأعلام، تأليف: محمد بن إبراهيم الحمد، ط 1، سنة 1428هـ/2007م، دار بن خزيمة، المملكة العربية السعودية، الرياض، ص 225 .

[10] ـ محمد بن رشيد: هو أحد أمراء آل رشيد، الذين كانت عاصمة إمارتهم مدينة حائل، توفي سنة 1315هـ . انظر: الأعلام، ج 4 ص 244 .

[11] ـ القصيم: من أشهر مناطق نجد تجود بالزراعات على اختلافها من تين وخوخ وعنب... إلخ وهي في طريق الفواصل من مكة إلى العراق، يبلغ عدد قراها خمسين قرية، أهم مدنها بريدة وعنيزة . انظر: معجم البلدان، تأليف: ياقوت الحموي (ت: 662هـ)، تحقيق: عبد العزيز الحيدي، ط 1، سنة 1410هـ/1990م، دار الكتب العلمية، ج 4 ص 417 .

[12] ـ تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، تأليف: مديحة درويش، ط 1، سنة 1400هـ/1980م، دار الشروق، ص 17 .

[13] ـ المصدر نفسه، ص 64-67 .

ثم لم تزل الأحداث تتوالى بعد هذا الاحتلال وبقيت الحروب والاضطرابات بين آل سعود[14] وآل رشيد[15] منذ سنة 1308هـ إلى سنة 1321هـ وذلك أنّ عبد العزيز بن سعود أراد أن يستردّ القصيم، فكتب وهو على جلاجل -إحدى المدن- إلى الشيخ مبارك الصبّاح يطلب منه أن يرسل من كان عنده من أهل القصيم -وهم آل مهنا- أمراء بُريْدة، وآل سليم أمراء عنيزة ومن تبعهم ممّن نزحوا عن القصيم حين استولى عليها محمد بن رشيد وطغى عليهم بالظّلم والجور، فأرسلهم الشيخ مبارك الصبّاح ومعهم مائتا مقاتل فأمر عبد العزيز آل سليم الذين معه بالهجوم على عنيزة ليشغلوا عامل محمد بن رشيد وهو -فهيد السبهان-، فهجموا وقتلوا فهيدا، ثم أمدّهم عبد العزيز بسريّة يقودها عبد الله بن جلوى، فلما علم جنود محمد بن رشيد بقدوم بن جلوى سلّمت المدينة في الحال لآل سليم[16] .

وبعد استرداد عنيزة رحل عبد العزيز بن سعود منها بعد أن ثبّت في إمارتها عبد العزيز العبد الله السليم، وقصد بُريْدة فدخلها بدون مقاومة من أهلها، أمّا حاشية محمد بن رشيد فقد تحصّنت في قصر بُريْدة وظلّت الحامية تقاوم عبد العزيز مدة ثلاثة أشهر حتى نفذ ما لديهم من الزّاد فاضطرّوا إلى المفاوضة والتّسليم، فأمّنهم عبد العزيز بن سعود على أرواحهم وسلاحهم، ثم رحّلهم على رواحل من عنده، وكان ذلك عام 1321هـ، وبعد استرجاع عبد العزيز بن سعود للقصيم جرت نقاشات حادّة بينه وبين آل رشيد مدعّما بالدّولة العثمانية حول القصيم، حيث طلبوا منه عدة مطالب منها:

أولا: أن تكون منطقة القصيم على الحياد، أي:منطقة مستقلة حاجزة بين آل سعود وآل رشيد .

ثانيا: أن يكون للدّولة العثمانية مركزان عسكريان في القصيم، أحدهما في بريدة والآخر في عنيزة .

فلم يقبل عبد العزيز بكلّ هذه المفاوضات وصمد في وجه جميع مخالفيه، لاسيّما وأنّ أهل القصيم التفّوا حوله و لم يرضوا عنه بديلا[17] .

---

[14]ـ آل سعود: يرجع نسب الأسرة السعودية إلى قبائل ربيعة التي تمد بفروعها في نجد والعراق وسوريا، ومن ثم تعد أكبر القبائل العربية عشيرة وعددا . المصدر نفسه ص 77 .

[15]ـ آل رشيد: يرجع نسب هذه الأسرة إلى قبيلة قحطان، وقد أصبحوا أمراء على حائل لما دخل عبد الله آل رشيد في خدمة آل سعود حتى أحبوه حبا شديدا فعينه الملك فيصل أميرا على حائل . المصدر نفسه ص 65 .

[16]ـ المصدر نفسه، ص 71-77 .

[17]ـ الشيخ عبد الرحمان السّعدي مفسّرا، ص 21-22 .

هذه هي أهم الأحداث السياسيّة التي كانت تدور في القصيم، ومنها عُنَيْزة التي هي مسقط رأس الشيخ بن سعدي، ولابدّ أن يكون لهذه الظروف الصّعبة تأثير في نشأة الشيخ الذي كان صبيّا في بداية عمره طيلة هذه الأحداث .

الفرع السادس: ظروف نشأته:

في هذا العصر الذي حدثت فيه تلك المعارك المذهلة، نشأ الشيخ بن سعدي، ومن المعلوم أنّ عصرا هذه صفته لا يشجّع على خوض معركة الدّراسة، لأنّه عصر يبحث فيه كلّ إنسان عن أمنه وعن لقمة عيشه، وإذا أدركنا هذه الحقيقة المرّة؛ أدركنا أيّة عبقريّة كانت كامنة في جوانح الشيخ بن سعدي فلقد أجمع أمره وعقد عزيمته على أن يقف حياته على طلب العلم ويعطي نفسه أمنا وطمأنينة وسكينة خاصة تتصل برباطها الوثيق بينه وبين المهمّة التي أزمع أن يقف حياته عليها، فتراه إذ ذاك في وادٍ وأغلب ناشئة عصره من زملائه وأترابه في واد آخر، إنّه ارتضى العلم والمعرفة خَدِينًا[18] ، و لم ينظر في رجال زمنه سوى إلى طبقة العلماء، فلازمهم ملازمة الظلّ، وأكبّ على الاغتراف من معين علمهم وفضلهم وأخلاقهم، فتغذّى أطيب غذاء، وروي أكرم ريّ[19] .

هكذا كانت نشأة الشيخ مثارا للإعجاب والدّهشة ولفت الأنظار، لذكائه ورغبته الشديدة في طلب العلم، كما كان محافظا على الصلوات الخمس مع الجماعة، حتى إنّه خرج لصلاة الفجر صباح سطوة آل سليم، وكان عمره خمس عشرة سنة، وكان القصر فيه الرّماة وكان النّاس متحصّنين في منازلهم خوفا على أنفسهم، فقابل بعض الناس فخاطبوه فقالوا: إلى أين تريد الذهاب ؟ فقال: لصلاة الفجر ! فضربه حتى ألجأه إلى الانصراف إلى بيته[20] .

الفرع السابع: مرضه ووفاته ودفنه:

لقد أصيب الشيخ بن سعدي بمرض ضغط الدّم وتصلّب الشّرايين، فكان يعتريه المرّة بعد الأخرى، وهو صابر عليه مدة خمس سنوات، فزاد عليه الضرر وسافر إلى لبنان لعلاجه، فنصحه الأطباء بالرّاحة وقلّة التّفكير والاجتهاد، فعاد إلى بلاده و لم يصبر على ترك العلم فقام به تعليما وتأليفا وبحثا، لأنّ هوايته العلميّة تلحّ عليه في ذلك، فعاد إليه المرض أشدّ ممّا كان، وفي ليلة

---

[18]ــ الخَدِينُ: هو الصَّدِيقُ . انظر: لسان العرب، ج 13 ص 139.

[19]ــ الشيخ عبد الرحمان السّعدي مفسّرا، ص 24-25 .

[20]ــ إلهاج المؤمنين بشرح منهاج السالكين وتوضيح الفقه في الدين، تأليف: عبد الله الجبرين (ت:1430هـ)، ط 1، سنة 1466هـ/2001م، دار الوطن، الرياض، ص 24 .

الأربعاء بعد أن صلّى النّاس صلاة العشاء أصيب بإغماء لم يفق منه إلاّ فترة يسيرة، طمأن فيها الحاضرين من أهله، وهوّن عليهم أمر الدنيا ثم عاد إلى إغمائه، فطُلِب له الأطباء من الريـــاض بالطائرة، ولرداءة الجوّ لم تتمكّن الطّائرة من الهبوط في مطار عنيزة، وقرب طلوع الفجر من ليلة الخميس 23جمادى الآخرة عام 1376هـ انتقل إلى رحمة الله تعالى، وصُلّي عليه بعد صـــلاة الظّهر في الجامع، وأمّ الناس في الصلاة عليه أحد تلاميذه ونائبه في إمامه الجامع وخطابته الشيخ: عبد العزيز بن محمد بن سليمان البسّام، ودفن في مقبرة الشهوانيّة شمالي عنيزة .

والحقيقة أنّ عنيزة منذ تأسّست لم تُصب بمصيبة عامّة مثل مصيبتها بوفاة الشيخ بن ســعدي، وظهر ذلك في البكاء والحزن الشّديدين من كلّ المواطنين، كما ظهر الازدحام الشّديد علـــى الجنازة التي لم يبق كبير ولا صغير إلاّ وقد شهدها، وبموته فقدت البلدة أعزّ وأغلـــى شـــخص يعيش فيها، وأحسّ المواطنون بفراغ واسع بفقده، وخلّف الشيخ بعد وفاته ثلاثة أبناء وهـــم: عبد الله ومحمد وأحمد[21] .

وقد ذكر الشيخ عبد الرحمان العدوي أنّهم لّما كانوا يحملون جنازة الشيخ بن سعدي، مـــرّ بعجوز فسمعها تقول: "نجم هوى" فأدرك عظمة هذا الشّيخ في قلوب أهل بلدته[22] .

ومما يصور لنا جنازة الشيخ ما قاله عبد الله الصالح العثيمين في وصف جنازته حيث قال:

كلّ امرئ فينا يذوب تعاســةً والبؤس في دمه يغور ويزخــر
الشيخ يندب بائسا ومتحسّرا والطفل يبكــي نائحــا يتعبّر
لِم لا وقد فقدوا أبًــا ومهذبا ورعا بأنواع المفاخــر يذكــر
نظروا إليه فصعدت زفراتهــم والدمع أحمر في المحاجر أحمــر
كلّ يحاول أن يغطّــي دمعــه لكنــه يلقــى النقاب فيسفر
يتزاحمون ليحملــوه كأنّهــم سيل يمــوج وأبحر لا تجــزر[23]

الفرع الثامن: رثاؤه:

لقد رثى الشيخ بن سعدي كثير من العلماء وغيرهم وذلك نثرا وشعرا ومن ذلك ما قاله الدكتور عبد الله الصالح العثيمين:

مهج تذوب وأنفس تتحسّــــر ولظى على كل القلوب تســعّر

---

[21]ـــ علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج 3 ص 250-251 .

[22]ـــ مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة العدد 4، ص 205، (وهو مقال للدكتور: عبد الرحمان العدوي) .

[23]ـــ علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج 3 ص 251- 252 .

الحزن أضرم في الجوانح والأســـى يصلي المشاعر باللهيب ويصهـــر
ما ذا أقول عن المصاب ومهجتي ألما تغص وعبـــرتـــي تتكسّـــر
ما ذا أقول عن المصـــاب وإنّـــني عمّا أحـــاول عاجـــز ومقصّـــر
كيف التّحدّث عن مصاب فادح أكبادنـــا من هـــوله تتفطّـــــر
كلّ امرئ في الكون غايته الرّدى والموت حتمـــا للأنـــام مقـــدّر
كتب الفناء على الأنام جميعهـــم سيان فيها فاجـــر ومطـــهّـــر
لكن من اتخذ الصلاح شعـــاره تفنى الخليفة و هو حيّ يذكـــر
ما مات من نشر الفضيلة و التقى وأقام صرحا أسه لا يتكســـر
ما مات من عمّـــر الأنام بعلمـــه الكتب تشهـــد والصحافة تخبر
ياناصر الإسلام ضدّ خصومـــــه لك في الجهاد مواقف لا تحصر
قد كنت للدّين الحنيف معضّـــدا وبشرعه الهادي القويم تعـــبّر
يا زاهدا عرف الحياة فما هـــوى في المغريات ولا سباه المظهـــر[24]

[24]ـــ علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج 3 ص 251- 153 .

المطلب الثاني :

صفات الشيخ بن سعدي .

وسأذكر في هذا المطلب أهمّ الصفات التي كان الشيخ يتميّز بها من أخلاق حسنة وزهد فيما عند الناس وغير ذلك مما جعله محبوبا عند الجميع، وذلك من خلال الفروع الآتية:

الفرع الأول: أخلاقه:

يقول الشيخ البسام في وصف أخلاق شيخه: "له أخلاق أرقّ من النّسيم وأعذب من السّلسبيل لا يعاتب على الهفوة ولا يؤاخذ بالجفوة، يتودّد ويتحبّب إلى البعيد والقريب، يقابل بالبشاشة، ويحيّي بالطّلاقة، ويعاشر بالحسنى ويجالس بالمنادمة، ويجاذب أطراف أحاديث الأُنْسِ والوُدّ، ويعطف على الفقير والصّغير ويبذل طاقته ووسعه، ويساعد بماله وجاهه وعلمه ورأيه ومشورته ونصحه بلسان صادق، وقلب خالص، وسرّ مكتوم، ومهما أردتّ أن أعدّد فضائله ومحاسنه في مجال الأخلاق الكريمة والشّيم الحميدة التي يتحلّى بها فإنّي مقصّر وقلمي عاجز، ولا يدرك هذا إلاّ من عاشره وجالسه، لذا فإن الله سبحانه أعطاه محبّة في القلوب وثقة في النفوس فأجمعت البلاد على وُدِّه، واتّفقت على تقديمه، فصار له زعامة شعبيّة، فإشارته نافذة وكلمته مسموعة وأمره مطاع"[25] .

وكان –رحمه الله– ذا دعابة يتحبّب إلى الخَلْق بحسن خُلُقِه مَرِحًا للجليس لا يُرى الغضب في وجهه طلق الوجه كريم المُحَيّا، يتكلّم مع كلّ فرد بما يناسب حاله ويعاشر الخلق معاشرة تامّة كلّ بحسب حاله من يعرف ومن لا يعرف، الصغير والكبير والخاص والعام والرّجال والنّساء[26] .

الفرع الثاني: زهده:

إذا أردنا أن نعرف درجة زهد الشيخ بن سعدي، فإنّه يحسن بنا أن نستدلّ على ذلك من مؤلّفاته، ومن المناسب في هذا المقام أن نستدلّ من منظومته المعنونة بـ "السير إلى الله والدار الآخرة " حيث يقول فيها:

صحبوا الخلائق بالجسوم وإنّما أرواحهم في منزل فوقاني

عزفوا القلوب عن الشواغل كلّها قد فرّغوها من سوى الرحمان

حركاتهم وهمومهم وعزموهم لله لا للخلق والشيطان

---

[25]– علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج 3 ص 245 .

[26]– الشيخ عبد الرحمان السّعدي وجهوده في توضيح العقيدة، تأليف: عبد الرزاق البدر، ط 1، سنة 1411هـ/1990م، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، ص 16 .

نِعمَ الرفيق لطالب السبل الـــتي تفضي إلى الخيرات والإحسان

يقول –رحمه الله– في شرحه لهذه الأبيات: "أي: فرّغوا قلوبهم عن جميع ما يشغل عن الله ويبعد عن رضاه، وهذا حقيقة الزّهد، ولا يكفي هذا التفريغ حتى يمتلئ القلب من الأفكـــار النافعـــة والعزوم الصّادقة فتكون أفكار العبد في كلّ ما يقرّب إلى الرحمان من تصوّر علم، وتدبّر قرآن وذكر لله بحضور قلب وتفكّر في عبادة وإحسان وخوف من زلّة وعصيان أو تأمّـــل لصـــفات الرحمان وتنزيهه عن جميع العيوب والنّقصان، أو تفكّر في القبر وأحواله أو يوم القيامة وأهواله أو في الجنة ونعيمها والنار وجحيمها، فأفكارهم حائمة حول هذه الأمور متنزّهة عن دنيّـــات الأمور والتفكّر بما لا يجدي على صاحبه إلاّ الهمّ والوبال وتضييع الوقت وتشتيت البال غير نافع للعبد في الحال والمآل، فهؤلاء هم الذين يسعد بهم رفيقهم إذا اقتدى بسلوك طريقهم، وهؤلاء الذين أمرنا الله أن نسأله أن يمدّنا طريقهم إذ أنعم عليهم بصدق إيمانهم وتحقيقهم[27] .

ويقول أيضا تلميذه محمد القاضي في وصف أخلاق شيخه: "وكان كثير الحجّ نفلا، زاهـــدا عفيفا متعفّفا عزيز النّفس مع قلّة ذات يده متواضعا يسلّم على الصّغير والكبير ويجيب الـــدعوة ويزور المرضى ويشيّع الجنائز[28] .

الفرع الثالث: ورعـــه:

لمعرفة ورع الشيخ يحسن لنا الوقوف على تعريفه للورع وكيفية تحصيله، فقد ذكر الشـــيخ تعريف الورع في شرحه لحديث أبي ذر الغفاري –رضي الله عنه– الذي قال فيـــه رســـول الله ــصلى الله عليه وسلم ــ : "يا أبا ذرّ لا عقل كالتّدبير، ولا ورع كالكفّ، ولا حسن كحسن الخلق "[29] حيث قال الشيخ: " هذا الحديث اشتمل على ثلاث جمل كلّ واحدة منها تحتها علم عظيم... (الجملة الثانية) قوله – صلّى الله عليه وسلّم – (ولا ورع كالكفّ) فهذا حدّ جـــامع للورع بيّن به رسول الله ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ أنّ الورع الحقيقيّ هو الذي يكفّ نفســـه وقلبه ولسانه وجميع جوارحه عن الأمور المحرّمة الضّارة فكلّ ما قاله أهل العلم في تفسير الورع، فإنّه يرجع إلى هذا التّفسير الواضح الجامع، فمن حفظ قلبه عن الشّكوك والشّـــبهات وعـــن الشّهوات المحرّمة والغلّ والحقد وعن سائر مساوئ الأخلاق، وحفظ لسانه عن الغيبة والنّميمة

---

[27]ــ مجموع بن سعدي، ص 146، نقلا عن كتاب الشيخ عبد الرحمان السّعدي مفسّرا، ص 28 .

[28]ــ روضة الناضرين لمحمد القاضي، ج 1 ص 224، نقلا عن الشيخ عبد الرحمان السّعدي مفسّرا، ص 28 .

[29]ــ رواه البيهقي في: شعب الإيمان، باب حسن الخلق 7668، وبن ماجه: ك/ الزهد، ب/ الورع والتقوى، رقم: (4218) كلاهما عن أبي ذر الغفاري–رضي الله عنه–، وهو حديث ضعّفه الألباني في "سلسلة الأحاديث الضعيفة" رقم: (1910) طبعة: مكتبة المعارف، الرياض، ج 4 ص 382 .

والكذب والشّتم وعن كلّ إثم وأذى وكلام محرّم، وحفظ فرجه وبصره عن الحـــرام، وحفـــظ بطنه عن أكل الحرام وجوارحه عن كسب الآثام، فهذا هو الورع حقيقة، ومن ضيّع شيئا مـــن ذلك نقص من ورعه بقدر ذلك"[30] .

وقال أيضا في موضع آخر: "واعلم أنّ القناعة باليسير والاقتصاد في أمر المعيشة مطلوب مـــن كلّ أحد لا سيّما المشغلون بالعلم، فإنّه كالمتعيّن عليهم لأن العلم وظيفة العمر كلّه أو معظمه، فمتى زاحمته الأشغال الدنيويّة والضروريات حصل النّقص بسبب بذلك، والاقتصاد والقناعة من أكبر العوامل لحصر الأشغال الدنيويّة، وإقبال المتعلّم على ما هو بصدده"[31] .

فهذه النصوص كلّها تبيّن لنا إدراك الشيخ بن سعدي للمعنى الحقيقي للورع، وأنّه كان إنسانا مقبلا على الآخرة معرضا عن الدنيا بجميع زخارفها، وقد ترجم الشيخ هذه الكلمات عمليا في حياته اليومية، فكان يضرب به المثل في الورع .

ومما يدلّ أيضا على ورعه، أنه كان لا يتكلم في شيء لا يعلمه بل ويصرّح بعدم علمه، ومثال ذلك: ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ** ﴾ **[يس:42]** حيث قال: "وهذا الموضع من أشكل المواضع عليّ في التفسير"[32] ، فلو لم يكن الشّيخ ورعا لأخذ في تفسير الآية برأيه ولكن لما كان الورع سمة راسخة فيه صرّح بإشكال هذا الموضع عليه، فحمله ورعه على عدم الخوض فيما لا يعلمه .

<u>الفرع الرابع</u>: تواضعه ورجوعه إلى الحق:

لقد اشتهر الشيخ بن سعدي –رحمه الله– بتواضعه الكبير، فرغم أنّه كان كبير البلد وعالمها ورجلها الأوّل وصاحب المواقف الشّجاعة وصاحب اليد الطّـــولى في مجمجـــالات الخير والـــبرّ والإحسان، إلاّ أنّ ذلك زاده تواضعا، فكَبُر في أعين الناس فوضعوه في المكانة اللاّئقة به[33] .

وإليك بعض النصوص التي تدلّ على تواضع الشيخ وحثّه على الرجوع إلى الحقّ:

---

[30]ـــ بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار شرح جوامع الأخبار، تأليف: عبد الرحمان بن ناصر السعدي (ت:1376هـــ) ط 1، سنة 1425هـــ/2004م، دار الشريعة، القاهرة، ص 138 .

[31]ـــ الفتاوى السّعدية، تأليف: عبد الرحمان بن ناصر السعدي، ط 1، سنة 1415هـــ/1995م، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ص 461 .

[32]ـــ تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تأليف: عبد الرحمان بن ناصر السعدي، اعتنى به تحقيقا ومقابلة: عبد الرحمان بن معلا اللويحق، ط 1، سنة 1424هـــ/2003م، دار بن حزم، بيروت، لبنان، ص 664 .

[33]ـــ فقه الشيخ بن سعدي، ص 34 .

1- قال الشيخ في الفتاوى السعدية: "... وكذلك ينبغي له أن يوقظ فهمه بكثرة البحث والسّؤال والجواب، ويريه السّرور إذا أورد عليه سؤالا أو إشكالا، أو عارضه بما قاله، فإنّ القصد النّفع والوصول للحقّ لا الانتصار للقول الذي يقوله والمذهب الذي يصير إليه، بل إذا أرشده مَنْ دونه إلى خلل بما قاله شكره عليه، وبحث معه بحثا يقصد منه الوصول إلى الحقيقة، لا نصر ما هو عليه من الطريقة، ورجوع المعلّم إلى فهم المتعلّم، حيث يكون أقرب إلى الصواب أدلّ شيء على فضيلته وعلوّ مرتبته، وحسن خلقه، وإخلاصه لله تعالى، وإذا لم يصل إلى هذه الحال فليعوّد نفسه ذلك وليتمرّن عليه، فإنّ المزاولات تعطى الملكات والتمرينات تُرقّي صاحبها لدرج الكمالات"[34] .

2- وقال أيضا في كتابه: بهجة قلوب الأبرار : "... فيجب على طالب العلم أن يعزم عزما جازما على تقديم قول الله وقول رسوله ـصلى الله عليه وسلمـ على قول كلّ أحد، وأن يكون أصله الذي يرجع إليه وأساسه الذي يبني عليه الاهتداء بهدي النبي ـصلى الله عليه وسلمـ والاجتهاد في معرفة مراده واتّباعه في ذلك ظاهرا وباطنا، فمن وُفّق لهذا الأمر الجليل، فقد وفّق للخير وصار خطؤه معفوّا عنه، لأنّ قصده العام اتّباع الشّرع، فالخطأ معذور فيه إذا فعل مستطاعه من الاستدلال والاجتهاد في معرفة الحقّ، وهذا هو المتواضع للحق... "[35] .

فهذه النّصوص تبيّن مدى حثّ الشيخ على التّواضع والحرص عليه خاصّة من العالم والمتعلّم، وقد كان الشيخ مثالا عمليا لهذه الأقوال بشهادة تلاميذه ومقرّبيه كالشيخ البسام الذي قال فيه: "له أخلاق أرق من النّسيم وأعذب من السلسبيل لا يعاتب على الهفوة ولا يؤاخذ بالجفوة يتودّد ويتحبّب إلى البعيد والقريب ويقابل بالبشاشة ويحيّي بالطّلاقة، ويعاشر بالحسنى، ويجالس بالمنادمة، ويجاذب أطراف أحاديث الأنس والودّ، ويعطف على الفقير والصغير ويبذل طاقته، ووُسعه ويساعد بماله وجاهه وعلمه ورأيه ومشورته ونصحه بلسان صادق وقلب خالص وسرّ مكتوم، ومهما أردتُ أن أعدّد فضائله ومحاسنه التي يتحلّى بها فإنّي مقصّر، وقلمي عاجز ولا يدرك هذا إلاّ من عاشره وجالسه"[36] .

---

[34]ـ الفتاوى السّعدية، ص 78-79 .

[35]ـ بهجة قلوب الأبرار، ص 142 .

[36]ـ علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج 3 ص 245 .

الفرع الخامس: جرأته في الحق:

لقد كان الشيخ بن سعدي –رحمه الله– واحدا من العلماء القلائل الذين وقفوا في وجه الباطل، و لم يمنعهم مانع من منازلته وهدم بنيانه من الأساس، فقد كان الشيخ جريئا في الحقّ لا يخاف في الله لومة لائم دأبه دأب العلماء العاملين في كلّ زمان ومكان، ويدلّ على ذلك كتابه القيّم "الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين" فقد نازل فيه جميع طوائف الملحدين وتحدّاهم وأبطل أصولهم، وفنّد مآخذهم وهدّم قواعدهم وزلزل بنيانهم وبيّن مخالفتهم للعقل والفطرة والحكمة، ومخالفتهم لجميع الأديان الصّحيحة، كما وقف الشيخ كالطود الشامخ في مواجهة القصيمي[37] الذي أعلن الحرب على الله وعلى عباده وخصّ منهم العلماء فانبرى له الشيخ وألّف رسالته القيّمة "تنزيه الدين وحملته ورجاله ممّا افتراه القصيمي في أغلاله" وبيّن فيها ضلال الرّجل وثناءه على أعداء الله وتقرّبه لهم ومقته وسخريّته بعباد الله المؤمنين، وخصوصا أهل الصّلاح والدّين والعلم، وكان الشيخ موفّقا أيّما توفيق في هذين الكتابين الذين كانا درعا حصينا لأهل الخير وسهما صائبا لأعداء الله وأعداء عباده الصالحين"[38] .

وقال في الفتاوى السعدية: "... فالموفّق تجده ناصحا لأئمّة المسلمين من وُلاتهم وعلمائهم ورؤسائهم في محبّة الخير لهم والسّعي في إعانتهم عليه قوة وفعلا ومحبّة اجتماع الرعيّة على طاعتهم وعدم مخالفتهم الضّارة، وناصحا لعامّة المسلمين يحبّ لهم ما يحبّ لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، ويسعى في إيصال النّفع إليهم بكلّ ممكن، ويصدّق ظاهرُه باطنَه وأقوالُه وأفعالَه[39].

الفرع السادس: قوة ذكائه وحفظه:

لقد اشتهر الشيخ بن سعدي –رحمه الله– بقوّة حفظه وذكائه، ولهذا فإنّ كلّ من يذكر ترجمته يشير إلى هاتين الميزتين العظيمتين، اللّتين سهّلتا على الشيخ حفظ القرآن وهو صغير، حيث حفظه وعمره لا يتجاوز إحدى عشرة سنة، وفي ذلك يقول تلميذه البسام: "فأقبل على

---

[37]ـ القصيمي: هو عبد الله القصيمي، ولد سنة 1907م، في قرية (حبّ الحلوة) بمدينة بريدة في القصيم، ولما بلغ إحدى عشرة سنة سافر إلى العراق وغيرها حتى استقر بجامع الأزهر وعمره تسع عشرة سنة، كان في أول حياته سنيّا ثم صار علمانيا ثم صار ملحدا، له عدة مؤلفات أهمها: كتاب "الصراع بين الإسلام والوثنية" وكتاب "هذه هي الأغلال" . انظر: موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، ج 14 ص 224 .

[38]ـ فقه الشيخ بن سعدي، ص 36-37 .

[39]ـ الفتاوى السّعدية، ص 463 .

العلم بجدّ ونشاط وهمّة وعزيمة، فحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب قبل أن يتجاوز الثانية عشرة من عمره في مدرسة المربّي سليمان بن دامغ"[40] .

ويقول تلميذه محمد القاضي في وصف حفظه: "وكان يحفظ كثيرا من المتون العلميّة، وإذا استشهد بها رأيته يهذّها هذّا، لأنّه كان يتعاهدها دائما وكان واسع الإطلاع في فنون عديدة، ففي كلّ فنّ تقول هذا فنه المختصّ به"[41] .

من هذين النّصين بشهادة تلميذيه يتبيّن لنا قوّة حفظ الشيخ وشدّة ذكائه اللّذين كانا سببا في وصوله إلى ما وصل إليه بعد معونة الله له .

الفرع السابع: أعماله الخيرية والمناصب التي اشتغلها:

كان الشيخ -رحمه الله- محبّا للخير ساعيا فيه، يطرق كلّ باب يؤدّي إليه، ولذا كانت له مشاركات إيجابيّة في إقامة المشاريع الخيرية التي ينتفع بها كلّ الناس والتي نذكر منها:

1- كان مرجع الطّلاّب وعمدتهم في جميع أحوالهم وشؤونهم، فهو مدرّس الطّلاّب، وواعظ العامّة وإمام الجامع وخطيبه ومفتي البلاد، وكاتب الوثائق ومحرّر الأوقاف والوصايا وعاقد الأنكحة، ومستشارهم في شؤونهم... إلخ .

2- قام في سنة 1360هـ بتأسيس المكتبة الشهيرة "بالوطنيّة" في عنيزة على نفقة الوزير بن حمدان، وجلب لها آلاف الكتب في شتّى الفنون فصارت هذه المكتبة مجمعا لطلاّب العلم يقرؤون عليه فيها .

3-رشّح لقضاء عنيزة عام 1360هـ وامتنع تورّعا منه، و لم يدخل في أيّة وظيفة لا في قضاء ولا في غيره .

4- عيّن إماما وخطيبا للجامع الكبير بعنيزة في رمضان عام 1361هـ، بأمر الشيخ عبد الرحمان بن عودان[42] .

5- عيّن مشرفا على المعهد العلمي بعنيزة سنة 1373هـ براتب قدره ألف ريال، فأرسل إلى رئاسة المعاهد العلميّة أنّه مستعدّ لإدارة المعهد بلا أجر ماديّ بل حسبة لله تعالى فقبلت الرئاسة، وشكروا له صنيعه[43] .

---

[40]ـ علماء نجد خلال ثمانية قرون، ص 220 .

[41]ـ روضة الناظرين، ص،220، نقلا عن الشيخ عبد الرحمان السّعدي مفسّرا، ص 33 .

[42]ـ الشيخ السّعدي وجهوده في علم العقيدة، ص 18 .

[43]ـ مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، مقال نشره الشيخ عبد الرحمان العدوي في العدد (4)، ص 33 .

6- هو أول من أدخل مكبّر الصوت إلى عنيزة، وله خطبة نافعة في بيان منافعه، خطب بها حين استنكر ذلك بعض الناس .

7- قام في سنة 1363هـ بجمعية خيرية لعمارة مقدم الجامع ،حيث قام بدعوة للمحسنين بجمع التبرعات لذلك .

8- قام في سنة 1373هـ بجمعية أخرى لعمارة مؤخر المسجد، فسارع المحسنون لذلك وانتهت بعمارته[44] .

الفرع الثامن: لين جانبه وإنصافه لمخالفيه:

من سموّ أخلاق الشيخ صحبته للآخرين مع اختلاف منازلهم، فقد كان بارّا بالجميع، هيّنا ليّنا، و لم يمنعه خِلافه مع بعضهم أن يحسن إليهم ويدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة إلى الحقّ، كما أنّه كان يعطيهم حقوقهم ويعترف بفضلهم[45] .

يقول -رحمه الله- في كتابه: "تنزيه الدين وحملته ورجاله ممّا فتراه القصيمي في أغلاله" ونحن لا ننكر ما في كلامه وكتابه من المعاني الصحيحة المطروقة التي لم يزل أهل العلم يقولونها ويبدونها من الحثّ على تعلّم العلوم وفنون الصّنائع النافعة، وما فيه من ذمّ للجهل وآثاره الضّارّة، وما فيه من تأخّر المسلمين في الفنون العصريّة، وما فيه من وصف تفوّق غيرهم في فنون المادة"[46] .

كما أنّ الشيخ كان بارّا بأقرانه لا ينافسهم على الجاه والسّمعة ولا يزاحمهم، ولا يذكرهم إلا بخير، وهذه خلّة لم توجد إلاّ في القليل من عباد الله، فلعلّ هذه السيرة الحميدة هي التي جعلته موضع احترام الجميع، و لم يذكر أنه كان له عدوّ أو خصم أو منافس، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء[47] .

هذه أهم النقاط التي أردت الكلام عليها في الحياة الشخصية للشيخ بن سعدي، ولعلّها كافية لمعرفة سبب نجاح الشيخ في حياته العلمية لأنها هيّأت له الجوّ العلميّ الذي ترعرع فيه .

---

[44]- الشيخ السّعدي وجهوده في علم العقيدة، ص 19 .

[45]- الشيخ عبد الرحمان السّعدي مفسّرا، ص 33 .

[46]- تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله، ص 4-5 .

[47]- الشيخ عبد الرحمان السّعدي مفسّرا، ص 33 .

المبحث الثاني

الحياة العلميّة للشيخ بن سعدي

وسأتطرق في هذا المبحث إلى جوانب متعددة من حياة الشيخ بن سعدي العلمية وذلك من خلال الكلام على تلقّي الشيخ للعلم وبذله إيّاه، ثم الكلام على تلاميذه ومؤلفاته النّافعة التي تركها للأمّة الإسلامية . ولتحقيق هذا الغرض قسمت هذا المبحث إلى مطلبين هما:

المطلب الأول : رحلة الشيخ بن سعدي العلمية بين الطّلب والبذل .

المطلب الثاني : تلاميذه ومؤلفاته .

المطلب الأول :

رحلة الشيخ بن سعدي العلمية بين الطّلب والبذل .

وسوف أتناول في هذا المطلب الجوانب التي كوّنت من الشيخ عالما ناضجا محيطا بالعلوم الشرعية، كما أتناول بذله لهذا العلم الذي رزقه الله به، وذلك من خلال الفروع الآتية:

الفرع الأول: حفظه للقرآن وبداية طلبه للعلم:

بدأ الشيخ بن سعدي –رحمه الله– طلبه للعلم بحفظ القرآن الكريم، فحفظه عن ظهر قلب قبل تمام الثانية عشرة من عمره، واهتمّ بطلب العلم عن علماء بلده، وعلماء البلاد المجاورة لها، وكان يستفيد من العلماء الذين يفِدون إلى بلده من الخارج، كما جعل أوقاته كلّها في تحصيل العلم حفظا وفهما ودراسة ومراجعة واستذكارا، حتى أدرك في صباه من العلم ما لا يدركه غيره في زمن طويل[48] ، وكان يواضب على دروس العلماء، وعلى من يشعر أنّ له منه أدنى فائدة طارحا التحيّز والترفّع، وواصل وثابر، وبذل جهده في سبيل ذلك، ولم يقتصر في طلبه للعلم على فن واحد، بل قرأ في فنون متعدّدة: فقرأ في الحديث والتفسير والعقائد والفقه

[48]ـــ مقدمة إبهاج المؤمنين بشرح منهاج السالكين وتوضيح الفقه في الدين، ص 10 .

والأصول والمصطلح وعلوم اللغة وغيرها[49] ، وكان من محفوظاته: القـــرآن الكريم، وعمـــدة الأحكام، ودليل الطالب، وكثير من نظم بن عبد القوي، وكان يحفظ أكثر نونية ابن القيم[50] .

الفرع الثاني: مصادر علمه:

لمعرفة مصادر العلوم التي نهل منها الشيخ بن سعدي، لابدّ من الوقوف على طريقة التعليـــم المتّبعة في عهده، فقد كان التعليم وقتئذ يخضع لنظام الحلقات، وهو: أن يجلس الشيخ المقصـــود للتّعليم في المسجد أو البيت، ويتحلّق حوله الطلاّب، وبعد أن يُتمّ الطّالب حفظ القرآن الكريم على الأغلب، يتحلّق بهذه الحلقات على اختلاف موادّها حسب رغبته لكـــل مـــادّة، فهنـــاك حلقات لتعليم الفقه، وثانية للأصول، وثالثة للتّفسير، ورابعة للقراءات، وخامسة لعلوم القرآن، وسادسة للحديث رواية، وسابعة للحديث دراية، وثامنة للنحو، وتاسعة للبلاغـــة، وعاشـــرة للفرائض، وهلمّ جرّا .

وقد التحق الشيخ بن سعدي بمختلف هذه الحلقات فكانت هي مصدر علمه[51] .

الفرع الثالث: نظرته إلى العلم:

لقد أسهب الشيخ بن سعدي في الحديث عن العلم وفضله وأثره على النفس والمجتمع ومآله في الدنيا والآخرة، ومن ذلك قوله: "العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يصحبك في دورك الثّلاث في الدنيا وفي البرزخ ويوم يقوم الأشهاد... الجهل داء قاتل والعلم حياة ودواء نافع... حاجة النّاس إلى العلم أعظم مـــن حـــاجتهم إلى الطعـــام والشّـــراب... والاشتغال بالعلم من أفضل الطاعات وأجلّ القربات، مذاكرة العلم تسبيح والبحث عنه جهاد وتعلّمه وتعليمه ودراسته توجب رضا ربّ العباد... لولا العلم لكان الناس كالبهائم في ظلمات الجهالة، ولولا العلم لما عرفت المقاصد والوسائل، ولولا العلم ما عرفت البراهين على المطـــالب كلّها ولا الدّلائل، العلم هو النور في الظلمات، وهو الدليل في المتاهات والشّبهات، وهو المميّز بين الحقائق، وهو الهادي لأكمل الطرائق، بالعلم يرفع الله العبد درجات، وبالجهل يهـــوي إلى أسفل الدّركات"[52] .

---

[49]ـــ إتحاف النبلاء بسير العلماء، ج 1 ص 46-47 .

[50]ـــ علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج 3 ص 221 .

[51]ـــ الشيخ عبد الرحمان السّعدي مفسّرا، ص 48-49 .

[52]ـــ الرياض الناظرة، ص 69-73، نقلا عن فقه الشيخ بن سعدي، ص 91 .

الفرع الرابع: نظرته إلى العلماء:

لقد تكلّم الشيخ بن سعدي كثيرا عن آداب المتعلّمين وما يجب أن يكونوا عليه من احـــترام للعلماء، وممّا قاله في العلماء قوله: "فهو الوالد الحقيقيّ للعلم الوارث له، قال تعالى: ﴿ **فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً (5) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ(6)** ﴾ **[مريم:5-6]** والمراد وراثة العلـــم والحكمة، فالمعلّم مأجور على نفس تعليمه، سواء أفهم المتعلّم أو لم يفهم، فإذا فهم ما علّمـــه وانتفع به لنفسه ونفع غيره كان أجرا جاريا للمعلّم، مادام ذلك النفع متسلسلا متّصلا، وهذه تجارة بمثلها يتنافس المتنافسون، فعلى المعلّم أن يسعى سعيا شديدا في إيجـــاد هـــذه التّجـــارة وتنميتها، فهي من عمله"[53] .

ويقول الشيخ في القناعة في طلب الدنيا من العَالِم: "واعلم أنّ القناعة باليسير والاقتصـــاد في أمر المعيشة مطلوب من كلّ أحد لا سيّما المشتغلون بالعلم، فإنّه كالمتعيّن عليهـــم لأنّ العلـــم وظيفة العمر كلّه أو معظمه فمتى زاحمته الأشغال الدنيويّة والضّروريات، حصل النقص بحسب ذلك، والاقتصاد والقناعة من أكبر العوامل لحصر الأشغال الدنيويّة، وإقبال المتعلّم على ما هـــو بصدده"[54] .

الفرع الخامس: بداية جلوسه للتدريس:

لقد كان للشيخ بن سعدي دور كبير في الحركة العلميّة بعُنَيْزَةَ، حيث بذل العلـــم ونشـــره وصرف أوقاته كلّها للتّعليم والإفادة والتّوجيه والإرشاد، فلا يصرفه عن حِلَقِ الذِّكر ومجـــالس الدّرس صارف، ولا يردّه عنها راد، إلاّ ما يتخلّله من الفترات الضروريّة، فاجتمع إليه الطلبـــة وأقبلوا عليه واستفادوا منه، كما قدم عليه الطّلاّب من البلاد المجاورة لبلده لما اشتهر به من سعة العلم وحسن الإفادة، وكريم الخلق ولطف العشرة، حتّى إنّ زملاءه في الدراسة لما رأوا تفـــوّقه ونبوغه تتلمذوا عليه، وصاروا يأخذون عنه العلم وهو في سنّ البلوغ، فصار في هذا الشّـــباب المبكّر متعلّما ومعلّما[55] .

وقد كان أوّل جلوسه للتعليم في الثالثة والعشرين من عمره، ففي هذه السنّ جلس في حلقـــة التدريس يعطي الدّروس للطلاّب، ويجدّ في تعليمهم ويجتهد، يعلّم زملاءه ومن يريـــد العلـــم ويطلبه، وكان يحرص على التّعليم حِرصَهُ على التعلّم فجمع بذلك بين طلب العلـــم والتّعليـــم

---

[53]ـــ الفتاوى السّعدية، ص 456 .

[54]ـــ المصدر نفسه، ص 461 .

[55]ـــ علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج 3 ص 220 .

ورتّب أوقاته في ذلك، فكان يقضي بعضها في القراءة على العلمـــاء وبعضـــها في التـــدريس، وبعضها في مراجعة الكتب والبحث فيها، ولا يفوّت من أوقاته شيئا إلاّ وقد رتّبه، فبلغ الذّروة في علوم الحديث والفقه والتفسير، حتى إنّه منذ عام 1350هـــ صار مرجع التدريس والإفتـــاء في بلده وما حولها من القرى، وأصبح المعوّل لدى جميع الطلاب في أخذ العلوم الشرعيّة[56] .

الفرع السادس: تنظيمه لوقته في التّدريس:

لقد كان الشيخ يجلس أربع جلسات في اليوم الواحد، فكان إذا صلّى الفجر بالنّاس جلـــس لأداء الدّرس حتى تطلع الشّمس، ثم يذهب بعد ذلك إلى بيته حتّ الضحوة الكبرى فيعـــود إلى المسجد يعلّم أبناءه الطلاّب: الفقه والتفسير والحديث والعقيدة والنّحـــو والصّـــرف في دروس منتظمة، ويستمر معهم حتى صلاة الظهر، فيصلّي بالنّاس ويعود إلى بيته يستريح فيه إلى صـــلاة العصر، ثم يذهب إلى المسجد فيصلّي العصر بالنّاس، ويعطيهم عقب الصلاة وهم جلوس بعض الأحكام الفقهيّة في دقائق لا تؤخّر عن الانصراف سعيا وراء أرزاقهم، وعندما تغرب الشمس يصلّي بالنّاس صلاة المغرب ويجلس للدّرس حتّ يصلّي العشاء، ويتكرّر ذلك يوميا[57] .

الفرع السابع: طريقته في التدريس:

لقد حرص الشيخ بن سعدي على إفادة طلاّبه، فكان من أحسن النّاس تعليمـــا وتفهيمـــا وتبيينا، فكانت طريقته في التدريس متميّزة وقد أخذها عن شيخه محمد الأمين الشنقيطي، وهي كالآتي:

1- أنّه يستشير تلاميذه في اختيار الكتاب الأنفع من كتب الدّراسة ويتّبع الأكثر في الاختيار، فإن تساووا كان هو الحَكَمُ في اختيار الكتاب الذي يدرّس .

2- يخصّص المكافآت لمن يحفظ المتون من طلاّبه تشجيعا لهم، وتحفيزا لزملائهم .

3- يقيم المناظرات بين طلاّبه المحصّلين لشحذ أفكارهم وصقل أذهانهم وتعويدهم على إقامـــة الحجّة والبرهان .

4- يطرح المسائل على الطّلاّب ليختبر أذهانهم ويتعمّد أحيانا الغلط، ليرى من هـــو حاضـــر الذّهن ممّن هو شارده .

---

[56]ـــ روضة الناضرين، ج 1 ص 223، نقلا عن الشيخ السّعدي وجهوده في علم العقيدة، ص 33 .

[57]ـــ تراجم لتسعة من الأعلام، ص 282-284، ومجلة الجامعة الإسلامية العدد 4، ص 205، (مقال الدكتور عبد الرحمان العدوي) .

5- عند ذكره للمسائل الخلافيّة، يقرّر القول الراجح بأدلّته، ثم يذكر القول الآخر بـــأدلّته ثم يوسّط نفسه حكما في المسألة، وقد يستطرد في ذكر نظائر المسألة، كلّ ذلك بفصاحة وبلاغة بديهيّة .

6- يجمع الطلاّب كلّهم على كتابين واحدا بعد الآخر، وبعد انتهاء الجلسة يطلب من ثلاثـــة منهم إعادة ما يستحضره من التّقرير، ويدور عليهم ليختبر قوّة حفظهم وفهمهم .

7- يناقشهم بعد يوم فيما مضى شرحه، ممّا كان يدفع الطلاب إلى الحرص على الاســـتذكار وتثبيت المعلومات .

8- يحرص على طلاّبه حرصا تامّا، ويتفقّدهم عند غيابهم تفقّدا دقيقا مما جعل تلاميذه يراعون المواظبة لملاحظته وعدم غفلته[58] .

أما الكتب التي كان يدرّسها في الغالب، فهي كالآتي:

1- في الحديث: المنتقى وبلوغ المرام .

2- في التوحيد: شرح الطحاوية وكتاب التوحيد، وكتب شيخ الإسلام بن تيمية وتلميذه بـــن القيم والشيخ محمّد بن عبد الوهّاب .

3- في الفقه: المنتهى وشرحه، ومتن الزّاد وشرحه .

4- في النّحو: الألفيّة مع شرح بن عقيل، والقطر مع شرح المؤلف[59] .

<u>الفرع الثامن</u>: شيوخه:

لقد تلقّى الشّيخ أنواع العلوم على كثير من العلماء، بعضهم من عنيزة وبعضهم من الوافدين إليها، وبعضهم رحل إليهم إلى بلدهم، وذكر هؤلاء جميعا من الصعوبة بمكان، لـــذلك فـــإنّني سوف أقتصر على ذكر بعضهم فقط مع ذكر ترجمة مختصرة لكلّ منهم، وقـــد اعتمـــدت في ترتيبهم على سنوات الوفاة فقدّمت المتقدّم في الوفاة ثم من بعده، وهم كالآتي:

1- عبد الله بن عائض العويضي الحربي: ولد سنة 1249هـــ في عنيزة، فتعلّم القراءة والكتابة بها ثمّ رحل إلى مكّة لطلب العلم ثمّ إلى جدّة ثم مصر، عيّن قاضيا في عنيزة وتوفي بها -رحمـــه الله- سنة 1322هـــ . وهو من أوائل المشايخ الذين قرأ عليهم الشيخ بن سعدي، وقد قـــرأ عليه علوم العربية وغيرها[60] .

---

[58]ـــ الشيخ السّعدي وجهوده في علم العقيدة، ص 24-25 .

[59]ـــ علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج 3 ص 223 .

[60]ـــ معجم مصنفات الحنابلة، ج 7 ص 68، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون، ج 4 ص 184 .

2- محمد بن عبد الله بن سليم: ولد سنة 1240هـ في بُرَيْدَةَ، أخذ مبادئ العلم عن علماء القصيم مثل: الشيخ قرناس بن عبد الرحمان بن قرناس والشيخ عبد الله أبا بطين، ثم تتلمذ على شيوخ الرياض كالشيخ عبد الرحمن بن حسن كما تتلمذ على يديه كثيرون، توفي في بريدة سنة 1323هـ . رحل إليه الشيخ بن سعدي إلى بريدة وأخذ عنه التّوحيد وغيره[61] .

3- إبراهيم بن حمد بن محمد بن جاسر: ولد سنة 1241هـ في بريدة، كان كثير الحفظ للحديث، معطاءا للفقراء والبؤساء، تولّى قضاء عنيزة ثم بريدة، مرض فسافر إلى الكويت، فتوفي بها سنة 1338هـ . قرأ عليه الشيخ بن سعدي علم الحديث، والمصطلح والأصول والفروع والتفسير[62] .

4- صعب بن عبد الله التّويجري: ولد سنة 1253هـ في بريدة، حفظ القرآن فيها، وقرأ على علمائها مثل سليمان بن علي بن مقبل قاضي بريدة وأبا بطين قاضي بريدة، ثم رحل إلى الرياض فتتلمذ على شيوخها كالشيخ حَمَد بن عتيق وعبد الرحمان بن حسن... إلخ، ثم استقر في عنيزة، توفي في بريدة سنة 1339هـ[63] . وقد تتلمذ عليه الكثيرون كالشيخ بن سعدي الذي قرأ عليه علم المصطلح والحديث والأصول والفروع والتفسير .

5- علي بن محمد بن إبراهيم السّناني: ولد سنة 1266هـ في عُنَيْزَةَ، قرأ على علماء عنيزة مثل الشيخ عبد العزيز بن مانع وغيره، عُرض عليه القضاء مرّتين فرفضه، وكان إماما واعظا في أحد مساجد عنيزة الكبار، توفي سنة 1339هـ . قرأ عليه الشيخ بن سعدي أصول الدين[64] .

6- محمد بن عبد الكريم الشبل: ولد سنة 1257هـ في عنيزة، تعلّم فيها ثم سافر إلى مكّة والشّام والعراق ومصر والكويت، وتتلمذ فيها على الكثيرين منهم محمد بن مانع، علي بن راشد العريني... إلخ، توفي في عنيزة سنة 1343هـ . قرأ عليه الشيخ بن سعدي الفقه، وعلوم العربيّة وغيرها[65] .

---

[61]ـ معجم مصنفات الحنابلة، من وفيات: 241- 1420هـ، تأليف: عبد الله بن محمد الطريقي، ط 1، سنة 1466هـ/ 2001م، الرياض، ج 4 ص 214، والشيخ السّعدي وجهوده في علم العقيدة، ص 67 .

[62]ـ فقه الشيخ بن سعدي، ص 46، والشيخ السّعدي وجهوده في علم العقيدة، ص 26 .

[63]ـ علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج 2 ص 563، وفقه الشيخ بن سعدي، ص 45 .

[64]ـ الشيخ عبد الرحمان السّعدي مفسّرا، ص 51، والشيخ السّعدي وجهوده في علم العقيدة، ص 28 .

[65]ـ معجم مصنفات الحنابلة، ج 6 ص 259، والشيخ عبد الرحمان السّعدي مفسّرا، ص 50 .

7- إبراهيم بن صالح القحطاني: ولد سنة 1270هـ في بلدة أشيقر، حفظ القرآن وأخذ مبادئ العلم بها، ثم رحل إلى عنيزة والهند وغيرهما واستفاد كثيرا خاصة في الأدب والتاريخ، توفي بالرياض سنة 1343هـ[66] .

8- صالح بن عثمان القاضي: ولد سنة 1282هـ في عنيزة، كان مُولَعا في بداية طلبه للعلم بالشّعر والتّاريخ والأنساب وعلم الفلك، ثم اتّجه إلى طلب العلم الشّرعي، فقرأ على مشايخ عنيزة ثم سافر إلى مصر وغيرها لطلب العلم، توفي سنة 1351هـ في عنيزة . وهذا الشيخ من أكبر المشايخ الذين استفاد منهم الشيخ بن سعدي، فقد قرأ عليه التوحيد والتفسير والفقه أصولا وفروعا، وعلوم العربية من نحو وصرف ومعان وبيان وبديع... إلخ[67] .

9- محمد الأمين الشنقيطي: ولد سنة 1325هـ بمدينة شنقيط في موريتانيا، وفد على عنيزة مدّة أربع سنوات، وكان إماما وخطيبا ومدرّسا ببلدة الزّبير، توفي سنة 1393هـ بالزّبير، أخذ عنه الشيخ بن سعدي علم التفسير، وعلم الحديث ومصطلحه، وعلوم العربيّة من نحو وصرف وغيرهما[68] .

10- علي بن ناصر بن محمد بن أبو وادي: ولد سنة 1273هـ بعنيزة، رحل إلى الهند وغيرها، فبرع في علم الحديث ثم عاد إلى عنيزة وعيّن إماما في أحد مساجدها، فأقبل عليه الطلاّب ليأخذوا عنه الإجازات . قرأ عليه الشيخ بن سعدي الكتب السّتة وأخذ عنه التّفسير وأصوله وأصول الحديث وغيرها من العلوم[69] .

11- عبد العزيز بن محمد بن عبد الله بن مانع: ولد سنة 1300هـ في عنيزة، كان والده قاضي عنيزة لذلك بدأه بالعلم مبكّرا، فقرأ المختصرات، ثمّ سافر إلى مصر ودمشق والعراق وغيرها فحصّل علما كثيرا في زمن يسير . قرأ عليه الشيخ بن سعدي علوم العربية وغيرها[70] .

---

[66]ـ فقه الشيخ بن سعدي، ص 44، و معجم مصنفات الحنابلة، ج 6 ص 255.

[67]ـ علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج 2 ص 517، والشيخ عبد الرحمان السّعدي مفسّرا، ص 50 .

[68]ـ انظر ترجمته موسعة في"جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف" تأليف: عبد العزيز الطويان،والعلامة الشنقيطي مفسرا، تأليف: عدنان بن محمد آل شلش .

[69]ـ فقه الشيخ بن سعدي، ص 46، والشيخ السّعدي وجهوده في علم العقيدة، ص 27 .

[70]ـ الشيخ عبد الرحمان السّعدي مفسّرا، ص 52، ومعجم مصنفات الحنابلة، ج 7 ص 68 .

الفرع التاسع: تأثّره بشيخ الإسلام بن تيمية[71] وتلميذه بن قيم الجوزية[72] :

إنّ النّاظر في سيرة الشيخ بن سعدي، يتحقّق عنده أنّ من أعظم مشايخه: شيخ الإسلام بن تيمية وتلميذه بن القيم، رغم المسافة الزّمنيّة التي تربو على ستّة قرون، فقد أقبل الشيخ بن سعدي على مؤلّفات هذين الإمامين الجليلين إقبالا منقطع النّظير، فاستوعب ما حوته كتبهما من التّحقيق العظيم في علوم السّلف وحسن التّوجيه والإرشاد وحصل له بذلك سعة علم خاصّة في علم الأصول والتّوحيد والتّفسير والفقه وغيرها من العلوم النافعة، وقد أكّد ذلك معظم من ترجم للشيخ، خصوصا طلاّبه[73] . ويتبيّن تأثّر الشيخ بابن تيمية وتلميذه ابن القيم من خلال أمرين:

الأول: ثناؤه الدائم عليهما وعلى مؤلفاتها في كتبه، وذلك نثرا وشعرا:

ومن ذلك قوله: "... ولا يخفى لطف الباري في وجود شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله-، في أثناء قرون هذه الأمّة وتبيّن الله به وبتلامذته من الخير الكثير والعلم الغزير، وجهاد أهل البدع، والتّعطيل والكفر، ثم انتشار كتبه في هذه الأوقات، فلا شكّ أنّ هذا من لطف الله لمن انتفع بها، وأنّه يتوقّف خير كثير على وجودها فلله الحمد والمنّة والفضل"[74] .

---

[71]ـ ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم الحراني الدمشقي الحنبلي أبو العباس، ولد في حران سنة 661هـ وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر، وطلب إلى مصر من أجل الفتوى فأجاب، ثم سجن بها وأطلق بعد ذلك فسافر إلى دمشق، كان كثير البحث والمناظرة وبرع في عدة فنون وله مؤلفات كثيرة جدا منها: "مقدمة في التفسير" و"آيات أشكلت على العلماء" وغيرها، توفي معتقلا بقلعة دمشق سنة: 728هـ . انظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تأليف: ابن حجر العسقلاني (ت:852هـ)، سنة 1414هـ/1993م، دار الجيل، بيروت، ج 1 ص 144-160، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تأليف: محمد بن علي الشوكاني (ت:1250هـ)، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، ط 1، سنة 1419هـ/ 1998م، دار الفكر دمشق، سورية، ص 82-88 .

[72]ـ ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب، ولد سنة 691هـ، درس على شيخه بن تيمية وعلى أبيه وغيرهما من الشيوخ، كان واسع العلم عارفا بالخلاف ومذاهب السلف، كان له حظ عند الأمراء المصريين، واعتقل مع شيخه بن تيمية بالقلعة ثم أفرج عنه، كان كثير الصلاة والتلاوة للقرآن حسن الخلق كثير التودّد، له مصنفات كثيرة منها: "أقسام القرآن" و"إعلام الموقعين عن رب العالمين" وغيرها، توفي سنة 751هـ. انظر: الذيل على طبقات الحنابلة، تأليف: بن رجب الحنبلي (ت:795هـ)، تحقيق وتعليق: عبد الرحمان بن سليمان العثيمين، ط 1، سنة 1425هـ/2005م، مكتبة العبيكان، الرياض، ج 5 ص 170، والدرر الكامنة، ج 3 ص 400-402 .

[73]ـ فقه الشيخ بن سعدي، ص 93 .

[74]ـ المواهب الربانية من الآيات القرآنية، تأليف: عبد الرحمان بن ناصر السعدي، اعتنى به: أبو عبد الرحمان سمير الماضي، ط 2، سنة 1417هـ/1996م، رمادي للنشر، المملكة العربية السعودية، ص 149-150 .

ومن ذلك أيضا قصيدته النونية التي ألّفها في مدحهما ومدح مؤلّفاتهما، في ثلاثين بيتا ومما جاء فيها :

يا طالبًا لعلوم الشّرع مجتهـــــدا يبغي انكشاف الحقّ والعرفان
احرص على كتب الإمامين الذيـــ ن هما المِحـــكّ لهذه الأزمـــان
العالمـــين العامليـــن الحافظيـــــ ن المعرضين عن الحطام الفـــاني
عاشا زمانا داعيـــين إلى الهـــدى مـــن زائغ ومقلّـــد حيـــران
أعني به شيـــخ الورى وإمامهم يُعـــزي إلى تيميّـــة الحـــران
والآخـــر المدعـــوّ بابن القيـــم بحـــر العلـــوم العالـــم الرّبّاني
فهما اللذان قد أودعا في كتبهم غـــرر العلوم كثيرة الألـــوان
فيها القواعد والمسائـــل جمّعت من كلّ فـــاكهة بهـــا زوجان
إن رمت معرفة الإلـــه ومالـــه من وصفـــه وكمـــاله الربّاني
أورمت تفسير الكتاب وما حوى من كثرة الأســـرار والتّبيـــان
أورمـــت معرفة الرّسول حقيقة وجلالة المبعـــوث بالفرقان
أورمت فقه الدّين مرتبطـــــا به أصل الدّليـــل أدلّـــة الإتقان
أورمت معرفـــة القصائد كلّهـــا للمبطليـــن وردّ ها ببيـــان
أورمت معرفة الفنون جميعـــهـــا من نحوها والطّـــبّ للأبدان
تلق الجميـــع مقرّرا موضّحـــا قد بيّناهـــا أحســـن التّبيـــان[75]

<u>الثاني</u>: عنايته بالتّأليف حول كتبهما ومن ذلك:

1- "توضيح الكافية الشافية": وهو كتاب نثر فيه نظم نونية بن قيم الجوزية .

2- "الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية": وهو أيضا يتعلق بنونية بن قيم الجوزية .

3- "الدرر البهية في شرح القصيدة التائيّة في حل المشكلة القدرية" وهو شرح لكتاب بن تيمية الذي ردّ فيه على القدرية.

4- "التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليها الواسطية من المباحث المنيفة" وهـــو عبـــارة عـــن تعليقات على العقيدة الواسطية لابن تيمية .

---

[75]ـــ الفتاوى السّعدية، ص 475 .

5- "طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول من كتب بن تيمية وتلميذه بن القيم" وهي قواعد اختارها من كتب شيخ الإسلام بن تيمية وتلميذه بن قيم الجوزيّة، وقد تضمّنت 1015 قاعدة وضابطا [76] .

الفرع العاشر: معايشته للواقع:

كثير هُمُ العلماء في عالمنا الإسلامي، ولكنّ العلماء الذين يجمعون بين فقه النّصوص وفقه الواقع قليلون، ولعلّ من هؤلاء علاّمة القصيم الشيخ بن سعدي، حيث كان يعيش هموم العالم الإسلامي، وقد ظهر ذلك جليّا في كتاباته في الصحف والمجلاّت داخل بلده وخارجه، وفي خطبه التي كان يخصّصها لأحداث العالم الإسلامي، فقد خطب الشيخ خطبة عن العدوان الثلاثي على مصر الذي قامت به كلّ من انجلترا وفرنسا وإسرائيل ولكلّ منها هدف من العدوان، فعرف الشيخ هذه الأبعاد وخطب النّاس في خطبة الجمعة في هذا الموضوع ورفع النّاس معه أكُفّ الضّراعة إلى الله أن يحمي القوى الإسلامية، وأن ينصر المسلمين، ويردّ كيد الكافرين وقد استجاب الله من المسلمين، فخطب الشيخ بن سعدي في جمعة ثانية مهنّئا ومبشّرا ومذكّرا بقوله تعالى: ﴿**وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً**﴾ **[الأحزاب:25]**"[77] .

ومما يدلّ أيضا على معايشة الشيخ للواقع ما ذكره تلميذه البسّام حيث قال: "... ومع هذا فقد كاتَبَ علماء الأمصار ومفكّري الآفاق في جديد المسائل وعَوِيصَاتِ الأمور، حتّى صار لديه محاولة لتطبيق النّصوص الكريمة على بعض مخترعات ومكتشفات هذه العصر وحوادثه، ممّا يُظهِر أسرار الشريعة واتّصالها بما يجدّ في العصر الحديث"[78] .

الفرع الحادي عشر: مذهبه في الفقه:

كان الشيخ بن سعدي ذا معرفة تامّة بالفقه، أصولا وفروعا... وقد كان أوّل أمره متمسّكا بمذهب الإمام أحمد، وله الإطلاع الواسع على مؤلفات الفقه الحنبلي، كما تميّز الشيخ بإدراك باهر واطّلاع واسع على كتب الخلاف في هذا المذهب، وقد حفظ بعض المتون فيه، وله مؤلّف

---

[76]ـــ الشيخ السّعدي وجهوده في علم العقيدة، ص 31 .

[77]ـــ فقه الشيخ بن سعدي، ص 86 .

[78]ـــ علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج 3 ص 221، وتراجم لتسعة من الأعلام، ص 322 .

في الفقه على طريق النظم للمسائل يتكوّن من أربعمائة بيت على مذهب الإمام أحمد -رحمه الله-[79] .

يقول عنه تلميذه البسام: "وما إن تقدّمت به الدّراسة شوطا حتى تفتّحت أمامه آفاق العلم، فخرج عن مألوف بلده من الاهتمام بالفقه الحنبلي فقط، إلى الاطّلاع على كتب التفسير والحديث والتوحيد، وكتب شيخ الإسلام بن تيمية وتلميذه بن القيم هي التي فتّقت ذهنه ووسّعت مداركه، فخرج من طور التّقليد إلى طور الاجتهاد المقيّد، فصار يرجّح من الأقوال ما رجّحه الدّليل وصدّقه التّعليل، ولكنّه في الغالب لا يخرج عن اختيارات شيخ الإسلام بن تيمية"[80] .

وقد ألّف الشيخ كتابا سمّاه "المختارات الجلية" وهو عبارة عن كتاب فيه بعض المسائل الفقهيّة من أبواب متعددة غالبها ما ترجّح عنده ممّا هو خلاف المذهب الحنبلي، وقد جعله الشيخ بن سعدي استدراكات على كتاب شرح الزّاد لأنّه أكثر الكتب الشائعة عند الحنابلة، وقد ذكر في مقدمته سبب تأليفه، فقال: "... قد تكرّر السؤال عليّ من بعض الأصحاب على وضع كتاب في فقه أصحابنا من الحنابلة على وجه يتّضح به ما نختاره ونصحّحه من المسائل الفقهية ونشير إلى شيء من مآخذها وأدلتها"[81] .

ومما جاء في هذا الكتاب من ترجيحات مخالفة للمذهب الحنبلي، ما ذكره في باب الطهارة حيث قال: "الصواب أنّ الماء نوعان: طهور ومطهّر، ونجس ومنجّس... الصحيح أنّ الدّباغ مطهّر لجلد ميتة المأكول... الصحيح أنّه لا يكره استقبال النّيرين وقت قضاء الحاجة"[82] .

والذي يراجع كتاب الفتاوى السعدية أيضا، يتبيّن له ما سبق تقريره بوضوح .

الفرع الثاني عشر: عقيدته:

لقد نهج الشيخ بن سعدي في العقيدة منهج السّلف الصّالح، واقتفى آثارهم وترسّم خطاهم، وذلك بتلقّي العقيدة وأخذها من منبعها الأصيل، كتاب الله وسنة رسوله _صلى الله عليه وسلم _ وفهم السلف الصالح، لا بالأهواء والتشهّي والبدع والظّنون الفاسدة، ومن تأمّل كتبه

---

[79]_ فقه الشيخ بن سعدي، ص 89 .

[80]_ علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج 3 ص 220 .

[81]_ المختارات الجلية من المسائل الفقهية، تأليف: عبد الرحمان بن ناصر السعدي، ط 1، سنة 1415هـ، دار الوطن، الرياض، ص 5 .

[82]_ المصدر نفسه، ص 149 .

وسبرها عرف شدّة عنايته بهذه العقيدة، وحرصه على نشرها وتصدّيه لمخالفيها، فبعد أن درس الشيخ بن سعدي العقيدة الصحيحة على عدد كبير من العلماء، واعتنى بكتب المتقدّمين من سلف هذه الأمّة، اعتنى بعد ذلك بتدريسها والتّأليف فيها، فكان في دروسه التي يلقيها على الطلاّب يعتني بتدريسهم العقيدة الإسلامية الصافية المأخوذة من الكتاب والسنّة، الخالية من شوائب البدع والخرافات، وكان كذلك في مؤلفاته يعتني بأمور العقيدة فأكثر فيها التأليف شرحا وتوضيحا وتقريرا وتأصيلا وردا على المخالفين[83] .

ومن أراد أن يعرف عقيدة الشيخ بن سعدي فليرجع إلى ما كتبه في أوّل كتابه "القول السديد في مقاصد التوحيد" فقد كتب مختصرا بيّن فيه عقيدة أهل السنة والجماعة في عدّة أبواب[84] .

الفرع الثالث عشر: نصرته للحقّ وردّه على الملحدين:

لما بلغ الشيخ -رحمه الله- أشدّه ونضج علمه ورسخت قدمه، شرع في التأليف والردّ على الملاحدة والزّنادقة والمخالفين وبيّن محاسن الإسلام، كلّ ذلك في كتبه ورسائله، وقد وجد له في هذا الباب رسالتين في الردّ على خصوم الإسلام هما:

الأولى: "تنزيه الدين وحملته ورجاله ممّا افتراه القصيمي في أغلاله" حيث ردّ فيها على عبد الله بن علي القصيمي الذي ألّف كتابا سمّاه "هذه هي الأغلال" دعى فيه إلى نبذ الدّين والدّعاية إلى نبذه والانحلال عنه من كلّ وجه .

الثانية: "الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين" حيث ذكر فيها أوجها كثيرة نازل فيها جميع طوائف الملحدين وتحدّاهم، وأبطل أصولهم، وهدّم قواعدهم، وزلزل بنيانهم وبيّن مخالفتهم للعقل والفطرة، وقد كان في كلّ ما سبق ملتزما بالإنصاف وأدب المناقشة والحوار، محبّا لإظهار الحقّ لا للانتصار لنفسه، ممتثلا في ذلك كلّه قوله تعالى: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ**﴾ **[المؤمنون:96]**[85] .

---

[83]ـــ الشيخ السّعدي وجهوده في علم العقيدة، ص 37-41 .

[84]ـــ وقد ألّف في هذا المجال الدكتور: عبد الرزاق البدر رسالة علمية نال بها شهادة الماجستير، من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عنوانها "الشيخ السّعدي وجهوده في علم العقيدة"، فمن أراد التوسع في معرفة التفاصيل عن عقيدة الشيخ فليرجع إليه .

[85]ـــ فقه الشيخ بن سعدي، ص 36-37 .

الفرع الرابع عشر: ثناء العلماء عليه:

لقد أثنى على الشيخ بن سعدي جلّة من علماء بلده مما يدل على مكانته بينهم، وهذا سواء في التفسير أو غيره، ومن ذلك:

1- قول تلميذه عبد الله العقيل[86] -بعد كلامه على مؤلفات العلماء في تفسير القرآن- "وقد كان لشيخنا عبد الرحمان بن ناصر السعدي-رحمه الله- من ذلك حظ وافر... " .

2- قول الشيخ حامد الفقي[87] : "لقد عرفت الشيخ عبد الرحمان بن ناصر السعدي من أكثر من عشرين سنة فعرفت فيه العالم السّلفيّ المحقّق، الذي يبحث عن الدّليل الصّادق، وينقّب عن البرهان الوثيق فيمشي وراءه لا يلوي على شيء... عرفت فيه العالم السّلفيّ الذي فهم الإسلام الفهم الصادق"[88].

3- قول الشيخ عبد العزيز بن باز[89] : "وكان قليل الكلام إلاّ فيما تترتّب عليه فائدة، جالسته غير مرّة في مكّة والرّياض، وكان كلامه قليلا إلاّ في مسائل العلم، وكان متواضعا حسن الخلق".

---

[86]-1 هو عبد الله بن عبدالعزيز بن عقيل: ولد في مدينة عنيزة عام 1335هـ، حفظ القرآن الكريم وكثيرا من المتون العلمية، شغل عدة وظائف منها أنه عيّن قاضيا في محكمة الرياض الكبرى من سنة 1366هـ إلى سنة 1370هـ، وكان عضوا بدار الإفتاء في الرياض، وبعد التقاعد اشتغل بالتعليم والإجابة على أسئلة الناس وغير ذالك . انظر: المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، ج 1 ص 246 .

[87]ـ حامد الفقي: ولد في (نكلي العنب) إحدى قرى مديرية البحيرة بمصر سنة 1890هـ، فحفظ القرآن الكريم ثم التحق بالأزهر ونال الشهادة العالية، وأسس جماعة أنصار السنة وحارب الطرقيّين فلحقه بسبب ذلك أذى منهم، درّس بالمعهد العلمي بمكة، كما أصدر بها مجلة الإصلاح، ثم رجع إلى مصر واستقر بها، له عدة مؤلفات وتحقيقات منها: "من دفائن الكنوز" و"شذرات البلانين" وغيرها، توفي سنة 1378هـ . انظر: معجم المؤلفين، تأليف: عمر رضا كحالة، ط 1، سنة 1414هـ/1993م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج 3 ص 207، والمعجم الجامع في تراجم العلماء، ج 1ص 351 .

[88]ـ إتحاف النبلاء بسير العلماء بسير العلماء، ج 1 ص 71 .

[89]ـ عبد العزيز بن باز: ولد في مدينة الرياض سنة 1330هـ، نشأ في أسرة علم وفضل، حفظ القرآن قبل بلوغه وكان حريصا على طلب العلم، أصيب بالعمى وعمره عشرين سنة، شغل عدة مناصب فكان مدرسا في معهد الرياض العلمي ونائبا لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة، ثم عين مفتيا عاما للملكة العربية السعودية له تلاميذ كثر، من مؤلفاته: "نقد القومية العربية على ضوء الإسلام" و"ثلاث رسائل في الصلاة" وغيرها، توفي سنة 1420هـ . انظر: تراجم لتسعة من الأعلام، ص 427-557، والشيخ بن باز نموذج من الرعيل الأول -محاضرة للشيخ عبد المحسن العباد البدر- وهي مطبوعة .

5- وقال الشيخ عبد الرزاق عفيفي[90] : "إنّ من قرأ مصنفات الشيخ عبد الرحمان بن ناصر بن سعدي -رحمه الله- وتتبع مؤلفاته وخالطه وسبر حاله أيّام حياته، عرف منه الدّأب في خدمة العلم اطّلاعا وتعليما، ووقف منه على حسن السّيرة، وسماحة الخلق واستقامة الحال، وإنصافه إخوانه وطلاّبه في نفسه"[91] .

6- وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين[92] : "إنّ الرّجل قلّ أن يوجد مثله في عصره، في عبادته وعلمه وأخلاقه حيث كان يعامل كلاّ من الصغير والكبير بحسب ما يليق بحاله، ويتفقّد الفقراء وكان يحبّ العذر ممّن حصلت منه هفوة حيث يوجّهها توجيها يحصل به عذر من هفا"[93] .

---

[90]ـ عبد الرزاق عفيفي: هو عبد الرزاق بن عفيفي بن عطية، ولد سنة 1323هـ، حفظ القرآن وهو صغير وأقبل على المتون العلمية في مختلف الفنون فظهرت قوة حفظه وفهمه، التحق بالأزهر ونال الشهادة العالمية العالية، عيّن رئيسا لجماعة أنصار السنة، انتقل إلى الدولة السعودية ودرس في معاهدها، ثم انتقل إلى رئاسة البحوث العلمية والإفتاء وعيّن نائبا لرئيسها توفي سنة 1415هـ . انظر: الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي: حياته العلمية وجهوده الدعوية وآثاره الحميدة، تأليف: محمد بن أحمد سيّد أحمد، ط 1، سنة 1419هـ، المكتب الإسلامي، ج 1 ص 73-74 وص 165 وص 183 .

[91]ـ المصدر نفسه، ج 3 ص 71-72 .

[92]ـ ابن عثيمين: محمد بن صالح العثيمين، ولد سنة 1347هـ بعنيزة، تعلم القرآن ثم تفرغ للعلوم الأخرى فأتقنها، درس بالمعهد العلمي بالرياض وجامعة محمد بن سعود وغيرهما كما درّس في عدة مساجد ومعاهد، له مؤلفات كثيرة في شتى الفنون، منها: "شرح القواعد الحسان" و"تفسير القرآن الكريم" وغيرها، توفي سنة 1421هـ . انظر: المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، ج 1 ص 298 .

[93]ـالشيخ السّعدي وجهوده في علم العقيدة، ص 59 .

المطلب الثاني:

تلاميذه ومؤلفاته:

وقد أفردت الكلام على تلاميذ الشيخ ومؤلفاته بمطلب خاص، وذلك لسببين هما:

أما بالنسبة تلاميذه: فلكثرتهم ولأنّهم أصبحوا قبلة طلاّب العلم في بلدهم بعد وفاة الشيخ، وذلك يدلّ على حسن تعليم الشيخ لهم وحسن تربيته إيّاهم .

وأما بالنسبة لمؤلفاته: فلأنها كثيرة جدّا، وهي متنوعة في شتى فنون العلم الشّرعي وقد كتب الله لها قبولا كبيرا بين أوساط المسلمين .

الفرع الأول: تلاميذه:

لقد أخذ العلم عن الشيخ بن سعدي خلق كثير بعضهم توفي وبعضهم مايزال حيّا، وقد ذكر منهم الشيخ البسام في كتابه "علماء نجد خلال تسعة قرون" مائة وخمسين تلميذا، ومن المعلوم أنّ ذكر الجميع يطول لذلك فإنّني سأقتصر على ذكر بعضهم فقط وهم:

1- الشيخ محمد بن صالح العثيمين: خلف شيخه في إمامه الجامع بعنيزة وفي التدريس والوعظ والخطابة توفي سنة 1421هـ .

2- الشيخ عبد الله بن عبد الرحمان البسّام: عضو هيئة التمييز بالمنطقة الغربية .

3- الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العقيل: عضو الهيئة القضائية العليا في وزارة العدل .

4- الشيخ عبد الله بن محمد المطرودي: يقال أنّه كان يحفظ صحيح البخاري بأسانيده .

5- الشيخ عبد العزيز بن محمد السّلمان: درّس في معهد إمام الدّعوة بالرياض، وسلك طريقة شيخه بالتأليف .

6- الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوّع: تولّى القضاء في عنيزة، وتوفي سنة 1377هـ .

7- الشيخ سليمان بن إبراهيم البسّام: درّس في المعهد العلمي بعنيزة وكان فقيها، وعيّن قاضيا فرفض، توفي سنة 1377هـ .

8- الشيخ محمد بن منصور الزّامل: درّس بمعهد عنيزة العلمي .

9- الشيخ عبد الله بن محمد الزّامل: درّس بمعهد عنيزة العلمي، وهو من أبرز العلماء بالنحو في منطقة نجد .

10- الشيخ عبد الله بن محمد العوهلي: درّس في معهد عنيزة العلمي .

11- الشيخ عبد الله بن حسن آل بريكان: درّس في معهد عنيزة العلمي، توفي .

12- الشيخ محمد بن صالح الخزيم: عيّن قاضيا في الرسّ، ثم في المذنب، ثم في عنيزة، توفي .

13- الشيخ حمد بن محمد البسّام: درّس في جامعة محمد بن سعود وكان هو الذي يقرأ على الشيخ في الدرس .

14- الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز الغرير: إمام مسجد الجديدة بعنيزة، توفي .

15- الشيخ عبد الله بن عبد العزيز الخضيري: كان مدرّسا بمعهد المدينة المنورة العلمي وكان قاضيا عفيفا، توفي .

16- الشيخ حمد بن إبراهيم القاضي: صار مدير إحدى المدارس بعنيزة، توفي .

17- الشيخ عبد بن محمد الفهيد: إمام مسجد القاع في عنيزة، توفي .

18- الشيخ سليمان بن صالح البسّام: من أعيان عنيزة، توفي .

19- الشيخ عبد الله بن محمد الصبيخان: كان قويّ الحفظ كفيفا، توفي شابا .

20- الشيخ عبد الله بن عبد الرحمان السعدي:ولد المترجم له وكان ذا عناية بطبع مؤلفات والده، توفي.

21- الشيخ محمد بن عثمان القاضي: إمام جامع في عنيزة .

22_ الشيخ محمد بن صالح الفضيلي: كان قاضيا في تيماء، توفي .

23- الشيخ علي بن محمد الصالحي: وكّله الشيخ بتدريس صغار الطلبة سنة 1360هـ .

24- الشيخ إبراهيم بن محمد العمود: كان قاضيا في جيزان ثم في الرياض، وهو بن أخت الشيخ، توفي.

25 - الشيخ سليمان بن محمد الشبل: درّس في المدرسة العزيزية الابتدائية في عنيزة، توفي .

26- الشيخ حمد بن محمد المرزوقي: درّس في معهد النور .

27- الشيخ محمد بن عبد الرحمان الحنطي: كان قاضيا في الدّرعية .

28- الشيخ عبد الرحمان العقيل: كان قاضيا في جيزان، توفي .

29- الشيخ عبد الرحمان بن عبد العزيز الزّامل: كانت له عناية بالتاريخ والأنساب، توفي .

30- الشيخ عبد الرحمان بن محمد المقوشي: كان قاضيا بالرياض، توفي[94] .

هؤلاء هم أبرز تلاميذ الشيخ، ومازال هناك عدد كبير من تلاميذه لكنّنا نكتفي بمن ذكرنا خشية الإطالة .

---

[94]95- انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج 3 ص 236-244 والشيخ السّعدي وجهوده في علم العقيدة، ص 35-36 .

الفرع الثاني: مؤلفاته:

لقد عُرِفَ الشيخ بن سعدي بكثرة مؤلفاته وقوتها العلمية وتنوعها في شتى الفنون، ويدل على ذلك قول تلميذه البسّام حيث قال: "فلمّا بلغ أشدّه ونضج علمه ورسخت قدمه، شرع في التّأليف، ففسّر القرآن الكريم، وبيّن أصول التفسير، وشرح جوامع الكلام النبويّ، ووضّح أنواع التّوحيد وأقسامه، وهذّب مسائل الفقه وجمع أشتاتها، وردّ على الملاحدة والزّنادقة المخالفين، وبيّن محاسن الإسلام،كلّ ذلك في كتب ورسائل طبعت ووزّعت، ونفع الله بها"[95] .

ويدل على ذلك أيضا قول تلميذه محمد القاضي حيث قال: "وكانت الكتابة سهلة عليه في قلم أو عودٍ عَصْفرٍ أو غيرهما ممّا جعل شيخه محمّد الأمين الشنقيطي يقول: "ما وصفته في مخطوطاته إلاّ على الزّهّاد في الدنيا"[96] .

من خلال هذين النّصّين، يتبيّن لنا أنّ مؤلّفات الشيخ بن سعدي كثيرة جدّا، فهي تربو عن أربعين مؤلفا، أذكرها مقسّمة على حسب الفنّ الذي ألّفت فيه وهي كالآتي:

أولا: مؤلفاته في التفسير وعلوم القرآن: وهي:

1- تفسير القرآن الكريم كاملا واسمه "تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان" طبع عدة مرات، وسوف يأتي الكلام عليه .

2- "القواعد الحسان لتفسير القرآن" طبع عدة مرات، وسوف يأتي الكلام عليه بالتّفصيل .

3- "تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن" طبع عدة مرات، وهو اختصار لتفسيره "تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان" .

4- "فوائد مستنبطة من قصّة يوسف" وقد فرغ منها المؤلف عام 1370هـ، وهو مطبوع في مجلّدة صغيرة مستقلة، طبع كذلك مع تفسير الشيخ لسورة يوسف .

5- "الدلائل القرآنية في أنّ العلوم العصريّة لا تخالف القرآن والسنة" وقد فرغ منه المؤلف سنة 1370هـ، وهي رسالة لطيفة بيّن فيها المؤلف أن الدّين الإسلامي جمع كلّ خير وأنه لايخالف العلوم العصرية بل هي داخلة فيه .

6- "المواهب الربانية من الآيات القرآنية" جمعها لّما قرأ كتاب الله تعالى في رمضان سنة 1347هـ، طبع عدة مرات .

---

[95]ـ علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج 3 ص 221-222 .

[96]ـ روضة الناظرين، ج 1 ص 225، نقلا عن فقه الشيخ بن سعدي، ص 31 .

ثانيا: مؤلفاته في العقيدة: وهي:

1- "طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول" وقد فرغ منه المؤلف في شعبان سنة 1370هـ، وهي قواعد اختارها من كتب شيخ الإسلام بن تيمية وتلميذه بن قيم الجوزيّة، وقد تضمّنت 1015 قاعدة وضابطا .

2- "القول السديد في مقاصد التوحيد" وهو رسالة مختصرة علّق فيها المؤلف على "كتاب التوحيد" للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ركّز فيه على ذكر مناسبة الأبواب للترجمة، وقد طبع بحاشية كتاب التوحيد .

3- "الرياض الناظرة والحدائق النيّرة الزّاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة" وهو كتاب تضمّن اثنين وثلاثين فصلا عقدها المؤلف في أبواب مختلفة من آداب وأخلاق ومعاملات وسلوك، طبع ثلاث مرات .

4- "الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين" فرغ من تأليفه في رجب سنة 1372هـ، وهو رد على الملحدين من ثلاثة وثمانين وجْهًا، طبع أكثر من مرة .

5- "تنزيه الدين وحملته ممّا افتراه القصيمي في أغلاله" وقد فرغ من تأليفه سنة 1366هـ، وقد طبع بدار إحياء الكتب العربية، وهو ردّ على القصيمي الذي دعى إلى الانحلال من الدين وطعن في علماء الإسلام .

6- "توضيح الكافية الشافية" وقد فرغ من تأليفه في جمادى الأولى سنة 1367هـ، وهو كالشرح لنونية بن القيم .

7- "شرح القصيدة التائية" لشيخ الإسلام بن تيمية، وقد فرغ من تأليفه سنة 1376هـ قبل شهرين من وفاته، وهي عبارة عن ردّ على القدرية .

8- "التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة" وقد فرغ من تأليفه سنة 1369هـ، وهو شرح للعقيدة الواسطية لشيخ الإسلام بن تيمية .

9- "منظومة السير إلى الله والدار الآخرة وشرحها" وهو نظم فيه ثمانين بيتا نظمها في الحثّ على الاستقامة والإقبال على الآخرة .

10- "الحقّ الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين" وقد فرغ من تأليفه سنة 1367هـ، وهو اختصار لشرح موسّع لتوحيد الأنبياء والمرسلين الذي أفاض فيه بن القيم في نونيته .

11- "الدين الصحيح يحلّ جميع مشاكل الحياة" وقد فرغ من تأليفه سنة 1375هـ، وهي رسالة بيّن فيها المؤلف أن الدين الإسلامي فيه حلول جذرية لجميع مشاكل الحياة، وقد وزّع مجّانا .

12- "الرسائل المفيدة (سؤال وجواب) بأهمّ المهمّات" وهي رسالة لطيفة تضمنت اثنين وعشرين سؤالا مهمّا في أمور العقيدة، وقد طبعت ووزّعت مجّانا .

13- "التوضيح والبيان لشجرة الإيمان" بيّن فيه أنّ شجرة الإيمان أبرك الأشجار وأنفعها وأدومها .

14- "الوسائل المفيدة في الحياة السعيدة" وهي رسالة صغيرة ذكر فيها المؤلّف الأسباب العامة والخاصة للحياة الكريمة، طبع مرتين ووزّع مجّانا .

15- "مجموعة الفوائد واقتناص الأوابد" ذكره ابنه في ترجمته وأشار إلى أنه لم يطبع .

16- "فتح الرب الحميد في أصول العقائد والتوحيد" لم يطبع .

17- رسالة عن يأجوج ومأجوج" وهي رسالة في اثنتين وثلاثين صفحة، فرغ منها المؤلف سنة 1362هـ، وقد ذكر فيها حال يأجوج ومأجوج وأنّهم موجودون الآن .

18- "انتصار الحقّ" (محاورة دينية اجتماعية) وهي رسالة صغيرة عبارة عن محاورة بين رجلين كانا صالحين فزاغ أحدهما، فحاوره صاحبه حتّى أقنعه وأرجعه إلى صوابه .

ثالثا: مؤلفاته في الفقه والأصول: وهي:

1- "رسالة في القواعد الفقهية وشرحها" وقد فرغ منها المؤلف سنة 1331هـ، وهي منظومة لطيفة، تبلغ سبعة وأربعين بيتا نظمها في أمهات مسائل الدين وقواعده،وقد طبعت على نفقة المؤسسة السعيدية.

2- "منظومة في أحكام الفقه" وقد فرغ منه المؤلف سنة 1333هـ، وهي منظومة طويلة، تربو على أربع مائة بيت، تعرّض فيها لكثير من الأحكام الفقهية، طبعت على نفقة المؤسسة السعيدية .

3- "المختارات الجلية من المسائل الفقهية" وقد فرغ منه المؤلّف سنة 1355هـ، وهو استدراك على كتاب "الروض المربع شرح زاد المستقنع" تضمّن ترجيحات الشيخ بن سعدي في كثير من المسائل الفقهية طبع على نفقة المؤسّسة السّعيدية .

4- "المناظرات الفقهية" وهو كتاب جعله الشيخ على شكل مناقشة بين رجلين في مسائل فقهية، سمّى أحدهما المتوكل على الله والثاني المستعين بالله، حيث يدور الحوار بينهما ويتم الاستدلال والمناقشة حتى ينتهي النقاش إلى ترجيح أحد القولين، وقد طبع سنة 1378هـ .

5- "إرشاد أولي البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب بطريق مرتب على السؤال والجواب" وقد فرغ منه المؤلف سنة 1358هـ، وهو كتاب وضع فيه الشيخ أسئلة من عنده وأجاب عنها، وقد اتبع هذا المنهج ليرسّخ المسائل في ذهن القارئ .

6- "الفتاوى السعدية" وقد تضمن هذا الكتاب فتاوى الشيخ في مسائل كثيرة، وقد طبع في مطبعة دار الحياة سنة 1388هـ .

7- "حاشية على الفقه" استدراكات على جميع الكتب المستعملة في المذهب الحنبلي، لم يطبع .

8- "مختصر في أصول الفقه" تضمن هذا الكتاب بعض المباحث المهمّة التي يحتاجها المبتدئ في علم أصول الفقه .

9- "منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين" وهو كتاب مختصر تضمن ذكر القول الراجح بدليله في المسائل الفقهية .

10- "القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة" وهو كتاب تضمن حوالي ستين قاعدة من القواعد الفقهية، وقد طبع ووزّع مجّانا .

11- "حكم شرب الدّخان" وقد فرغ منها المؤلف سنة 1367هـ، وقد بين فيها الشيخ حرمة الدخان وذلك لمضاره الكثيرة .

12- "الجهاد في سبيل الله" وهي رسالة فيها الحثّ على التعاون والألفة بين أفراد المسلمين، كما تحثّ على الإعداد للجهاد لمنازلة الأعداء .

13- "وجوب التعاون بين المسلمين وموضوع الجهاد الديني وبيان كليات من براهين الدين" وقد فرغ منه المؤلف سنة 1367هـ، وقد ضمنها الشيخ مجموعة من الضوابط الكليّة والبراهين على أنّ دين الإسلام هو الدين الحقّ .

14- "الجمع بين الإنصاف ونظم بن عبد القوي" وهو مخطوط وصل فيه الشيخ إلى كتاب الحجّ فقط .

<u>رابعا</u>: مؤلفاته في الحديث: وهي:

له في الحديث كتاب واحد هو "بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار" وهو شرح لـ تسعة وتسعين حديثا من الأحاديث الجوامع، طبع مرتين .

خامسا: الكتب التي فيها خطب الشّيخ: وهي:

1- "الخطب المنبرية على المناسبات" جمع فيه ثلاثين خطبة، تشمل مناسبات السّنة كلّها .

2- "مجموعة الخطب في المواضيع النافعة"، وقد فرغ منه المؤلف سنة 1365هـ، وقد جاءت في حدود ستين خطبة .

3- "الفواكه الشهيّة في الخطب المنبرية" طبع في حياة المؤلف سنة 1372هـ، وقد تضمن حوالي إحدى وسبعين خطبة في مواضيع متفرقة ومناسبات متعددة .

هذه هي أهمّ مؤلفات الشيخ بن سعدي، وهناك مؤلفات أخرى من رسائل وفتاوى، وهي تدلّ بجموعها على خفّة قلم الشيخ وعلى غزارة علمه وتنوعه في شتى فنون الشريعة-وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء-[97] .

وبعد هذه الرحلة التي عشناها في هذا الفصل التمهيدي مع حياة الشيخ بن سعدي الشخصية والعلمية، يمكن الوصول إلى نتيجة نختم بها هذا الفصل، وهي أنّ الله تعالى قد هيّأ للشيخ بن سعدي جميع الظروف المناسبة التي كوّنت منه عالما من العلماء الأفذاذ في هذه الأمّة، كما أنّ الشيخ حسم أمره وسَمَت همّته منذ صغره لِأَنْ يخدم دين الله تبارك وتعالى، ويبذل في سبيل ذلك ماله وعمره وكلّ ما يملك، حيث لازم التعلّم والتعليم من صغره فكان له ما أراد -فنسأل الله تعالى أن يرحمه رحمة واسعة- .

---

[97]- أثر علامة القصيم الشيخ عبد الرحمان السّعدي على الحركة العلمية المعاصرة، تأليف: عبد الله الطيار، ط 1، سنة 1413هـ/ 1996م، دار بن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ص 27-57 .

الفصل الأول:

القسم النظري للبحث:

وقسّمت هذا الفصل إلى مبحثين هما:

المبحث الأول:

مدخل عام لقواعد التفسير ودراسة تفصيلية لكتاب "القواعد الحسان".

المبحث الثاني:

دراسة نظرية لقواعد التفسير التي ذكرها الشيخ بن سعدي في كتابه "القواعد الحسان".

المبحث الأول

مدخل عام لقواعد التفسير ودراسة تفصيلية لكتاب "القواعد الحسان"

وقد قسمت هذا المبحث إلى مطلبين هما:

المطلب الأول : مدخل عام لقواعد التفسير .

المطلب الثاني : دراسة تفصيلية لكتاب "القواعد الحسان" .

المطلب الأول :

مدخل عام لقواعد التفسير:

ويحتوي هذا المطلب على مقدّمات يحتاجها كلّ من أراد أن يلج باب علم قواعد التفسير، ولتحقيق هذا الغرض قسمت هذا المطلب على شكل فروع هي كالآتي:

الفرع الأول: تعريف القاعدة لغة واصطلاحا:

أ – تعريف القاعدة في اللغة:

بالنظر إلى ما ذكره بعض علماء اللغة في المعنى اللّغويّ للقاعدة يتبيّن أنّ القاعدة في اللغة، تطلق على عدة معان، أهمّها:

1 – **القاعدة من النخل:** وهي النخل التي تنالها اليد[98] ، أو هي النّخلة التي حملت سنة و لم تحمل سنة[99] .

2– **قواعد الهودج:** قال بن فارس[100]: "وهي خشبات أربع تحته ركّب فيهنّ" [101] .

---

[98]ـــ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت:400هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط 3، دار الملايين، بيروت، ج 2 ص 255 مادة (قعد) .

[99]ـــ لسان العرب، تأليف:جمال الدين بن منظور(ت:711هـ)، حققه: عامر أحمد حيدر، راجعه: عبد المنعم جليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج 2 ص 744 مادة (قعد) .

[100]ـــ ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، ولد سنة 329هـ من أئمة النحو واللغة والأدب، أقام مدة بقزوين ثم انتقل واستقر أخيرا بالرّيّ إلى أن توفي بها، من تصانيفه: "جامع التأويل في تفسير القرآن" و"معجم مقاييس اللغة" وغيرها، توفي سنة 395هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، ج 1 ص 193، وطبقات المفسّرين للسيوطي، ج 1 ص 15 .

[101]ـــ معجم مقاييس اللغة، تأليف:أحمد بن فارس (ت:395هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ج 5 ص 108 والقاموس المحيط، تأليف: الفيروز أبادي، ط 2، المكتبة الحسينية المصرية، ج 1 ص 328 .

3- **قواعد البيت**: وهي أساطينه وقوائمه التي يعتمد عليها، كما جاء في القرآن قوله تعالى: ﴿ **وَإِذ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنْ الْبَيْتِ** ﴾ **[البقرة:126]** وقوله: ﴿ **فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ** ﴾ **[النحل:26]**[102] .

4- **القاعد من النساء**: وهي التي قعدت عن الولد وعن الحيض وعن الزوج والجمع قواعد، كما جاء في القرآن ﴿ **وَالْقَوَاعِدُ مِنْ النِّسَاءِ** ﴾ **[النور:60]**[103] .

5- **قواعد السحاب**: وهي أصوله المعترضة في آفاق السماء شبّهت بقواعد البناء[104] .

وكلّ ماذكر من المعاني اللغوية للقاعدة يؤول كلّها إلى معنى واحد يجمعها وهو الأساس فقواعد كلّ شيء: أسسه وأصوله التي ينبني عليها، سواء كان ذلك الشيء حسيّا كما في الأمثلة المتقدمة، أو معنويا كما تقول مثلا: قواعد الإسلام، قواعد العلم... إلخ[105] .

ب – <u>تعريف القاعدة اصطلاحا</u>:

لقد عرّف العلماء القاعدة في الاصطلاح بعدّة تعريفات، نذكر أهمها مع بيان الملاحظ عليها:

1- قال أبو البقاء الكفوي[106] : "القاعدة: اصطلاحا: قضية كلية من حيث اشتمالها بالقوة على أحكام جزئيات موضوعها، وتسمى فروعا، واستخراجها منها تفريعا، كقولنا كلّ إجماع حق"[107] .

2- قال الجرجاني[108] : "القاعدة هي قضية كليّة منطقبة على جميع جزئياته"[109] .

---

[102]ـــ معجم مقاييس اللغة، ج 5 ص 108، ولسان العرب، ج 2 ص 744، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تأليف: أحمد بن علي الفيومي (ت:770هـ)، دار القلم، بيروت، لبنان، ص 700 .

[103]ـــ تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: مرتضى الزبيدي (1205هـ)، تحقيق: علي شبري، دار الفكر، 1414هـ/1994م،، ج 5 ص 196، ومعجم مقاييس اللغة، ج 5 ص 108 .

[104]ـــ لسان العرب ج 2، ص 744 مادة (قعد) .

[105]ـــ نظرية التقعيد الفقهي وأثرها في اختلاف الفقهاء، محمد الرّوكي، سنة 1994م، ص 38 .

[106]ـــ الكفوي: أيوب بن موسى أبو البقاء، كان من قضاة الأحناف، ولي القضاء في (كفّة) بتركيا وفي القدس وبغداد ثم عاد إلى استنبول، من مؤلفاته: "الكليات معجم في المصطلحات" و"الفروق اللغوية" توفي سنة 1094م . انظر: الأعلام، ج 2 ص 38، ومعجم المؤلفين، ج 3 ص 31 .

[107]ـــ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تأليف: أبي البقاء الكفوي (ت:1094هـ)، حققه: محمد المصري وعدنان درويش، ط 2،سنة 1413هـ/1993م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 728 .

3- قال التفتزاني[110] : "القاعدة حكم كليّ ينطبق على جزئياته لتعرف أحكامها منه"[111] .

4- قال مصطفى الزرقاء[112] : "هي حكم أغلبيّ ينطبق على معظم جزئياته"[113] .

وهذه المعاني الاصطلاحية التي ذكرها العلماء في تعريف القاعدة تنقسم إلى قسمين:

فمنهم من قال بأنّ القاعدة حكم كليّ، ومنهم من قال بأنّ القاعدة هي حكم أغلبي:

فأمّا الذين قالوا: هي حكم كلّي مثل أبي البقاء الكفوي والجرجاني والتفتزاني، فلأنّ شأن القواعد أن تكون كليّة وأنّ الفرع أو الفروع المخرّجة منها ليست داخلة فيها، إذ هي كلية بالنسبة إلى غير تلك الفروع المخرّجة منها، فالدليل الذي أخرج هذا الفرع أو الفروع منها، خصّصها بما وراء ه من فروع[114] .

وأما الذين قالوا: هي حكم أغلبيّ مثل مصطفى الزرقاء وعبد الرحمان الشّعلان، فلأنّ القاعدة لا تنطبق على جميع الجزئيات في كلّ قاعدة، وإنما هي حكم أغلبي، ذلك أنّ كثيرا من القواعد تشذّ عنها بعض المسائل فتعدّ مستثناة منها ولا يقدح ذلك في كونها قاعدة، وبذلك صار الحكم أغلبيّا .

---

[108]ـــ الجرجاني: علي بن محمد الجرجاني أبو الحسن، ولد سنة 740هـ، عالم حكيم مشارك في أنواع العلوم، حنفي المذهب ومن كبار علماء العربية، درس في شيراز وأقام بها إلى أن مات، له نحو خمسين مؤلّفا منها "التعريفات" و"شرح الشيرازية " وغيرها، توفي سنة 816هـ . انظر: الأعلام، ج 7 ص 108، ومعجم المؤلفين، ج 2 ص 515 .

[109]ـــ التعريفات معجم فلسفي منطقي صوفي فقهي لغوي نحوي، تأليف: الشريف الجرجاني (816هـ)، تحقيق: عبد المنعم الحنفي، دار الرشد، القاهرة، ص 195 .

[110]ـــ التفتزاني: مسعود بن عمر التفتازاني، ولد بتفتزان سنة 722 هـ، أخذ عن أكابر العلماء في عصره فحصّل الكثير من العلوم ورحل إليه الطلبة، شرع في التصنيف وعمره ست عشرة سنة، فألّف في العقائد والأصول وغيرها من مؤلفاته "شرح العقائد" و"شرح التوضيح" وغيرها، توفي بسمرقند سنة 792هـ . انظر: البدر الطالع، ص 821-823 .

[111]ـــ شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح، تأليف: مسعود بن عمر التفتازاني (792هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 1 ص 20 .

[112]ـــ مصطفى الزرقاء: ولد بحلب سنة 1321هـ، ورحل إلى مصر بعدما تخرج من الثانوية بسوريا والتحق بكلية الشريعة بالأزهر، ثم تابع دراسته فتخصص في علم النفس،درّس في عدة جامعات بمصر وسوريا وغيرها، من مؤلفاته:"المدخل الفقهي" توفي سنة 1420هـ. انظر: المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، ج 1 ص 70-72 .

[113]ـــ المدخل الفقهي العام، مصطفى الزرقاء (ت: 1420هـ)، دار الفكر، ج 2 ص 946 .

[114]ـــ قواعد الترجيح عند المفسرين -دراسة نظرية تطبيقية- ، تأليف: حسين الحربي، راجعه وقدم له الشيخ: مناع بن خليل القطان، ط 2، 1429هـ/2008م، دار القاسم، ج 1 ص 30 .

والظاهر أن الخلاف بين التّعريفين صوريّ، لأنّ كلا الفريقين يقول بأن القاعدة لها مستثنيات إلا أنّ منهم من يرى بأن هذه المستثنيات لا تدخل في القاعدة أصلا، ومنهم من يـــرى بأنهـــا داخلة فيها إلا أنّها خرجت بدليل[115] .

الفرع الثاني: تعريف التفسير لغة واصطلاحا:

أ – تعريف التفسير لغة:

اختلف علماء العربية في أصل لفظ "التفسير" على أقوال متعددة، أهمّها ما يلي:

1- أنه مأخوذ من "الفَسْر": وهو الكشف والبيان لما خفي وغطّي، قال ابن منظور[116] : "فسَر الشّيء يفسِره بالكسر، ويفسُرُه بالضم فسرًا وفسّره أبانه، والتفسير مثله"[117] .

2- أنه مقلوب من "سَفَرَ" ومعناه أيضا الكشف، يقال سَفَرَت المرأة سُفورا، إذا ألقت خمارها عن وجهها وهي سافرة، وأسفر الصبح أضاء وإنّما بنوه على التّفعيل، لأنه للتكثير كقوله تعالى: ﴿**يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ**﴾ **[البقرة 49]** وقوله تعالى: ﴿**وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ**﴾ **[يوسف 23]** فكـــأنه يتبع سورة بعد سورة وآية بعد آية[118] .

---

[115] ـــ قواعد الترجيح عند المفسرين، ج 1 ص 31 .

[116] ـــ ابن منظور: جمال الدين بن منظور الإفريقي أبو الفضل، ولد بمصر سنة 630هـــ، اختصر كثيرا من الكتب وقيل بلغت مختصراته خمسمائة مجلد، ولي قضاء طرابلس وكان عارفا بالنحو واللغة والتاريخ والكتابة، وعنده تشيع بلا رفض، له مؤلفات منها: "لسان العرب"، توفي سنة 711هـــ . انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تأليف: جلال الدين السيوطي (ت:911هـــ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا، ج 1 ص 248، والأعلام، ج 7 ص 108 .

[117] ـــ المفردات في غريب القرآن، تأليف: الراغب الأصفهاني (ت:502هـــ)، تحقيق: محمد خليل عيناني، دار المعرفة، بيروت لبنان، ص 382، ولسان العرب، ج 3 ص 632 مادة (فسر) .

[118] ـــ البرهان في علوم القرآن، تأليف: بدر الدين الزركشي (ت:794هـــ)، ط 3، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 3، دار الفكر، ج 2 ص 147 .

3- أنه مأخوذ من "التّفْسِرَة" قال الأزهري[119] : "وقال اللّيث: التَّفْسِرَةُ: اسم للبول الذي ينظر فيه الأطباء يستدلّون بلونه على علّة العليل، وكل شيء يعرف به تفسير الشّيء ومعناه، فهو تفسرته قالوا فكذلك المفسّر ينظر في الآية لاستخراج حكمها ومعناها[120] .

4- أنه مأخوذ من "التَّفْسِير" قال الزبيدي[121]: "التفسّر: الاستفسار، واستفسرته كذا، سألته أن يفسّره لي"[122].

هذه هي أهم الأقوال التي قيلت في أصل كلمة تفسير، وكلّ هذه المعاني تدور على الكشف والبيان، سواء كان ذلك في المعاني أم في المحسوسات والأعيان، فيقال فسّر الكلام أي: أبان معناه وأظهره، كما يقال: فسر عن ذراعه أي: كشف عنها[123] .

ب – <u>تعريف التفسير اصطلاحا</u>:

لقد عرف العلماء من المفسّرين وغيرهم مصطلح "التفسير" بعدّة تعريفات نذكر منها:

---

[119]ـــ الأزهري: محمد بن أحمد الأزهري الشافعي أبو منصور، ولد سنة 288هـــ، أحد أئمة اللغة والأدب عني بالفقه فاشتهر به ثم تبحر في علوم العربية، وقع في أسر القرامطة، له عدة مؤلفات منها : "تهذيب اللغة" وكتاب في التفسير وغيرها، توفي سنة 370هـــ . انظر: طبقات الشافعية الكبرى، تأليف: تاج الدين السبكي (ت:771هـــ)، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو،ط 2، سنة 1413هـــ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ج 3 ص 63، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تأليف:محمد الفيروز آبادي (ت: 817هـــ)، تحقيق: محمد المصري، ط 1، سنة 1407هـــ، دار جمعية التراث الإسلامي، الكويت، ص 59 .

[120]ـــ تهذيب اللغة، تأليف: محمد بن أحمد الأزهري (ت:370هـــ)، تحقيق: عبد العليم البردوني، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ج 12 ص 407، والقاموس المحيط، تأليف: الفيروز أبادي (ت:817هـــ)، ط 2، المكتبة الحسينية، ج 2 ص 110، وتاج العروس، ج 7 ص 349 مادة (فسر) .

[121]ـــ الزبيدي: محمد بن محمد الحسيني الزبيدي أبو الفيض، ولد بالهند سنة 1145هـــ ونشأ في زبيد باليمن ورحل إلى الحجاز وأقام بمصر واشتهر وغلى الناس فيه حتى ذكروا أن من حج و لم يصله بشيء فحجّه ناقص، من مؤلفاته "تاج العروس" وغيره، توفي بالطاعون في مصر سنة 1205هـــ . انظر: الأعلام، ج 7 ص 70، ومعجم المؤلفين، ج 3 ص 681 .

[122]ـــ تاج العروس، ج 7 ص 349 مادة (قعد) .

[123]ـــ قواعد التفسير –جمعا ودراسة- ، تأليف: خالد عثمان السبت، ط 1، سنة 1426هـــ/2005م، دار بن عفان للنشر والتوزيع، القاهرة، ج 1 ص 25 .

1- تعريف بن جزيّ[124] حيث قال: "معنى التفسير: شرح القرآن وبيان معناه والإفصاح بما يقتضيه بنصّه أو إشارته أو فحواه"[125] .

2- تعريف الزركشي[126] حيث قال: "التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد -صلَّى اللَّه عليه وسلّم- وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ"[127] .

3- تعريف بن عاشور[128] حيث قال: "هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني القرآن، وما يستفاد منها باختصار أو توسّع"[129] .

4- تعريف الزرقاني[130] حيث قال: "التفسير: علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية " . ثمّ شرح هذا التعريف فقال:

- المراد بكلمة "علم" المعارف التصوّرية .

---

[124]ـ ابن جزي: محمد بن أحمد بن جزي الكلبي أبو القاسم، من أهل غرناطة، ولد سنة 693هـ، كان حريصا على العلم مقيّدا ومدوّنا له، فقيها حافظا مشاركا في عدة فنون من عربية وأصول وحديث وأدب لذلك كانت له مؤلفات كثيرة منها: "القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية " وتفسير "التسهيل لعلوم التنزيل" وغيرهما، توفي سنة 785هـ . انظر: الديباج المذهّب في أعيان علماء المذهب، تأليف: ابن فرحون (ت:799هـ)، تحقيق: علي عمر، ط 1، 1423هـ/2003م، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ج 2 ص 252، والدرر الكامنة، ج 3 ص 356 .

[125]ـ كتاب: التسهيل لعلوم التنزيل، تأليف: ابن جزي الغرناطي (ت:785هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم اليونسي وإبراهيم عطوة عوض، أم القرى للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ج 1 ص 11 .

[126]- الزركشي: محمد بن بهادر عبد الله المصري الشافعي أبو عبد الله، محدث، فقيه، أصولي، أديب، ولد في مصر سنة 745هـ كان معتنيا بالعلم، رحل إلى حلب وسمع الحديث بدمشق وغيرها، درس وأفتى وولي مشيخة خانقاه كريم الدين، له عدة مؤلفات منها: "البرهان في علوم القرآن" و"البحر المحيط" وغيرهما، توفي بمصر سنة 794هـ . انظر: الدرر الكامنة، ج 3 ص 397-398، ومعجم المؤلفين، ج 3 ص 174-175.

[127]ـ البرهان في علوم القرآن، ج 1 ص 13 .

[128]ـ ابن عاشور: محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة، ولد سنة 1296هـ بتونس، عيّن شيخا للإسلام مالكيا سنة 1932م، وكان من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، له عدة مؤلفات منها: "التحرير والتنوير" و"مقاصد الشريعة الإسلامية" وغيرها، توفي سنة 1393هـ . انظر: الأعلام، ج 6 ص 174، ومعجم المؤلفين، ج 2ص 12.

[129]ـ التحرير والتنوير، تأليف: الطاهر بن عاشور (ت:1393هـ)، الدار التونسية، تونس، سنة 1984م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج 1 ص 11 .

[130]ـ الزرقاني: محمد عبد العظيم الزرقاني من علماء الأزهر بمصر، تخرج بكلية أصول الدين وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث، من مؤلفاته: "مناهل العرفان علوم القرآن" توفي بالقاهرة سنة 1367هـ . انظر: الأعلام، ج 6 ص 210 .

- وخرج بقولنا: "يبحث فيه عن أحوال القرآن " العلوم الباحثة عن أحوال غيره .
- وخرج بقولنا: "من حيث دلالته على مراد الله تعالى" العلوم التي تبحث عن أحوال القـــرآن من جهة غير جهة دلالته، كعلم القراءات، والرسم العثماني .
- وقولنا: "بقدر الطاقة البشرية" لبيان أنه لا يقدح في العلم بالتفسير، عـــدم العلـــم بمعـــاني المتشابهات، ولا عدم العلم بمراد الله في الواقع ونفس الأمر[131] .

هذه هي أهم التعريفات التي ذكرها العلماء في المعنى الاصطلاحي للتفسير، وهـــي تعـــاريف متقاربة تدور كلّها حول كون التفسير شرح لمعاني القرآن وبيان ألفاظه بأسلوب سهل ميسور، وهناك تعريفات أخرى ولكن نكتفي بما ذكرناه خشية الإطالة [132] .

<u>الفرع الثالث</u>: تعريف " قواعد التفسير" بصفته لقبا لعلم معيّن:

إنّ الكلام في ضبط مصطلح قواعد التفسير، يعتبر أمرًا عسيرا جدّا،وذلك لأسباب ذكرها الدكتور مصطفى فوضيل في مقالٍ له بعنوان "نظرات في مصطلح قواعد التفسير" حين قال: "الكلام في هذا الموضوع عسير من وجوه:

1- كون العلم الذي ينتمي إليه ما يزال في طور التأسيس .

2- اضطراب المصطلح حتى على مستوى عنوان العلم، فهل هي "قواعد التفسير" ؟ أو "أصول التفسير" ؟ أو "علم التفسير" ؟ أو "علوم القرآن" ؟ أو غيرها .

3- قلّة التأليف في هذا المجال بغضّ النظر عن قيمة هذا القليل .

4- توزّع هذه القواعد بين بطون كتب التفسير وعلوم القرآن وأصول الفقه وســـائر كتـــب التراث الإسلامي" .

فهذا الكلام الذي ذكره الدكتور: مصطفى فوضيل، يبيّن لنا صعوبة إيجاد تعريف دقيق لهـــذا العلم، ومع ذلك فقد حاول بعض المعاصرين ضبط تعريف هذا العلم فمنهم من قرّب ومنهـــم من بعّد، وسوف أكتفي بذكر تعريفين أحسب أنّهما أقرب إلى بيان المعنى الحقيقي لهذا العلم:

1- قال الدكتور مصطفى فوضيل: "ما يستند إليه من الأدوات العلميّة والمنهجيّـــة في تنـــاول النص القرآني، ويتوصّل بها إلى بيان معانيه واستخلاص فوائده"[133] . فهذا التعريف أدخل فيـــه

---

[131]ـــ مناهل العرفان في علوم القرآن، تأليف: محمد عبد العظيم الزرقاني (ت:1367هـــ)، ط 1، سنة 1427هـــ، 2006م، دار بن حزم، بيروت، لبنان، ص 329-330 .

[132]ـــ البرهان في علوم القرآن، ج 1 ص 13 والكليات، ص 260، والتعريفات، ص 91 .

[133]ـــ مقال نشره الدكتور مصطفى فوضيل في ملتقى أهل التفسير عنوانه "نظرات في مصطلح قواعد التفسير" .

صاحبه جميع الأدوات العلميّة التي يُعتمد عليها في التعامل مع النص القرآني، وهو معنى واسع جدا يشتمل على عدّة علوم .

2- قال الدكتور خالد السبت[134]: " هي الأحكام الكلية التي يتوصل بها إلى استنباط معاني القرآن العظيم، ومعرفة كيفية الاستفادة منها" . ثم شرح هذا التعريف فقال:

- "الأحكام الكلية " هو الأمر الكلي الذي ينطبق على جميع جزئياته .

- "التي يتوصل بها إلى استنباط معاني القرآن العظيم" أي: بالقوة بمعنى أنها قابلة لذلك، ومعدّة له وإن لم يستعملها أحد لهذا الغرض، وهذا القيد يخرج به القواعد التي لا يتوصل بها إلى الاستنباط من القرآن كبعض قواعد الأصول واللغة التي لا تمتّ لموضوعنا، وكقواعد المنطق و الهندسة مثلا .

- "ومعرفة كيفية الاستفادة منها" يدخل القواعد الترجيحيّة، وهذا القيد يذكر أيضا في تعريف أصول الفقه ليدخل به باب (التعارض و الترجيح)[135] . فهذا التعريف كما ترى قرّب معنى قواعد التفسير تقريبا جيدا، فبين أنها كلّيات عامة يعتمد عليها في استنباط الأحكام من القرآن الكريم .

وعند التأمّل في التعريفين المذكورين نلاحظ أنه لا يوجد فرق كبير بينهما، إذ أن كلّ واحد منهما أدخل كلّ القواعد التي يتعامل بها مع النص القرآني .

هذا أهمّ ما يمكن أن يذكر في تعريف قواعد التفسير -والله أعلم- .

<u>الفرع الرابع</u>: الفرق بين التفسير وقواعد التفسير:

مما سبق من التعريفات التي ذكرناها يتّضح لنا جليّا بأن هناك فرقا بين مصطلح "التفسير" ومصطلح "قواعد التفسير" ، وقد بين الدكتور خالد العك الفرق بينهما فقال: "هو أنّ الأصول هي المناهج التي تحدد وتبيّن الطريق الذي يلتزمه المفسّر في تفسير الآيات الكريمة، وأمّا التفسير فهو إيضاحه مع التقيّد بهذه المناهج، وإنّ مثل علم أصول التفسير بالنسبة للتفسير كمثل علم النحو بالنسبة للنطق العربي والكتابة العربية، فهو ميزان يضبط القلم واللسان ويمنعهما من الخطإ

---

[134]ـ خالد بن عثمان بن علي السبت: من مواليد منطقة الزلفى، عام 1384 هـ، انتقل مع والديه إلى منطقة الدمام، ودرس بها الابتدائية والمتوسطة والثانوية، ثم التحق بقسم السنة في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، له عدة منتجات علمية، منها: "كتاب مناهل العرفان دراسة وتقويم" وهي رسالة الماجستير، و "قواعد التفسير" وهي رسالة الدكتوراه انظر: المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبة العلم المعاصرين، ج1 ص69 .

[135]ـ قواعد التفسير، ج 1 ص 30 .

في آخر الكلم، فكذلك علم أصول التفسير هو ميزان للمفسّر يضبطه ويمنعه من الخطإ في التفسير، ولأنّه ميزان يتبين به التّفسير الصحيح من التّفسير الفاسد، كما يعرف بالنحو الكلام الصحيح من غير الصحيح وهكذا"[136] فهذا النّص المذكور وضّح الفرق بين المصطلحين، وهو أنّ قواعد التفسير علم وسيلة والتفسير غاية، كعلم النحو بالنسبة إلى النطق العربي .

الفرع الخامس: الفرق بين قواعد التفسير وبين علوم القرآن:

تعدّ قواعد التفسير جزءا من أشرف العلوم القرآنيّة وأهمّها، والنسبة بينهما هي نسبة الجزء إلى الكلّ هذا وقد يطلق مصطلح "قواعد التفسير" على جملة علوم القرآن، وهذا إمّا أن يكون من باب إطلاق الجزء على الكلّ، وإمّا لكون علوم القرآن والكتب المصنّفة في ذلك تشتمل على قواعد كثيرة من قواعد التفسير منثورة في أبوابه المختلفة .

والخلاصة أن علوم القرآن هي عبارة عن جميع العلوم المتعلقة بالقرآن من وجوه شتّى، أمّا قواعد التفسير فالمراد بها تلك الكليات والضوابط المخصوصة[137] .

الفرع السادس: موضوع علم قواعد التفسير:

إنّ المقصود بموضوع العلم في أيّ فن من الفنون، هو كما قال الدّكتور: عبد الوهاب الباحسين: "هو ما يبحث في ذلك العلم عن عوارضه الذاتية، كبدن الإنسان لعلم الطّبّ، فإنّه يبحث فيه عن أحواله من

حيث الصحة والمرض، وكالكلمة لعلم النحو، فإنه يبحث فيه عن أحوالها من حيث الإعراب والبناء[138] .

ولذلك فإنّ موضوع علم قواعد التفسير هو كلام الله سبحانه وتعالى الذي هو منبع كل حكمة ومعدن كلّ فضيلة، وذلك من حيث معرفة الضوابط والكليّات التي يجب اتّباعها في بيان المراد من كلام الله

ومعرفة الضوابط والكلّيات العامة التي لا يجوز الخروج عنها في بيانه"[139] .

---

[136]ـــ أصول التفسير وقواعده، تأليف: خالد العك، ط 3، سنة 1406هـ/1986م، دار النفائس، بيروت، ص 30-31 .

[137]ـــ قواعد التفسير ج 1 ص 33 .

[138]ـــ القواعد الفقهية، تأليف: عبد الوهاب الباحسين، ط 1، سنة 1418هـ/1998م، مكتبة الرشد الرياض، ص 109 .

[139]ـــ فتح البيان في مقاصد القرآن، تأليف: صديق بن حسن القنوجي البخاري (ت: 1307هـ)، سنة 1416هـ/ 1996م، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج 1 ص 11، وأصول التفسير وقواعده، ص 31 .

الفرع السابع: غاية علم قواعد التفسير:

والمقصود بغاية معرفة علم قواعد التفسير هو معرفة الغرض منه ومعرفة ثمرته التي تثمر عن ذلك، يقول الدكتور: خالد العك في بيان الغاية من هذا العلم "وغاية هذا العلم، معرفة معاني نظم القرآن الكريم وتوضيح آياته وكشف معانيها وتبين أحكامها وحِكَمها، للتوصل إلى حقيقة كتاب الله العزيز الحكيم، ليُفاز به إلى سعادتي الدنيا والآخرة"[140] وهناك غايات أخرى لهذا العلم من أهمها: تكوين الملكة عند طالب العلم حتى يصبح قادرا على تطبيق هذه القواعد والكليات على آيات القرآن الكريم فيتوصل بذلك إلى المعاني الصحيحة البعيدة عن الشذوذ والغرابة .

الفرع الثامن: حكم تعلم قواعد التفسير:

الكلام على هذه المسألة فيه تفصيل:

فأمّا حكم تعلّمه بالنسبة لمن أراد أن يتصدى لتفسير كتاب الله وبيان معانيه: فهذا فرض عين عليه، أن يكون محيطاً بقواعد هذا العلم إذ لا يعقل أن يفسّر الرّجل كلام الله وهو جاهل بالقواعد التي يجب عليه اتّباعها في هذه المهمّة العظيمة، ولأنّ جهله بهذه القواعد يجعله محرّفا لمعاني كتاب الله خارجا بها عن مقصودها، وهذا الحكم قد ذكره كلّ من صنّف في باب المفسر وشروطه، حيث ذكروا أنّه يجب أن تتوفر في المفسر شروط، ومن أهم هذه الشروط الإحاطة بهذه القواعد[141] .

وأمّا حكم تعلّم هذا العلم بالنسبة إلى عموم الأمّة: فهو فرض كفاية إذا قام به بعضهم سقط عن الباقي لأنّ المقصود قد حصل فلا يلتفت إلى من قام به .

الفرع التاسع: شرف علم قواعد التفسير:

قد سبق أنّ علم قواعد التفسير هو الآلة التي يعتمد عليها المفسّر في استنباط الأحكام ومعرفة المعاني المرادة من كتاب الله، لذلك فإن شرف علم قواعد التفسير تابع لشرف علم التفسير، ولنسق كلام بعض أئمة التفسير لبيان شرف هذا العلم:

---

[140]ـــ أصول التفسير وقواعده، ص 31 .

[141]ـــ الإتقان في علوم القرآن، ج 2 ص 175 .

1- قال القرطبي[142] -رحمه الله- : "... عن إياس بن معاوية قال: مَثَلُ الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من مَلِكهم ليلا وليس عندهم مصباح، فتداخلتهم رَوْعة ولا يدرون ما في الكتاب، وَمَثَلُ الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرؤوا ما في الكتاب"[143] .

2- قال الإمام السيوطي[144] -رحمه الله- : "... وقال الأصفهاني: أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن، بيان ذلك أنّ شرف الصناعة إما بشرف موضوعها وإما بشرف غرضها وإما بشدة الحاجة إليها... إذا عُرِفَ ذلك، فصناعة التفسير قد حازت الشّرف من الجهات الثلاث، أما من جهة الموضوع: فلأن موضوعه كلام الله الذي هو ينبوع كلّ حكمة ومعدن كلّ فضيلة فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه، وأما من جهة الغرض: فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السّعادة الحقيقية التي لا تفنى، وأما من جهة شدة الحاجة: فلأنّ كلّ عمل دينيّ أو دنيويّ عاجل أو آجل مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية وهي متوقفة على العلم بكتاب الله"[145] .

---

[142]ـ القرطبي: محمد بن أبي بكر أبو عبد الله القرطبي، من كبار المفسرين صالح متعبد من أهل قرطبة، رحل إلى المشرق واستقر بمصر بمنية، كان محيطا بمذاهب السلف حاكيا لها، له عدة مؤلفات منها: "الجامع لأحكام القرآن" و"التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة" وغيرها، توفي سنة 671هـ . انظر: سير أعلام النبلاء (الجزء المفقود)، تأليف: شمس الدين الذهبي (ت:748هـ)، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: شعيب الأرناؤوط، ط 3، سنة 1405هـ/1985م، مؤسسة الرسالة، سوريا، بيروت، ص 97، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، تأليف: ابن العماد الحنبلي (ت:1089هـ) أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، ط 1، سنة 1406هـ/1986م، دار بن كثير، دمشق، بيروت، ج 7 ص 484-485 .

[143]ـ الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبو عبد الله القرطبي (ت:671هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، سنة 1423هـ/ 2003م، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، الرياض، ج 1 ص 26 .

[144]ـ السيوطي: عبد الرحمان بن أبي بكر جلال الدين أبو الفضل، ولد سنة 849هـ بالقاهرة، إمام حافظ مؤرخ أديب، له نحو 600 مصنف، نشأ يتيما ولما بلغ الأربعين اعتزل الناس وخلا بنفسه فألّف أكثر كتبه، عرضت عليه الدنيا فرفضها، كان يلقّب بابن الكتب لأنّ أمّه ولدته بينها، من مصنَفاته "الإتقان في علوم القرآن" و"الدر المنثور" وغيرها، توفي سنة 911هـ . انظر: ذيل طبقات الحفاظ، تأليف: عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي (ت:911هـ)، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، ص 223 والضوء اللاّمع لأهل القرن التاسع، تأليف: شمس الدين السخاوي (ت:730هـ)، ضبطه وصحّحه: عبد اللّطيف بن حسن عبد الرحمان، ط 1، سنة 1424هـ/2003م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 4 ص 60-64 .

[145]ـ الإتقان في علوم القرآن، ج 2 ص 175 .

3- قال الشوكاني[146] -رحمه الله- : "... وبعد فإنّ أشرف العلوم علـــى الإطلاق وَأَوْلاهـــا بالتفضيل على الاستحقاق وأرفعها قدرا بالاتّفاق هو علم التفسير لكلام القوي القدير، إذا كان على الوجه المعتبر في الورود والصدور، غير مَشُوب بشيء من التفسير بالرّأي الذي هـــو مـــن أعظم الخطر، وهذه الأشرفيَّةُ لهذا العلم غنية عن البرهان قريبة إلى الأفهام والأذهان، يعرفها من يعرف الفرق بين كلام الخلق والحقّ ، ويدري بها من يميز بين كلام البشر وكلام خالق القوى والقدر، فمن فهم هذا استغنى عن التطويل، ومن لم يفهمه فليس يتأمّل للتحصيل"[147] .

من هذه النصوص التي ذكرناها يتبيّن لنا شرف علم قواعد التفسير وأنه أشرف العلوم علـــى الإطلاق لأنه يُتَوَصَّلُ به إلى معرفة المراد من كلام الله الـــذي هـــو أشـــرف الكلام وأحســـنه وأعظمه[148] .

<u>الفرع العاشر</u>: أهمية معرفة القواعد عموما وقواعد التفسير خصوصا:

<u>أمّا عن بيان أهميّة معرفة القواعد عموما</u>: فنسوق النصوص الآتية لبيان ذلك:

1- قال شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله- : "لا بدّ أن يكون مع الإنسان أصول كليّة يردّ بها الجزئيات ليتكلّم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت، وإلاّ فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات، وجهل وظلم في الكليات فيتولّد فساد عظيم"[149] .

2- قال الشيخ بن سعدي -رحمه الله- : "ومعلوم أن الأصول والقواعد للعلوم بمنزلة الأســـاس للبنيان، والأصول للأشجار، لا نبات لها إلاّ بها، والأصول تبنى عليها الفروع، والفروع تثبـــت وتتقوّى بالأصول، وبالقواعد والأصول يثبت العلم ويقوى ويُنمّى نماء مطردا، وبهـــا تُعْـــرَفُ

---

[146]ـــ الشوكاني: محمد بن علي الشوكاني أبو عبد الله، مفسّر، محدث، فقيه، أصولي، مؤرخ، أديب، نحوي،منطقي، متكلم، حكيم، ولد بهجرة شوكان سنة 1173هـــ ونشأ بصنعاء وولي القضاء بها ومات وهو حاكم عليها كان يرى حرمة التقليد، له مصنفات كثيرة منها: "فتح القدير" و"الفوائد المجموعة"، توفي سنة 1250هـــ . انظر: البدر الطالع، ص 732-741، ومعجم المؤلفين، ج 3 ص 541 .

[147]ـــ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف: محمد بن علي الشوكاني (ت:1250هـــ)، ضبطه: أحمد عبد السلام، ط 1، سنة 1415هـــ/1994م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 1 ص 11 .

[148]ـــ انظر للمزيد من معرفة شرف هذا العلم: التحرير والتنوير، ج 1ص 14، وفتح البيان، ج 1 ص 12 .

[149]ـــ مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ت:728هـــ)، جمع وترتيب: عبد الرحمان بن محمد بن القاسم وساعده ابنه: محمد، ج 19 ص 203 .

مآخذ الأصول كما أنها تجمع النظائر والأشباه التي من جمال العلم جمعها، ولها من الفوائد الكثيرة غير ما ذكرنا"[150] .

3- وقال أيضا في بيان أهميّة القواعد عموما:

فاحرص فهمك للقواعد جامعة المسائل الشوارد

فترتقي في العلم خير مرتقى وتقتفي سبل الذي قد وفّقا[151] .

من هذه النصوص تبيّن لنا أهميّة معرفة قواعد العلوم عموما ويدخل في ذلك ضمنا علم "قواعد التفسير" .

وأما عن بيان أهمية معرفة قواعد التفسير خصوصا: فنسوق نصين لبيان ذلك:

الأول: للإمام الزركشي -رحمه الله- حيث قال - في معرض كلامه عن الحاجة لتفسير القرآن- : "... ومعلوم أن تفسيره يكون بعضه من قبيل بسط الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها، وبعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض لبلاغته ولطف معانيه، ولهذا لايستغنى عن قانون عام يعوّل في تفسيره عليه، ويرجع في تفسيره إليه معرفة مفردات ألفاظه ومركباتها وسياقه وظاهره وباطنه وغير ذلك"[152] .

الثاني: للإمام الآلوسي[153] -رحمه الله- حيث قال - في معرض كلامه عن الحاجة إلى التفسير- : "وأما بيان الحاجة إليه فلأن فهم القرآن العظيم المشتمل على الأحكام الشرعية، أمره عسير لا يهتدي إليه إلاّ بتوفيق من اللطيف الخبير حتى أنّ الصحابة -رضي الله عنهم- ، على علوّ كعبهم في الفصاحة واستنارة بواطنهم بما أشرق عليها من مشكاة النبوّة كانوا كثيرا ما يرجعون إليه ـصلى الله عليه وسلمـ بالسؤال عن أشياء لم يعرّجوا عليها و لم تصل أفهامهم إليها"[154].

---

[150]ـ حصول المأمول، ص 23 .

[151]ـ منظومة القواعد الفقهية للشيخ بن سعدي، ص 1، البيت: 7 .

[152]ـ البرهان في علوم القرآن، ج 1 ص 15 .

[153]ـ الآلوسي: محمود بن عبد الله الحسيني شهاب الدين أبو الثناء، مفسر، محدث، أديب، من المجدّدين ولد ببغداد سنة 1217هـ كان سلفيّ الاعتقاد مجتهدا تقلد الإفتاء ببلده ثم عزل فانقطع للعلم، رحل إلى عدة بلدان ثم عاد إلى بغداد يدون رحلاته ويكمل مصنّفاته إلى أن مات،له عدة مصنفات منها: "روح المعاني" و"دقائق التفسير" وغيرهما، توفي سنة 1270هـ. انظر: الأعلام، ج 7 ص 176، ومعجم المؤلفين، ج 3 ص 815 .

[154]ـ روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، تأليف: محمد الآلوسي (ت:1270هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج 1 ص 5.

من هذه النصوص التي سبقت يتلخّص لدينا أن لمعرفة علم "قواعد التفسير" أهمية كبيرة تتمثل فيما يلي:

1- أنها تضبط الأمور المنتشرة وتنظّمها في سلك واحد، ممّا يمكّن من إدراك الروابط بين أقوال المفسّرين ويزوّد المطّلع عليها بتصوّر سليم يدرك به الصفات الجامعة لهذه الأقوال .

2- أن هذه القواعد تكوّن لطالب العلم ملكة في الاستنباط، فتجعله قادرا على استنباط الأحكام والفوائد من الآيات بسهولة .

3- أن فهم هذه القواعد وحفظها يساعد المفسّر على فهم مناهج المفسرين ويُمَكِّنُهُ من اتّباع طريقتهم ومنهجهم في تفسير القرآن .

هذه هي أهم النقاط التي تعطي لعلم قواعد التفسير أهمية بالغة، وهناك نقاط أخرى لكن نكتفي بما ذكرنا لأهميته .

الفرع الحادي عشر: استمداد هذا العلم:

إن مقصود العلماء بمصطلح "استمداد العلم" هو ما ذكره الشيخ الطاهر بن عاشور-رحمه الله- حيث قال: "إن استمداد العلم يراد به توقفه على معلومات سابق وجودها على وجود ذلك العلم عند مدوّنيه، لتكون عونا لهم على إتقان تدوين ذلك العلم"[155] . هذا بالنسبة إلى العلوم جميعا، وأما بالنسبة إلى علم "قواعد التفسير" فقد استمدّ العلماء هذه القواعد واستخرجوها من مصادر وعلوم متعددة هي كالآتي[156] :

1- **القرآن الكريم:** فكثير من قواعد التفسير استنبطها العلماء من القرآن الكريم، مثل قاعدة التعامل مع النصوص المحكمة والنصوص المتشابهة، فقد ذكر الله تعالى قاعدة التعامل مع هذه النصوص فقال سبحانه وتعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾ **[آل عمران: 7]** . فاستمدّ العلماء من هذه الآية قاعدة في التفسير ملخّصها: "أنّ النصوص المتشابهة تردّ في تفسيرها وتأويلها إلى النصوص المحكمة" .

---

[155]ـــ التحرير والتنوير، ج 1 ص 18 .

[156]ـــ وقد وجدتّ هذه المصادر التي استمد منها علم "قواعد التفسير" مشتتة في عدة كتب فحاولت جمعها، ومن هذه الكتب: التحرير والتنوير، ج 1 ص 23، وأصول التفسير وقواعده، ص 45، ومقال نشره الدكتور: مولاي عمر بن حماد في ملتقى أهل التفسير عنوانه: "الحاجة إلى قواعد التفسير"، وقواعد التفسير، ج 1 ص 40 وغيرها من الكتب .

2- **السنة النبوية:**وذلك أن بعض قواعد التفسير استنبطت من أحاديث النبي ــصلى الله عليه وسلمــ مثل قاعدة التعامل مع الإسرائيليات وأنّها تنقسم إلى ثلاثة أقسام: فمنها ما يقبل مطلقا، ومنها ما يردّ مطلقا، ومنها ما يُتَوَقَّفُ فيه بين القبول والرد[157] ، فهذه القاعدة جاءت أحاديث متعددة دلّت عليها، كقوله ــصلى الله عليه وسلم ــ : "حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"[158]، وقوله: "لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم"[159] ، فجمع العلماء بين هذه الأحاديث وغيرها واستخرجوا القاعدة التي سبق ذكرها وهي من قواعد التفسير .

3- **أقوال الصحابة والتابعين في بعض الآيات:** حيث أن بعض أقوالهم في آيات معينة تعدّ بمثابة قواعد تصلح لتفسير تلك الآية وغيرها، فجعلها العلماء قاعدة في التفسير .

4- **قواعد اللغة العربية:** وذلك لأنّ القرآن الكريم نزل بلسان عربيّ مبين فوجب الاعتماد في تفسيره على قواعدها وكليّاتها .

5 - **علم العقيدة والتوحيد:** وذلك لأن كثيرا من آيات القرآن الكريم تتحدث عن العقيدة الإسلامية، فَلَزِمَ من ذلك أن توجد قواعد مأخوذة من علم العقيدة لِيُتَعَامَلَ بها مع هذا النوع من الآيات .

6 - **كتب علوم القرآن:** لأن بعض مباحث علوم القرآن هي قواعد في التفسير، كمبحث الإسرائيليات ومبحث العموم والخصوص وغيرهما من المباحث .

7- **بعض مقدمات كتب التفسير:** كمقدمة تفسير ابن عطية والقرطبي وابن كثير... إلخ، حيث يذكر المفسّر في المقدمة أصولا وكليات يعتمد عليها في تفسيره للقرآن، ويمكن لغيره أن يعتمد عليها، فتجعل هذه الكليات قواعد في التفسير .

8- **الآثار النظرية المبثوثة في كتب التفاسير:** وهي التي توجد عندما يريد المفسّر التأصيل لمفهوم يريد تقريره، أو في نقده لقول من الأقوال... إلخ، فيكون هذا الكلام بمثابة قاعدة تصلح للتطبيق في آيات أخرى، فيجعل قاعدة في التفسير .

---

[157]ــ انظر: الإسرائيليات والموضوعات في التفسير، تأليف: الدكتور: محمد أبو شهبة، ط 4، مكتبة السنة، ص 135-137.

[158]ــ رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو-رضي الله عنه-، ك/ أحاديث الأنبياء، ب/ باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم الحديث: (3461) .

[159]ــ رواه البخاري معلّقا عن أبي هريرة-رضي الله عنه-، ك/ الشهادات، ب/ لا يسأل أهل الشرك عن الشهادات وغيرها، رقم الباب (29) .

9-**كتب أصول الفقه:** وذلك أنّ أصول الفقه عبارة عن قواعد كليّة تستنبط بها الأحكام الشرعيّة، وهذه القواعد تبحث في الكتاب والسنة، فكانت كالآلة للمفسّر في استنباط الأحكام، وهذه هي وظيفة قواعد التفسير، فنتج عن ذلك أنّ كثيرا من قواعد التفسير هي قواعد أصولية .

الفرع الثاني عشر: نشأة علم قواعد التفسير:

إنّ ما يقال في نشأة العلوم الشرعية وقواعدها هو نفسه ما يقال في نشأة علم التفسير وقواعده، لذلك فنحن في غنًى عن إعادة بسط الكلام في هذا الباب، لأن العلماء قد أشبعوا هذه المسألة بحثا في باب نشأة العلوم وفي مقدمات الكتب، ولكننا سنكتفي بإشارات خفيفة إلى نشأة هذا العلم عبر العصور، وبيان ذلك كما يلي:

إنّ الذي يبحث عن نشأة "علم قواعد التفسير" يجده متأخرا نوعا ما، وذلك لأسباب كثيرة نذكر منها سببين:

الأول: عدم حاجة أهل القرون الأولى إلى هذه القواعد لامتلاكهم الآلات التي يفهمون بها كلام الله تعالى: وقد ذكر ذلك الدكتور خالد العكّ، حيث قال: "الأصول والقواعد إنّما توضع لتكون موازين ضبط للفهم والإدراك منعا للانحراف وهذا الأخير مأمون من طرف الصّحابة وأهل القرون الأولى، لذلك لم يحتاجوا إلى هذا العلم فلم تظهر المؤلفات أثناء هذه الفترة"[160] .

الثاني: فهو ما ذكره الدّكتور مولاي عمر حمّاد، حيث قال: "وُجِدَ من يقول إنّ التفسير في حدّ ذاته ليس علما، ويرتّب على ذلك أنه لا حاجة لوضع تعريف له، وهو ما يشير إليه الذهبيّ حيث يقول: "يرى بعض العلماء أن التفسير ليس من العلوم التي يُتكّلف لها الحدّ لأنه ليس قواعد وملكات ناشئة عن مزاولة القواعد كغيره من العلوم التي أمكن أن تشبه العلوم العقلية" . ومن هنا يظهر أثر غياب أصول علم التفسير لأنّه برّر عدم الحاجة إلى وضع حدّ بأنه ليس له قواعد وملكات ناشئة عن مزاولة القواعد"[161] .

هذان السببان هما أهمّ الأسباب التي جعلت علم قواعد التفسير يتأخر في نشأته كعلم مستقل إلى حدود القرن الثامن -ونحوه- ومع ذلك فإنّه لا يمتنع أن يقال بأنّ بواكير هذا العلم بدأت تظهر منذ العصر النبوي على يد أفضل الخلق _عليه الصلاة والسلام_، ثم بدأ على يد أئمّة التفسير من الصحابة والتابعين -رضي الله عنهم- فكانت نشأة "قواعد التفسير" مواكبة لنشأة

---

[160]ـــ أصول التفسير وقواعده، ص 33-34 .

[161]ـــ مقال نشر في ملتقى أهل التفسير، للدكتور مولاي عمر بن حماد عنوانه: "الحاجة إلى قواعد التفسير" .

علم التفسير، إلاّ أنها كانت متفرّقة ومنثورة ضمن كتب التفسير، ثم ازدادت بازديـــاد كتـــب التفسير .

وفي القرن الثاني: دخلت قواعد التفسير طورا جديدا، إذ ظهرت جملة منها مدونة في أوّل كتاب ظهر في أصول الفقه وهو كتاب "الرسالة" للإمام الشافعي -رحمه الله- ، وكذا كتـــاب الأم وكتاب أحكام القرآن له أيضا .

وفي القرنين الثالث والرابع: اتسّع نطاق التدوين لقواعد التفسير وأصول اللّغة، وذلك في عدة مؤلفات من أهمها: كتاب "تأويل مشكل القرآن" للإمام بن قتيبة[162] وكتاب "جامع البيـــان في تفسير القرآن "

للإمام بن جرير الطبري[163] وكتاب "أحكام القرآن " للطحاوي[164] ، وكتاب "أحكام القرآن" للجصّاص[165]، وكتاب "الصاحبي" لابن فارس .

وفي القرنين الخامس والسادس: اتسع نطاق التدوين والتأليف في هذا العلم فظهرت مؤلفات كثيرة في التفسير وأصول الفقه واللغة وغيرها من العلوم، ومن أهم الكتب التي ظهرت في هذه

---

[162]ـــ ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم الكفوي الدينوري أبو محمد، ولد سنة 213 هـــ، نحويّ لغويّ نزل بغداد وحدث عن إسحاق بن راهويه وغيره قال الخطيب: كان ثقة دينا فاضلا، له تصانيف كثيرة منها: "مشكل القرآن" و"إعراب القرآن" وغيرهما، توفي سنة 276هـــ . انظر: والبلغة في تراجم أئمة النحو، ص 31، وبغية الوعاة، ج 2 ص 63 .

[163]ـــ الطبري: محمد بن جرير أبو جعفر، من أهل طبرستان، ولد سنة 225هـــ، أحد أئمة الدنيا علما ودينا، طاف الأقاليم في طلب العلم فحصل الكثير منه، كان حافظا لكتاب الله بصيرا بمعانيه فقيها في أحكام القرآن عالما بالسنن وطرقها، له مصنفات كثيرة منها: "جامع البيان في تأويل القرآن" و"تاريخ الأمم والملوك" وغيره، توفي سنة 310هـــ . انظر: طبقات الشافعية الكبرى، ج 3 ص 120، وطبقات المفسرين، تأليف: عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي (ت:911هـــ)، تحقيق: علي محمد عمر، ط 1، سنة 1396هـــ، مكتبة وهبة القاهرة، ج 1 ص 82 .

[164]ـــ الطحاوي: أحمد بن سلامة الأزدي المصري أبو جعفر، الإمام الفقيه الحافظ المحدث، نشأ في (طحا) من صعيد مصر، كان شافعيا ثم تحول حنفيا، رحل إلى الشام وتتلمذ على بن طولون، له تصانيف كثيرة منها "أحكام القرآن" و"مشكل الآثار" وغيرها وتوفي بالقاهرة سنة 321هـــ . انظر: سيرأعلام النبلاء، ج 15 ص 27، والجواهر المضية في طبقات الحنفية، تأليف: عبد القادر بن أبي الوفاء القرشي، تحقيق: مير محمد خان كراتشي، ج 1 ص 102 .

[165]ـــ الجصاص : أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي، ولد سنة 305 هـــ فقيه مجتهد تخرّج على يديه المتفقهة وانتهت إليه رئاسة الحنفية، من تصانيفه: "أحكام القرآن" وكتاب في أصول الفقه وغيرها، توفي ببغداد سنة 370هـــ . انظر: الجواهر المضيّة في طبقات الحنفية، ج 1 ص 84، والأعلام، ج 1 ص 171.

الفترة مما له صلة بموضوعنا كتاب "الإحكام" لابن حزم[166] ، وكتاب "البرهان" للجويني[167] ، وكتاب "المستصفى" للغزالي[168] ،
وكتاب "المحرر الوجيز" لابن عطية[169] . وغيرها من الكتب[170] .

وفي القرنين السابع والثامن: أخذ علم قواعد التفسير منحى جديدًا حيث بدأت تظهر مؤلفات خاصة في هذا العلم، فظهر الإمام الطّوفي الذي لاحظ أنه لا توجد مؤلفات خاصّة في التأصيل والتعقيد لعلم التفسير، فحاول أن يؤلف كتابا في التقعيد لهذا العلم، يقول الإمام الطـــوفي[171] : "إنه لم يزل يتلجلج[172] في صدري إشكال علم التفسير وما أطبق عليه أصحاب التفاســـير، و لم

---

[166]ـــ ابن حزم: علي بن أحمد بن حزم أبو محمد الأندلسي الظاهري، فقيه أديب أصولي محدث حافظ متكلم أديب، ولد بقرطبة سنة 384هـــ، كانت له رئاسة الوزارة فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف فكان يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة، انتقد كثيرا من العلماء فبغّضوا السلاطين والعوام عليه فطُرد إلى بادية "ليلة" بالأندلس، من تصانيفه: "المحلى" و"الإحكام" وغيرها، توفي سنة 456هـــ . انظر: سير أعلام النبلاء، ج 18 ص 184، وشذرات الذهب، ج 5 ص 239-242 .

[167]ـــ الجويني : عبد الملك بن عبد الله أبو المعالي، من أعلم أصحاب الشافعي، ولد في جوين سنة 419هـــ، تفقه على والده ودرس مصنَفاته حتى فاقه في التحقيق، درّس وأفتى بمكة والمدينة أربع سنين لذا لقّب بـــ "إمام الحرمين" تولى الخطابة بمدرسة النظامية بنيسابور، من مصنَفاته: "البرهان في أصول الفقه" و"نهاية المطلب في دراية المذهب" وغيرها، توفي سنة 478هـــ . انظر: طبقات الشافعية، تأليف: أبو بكر بن قاضي شبهة، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان،ط 1، سنة 1407هـــ، عالم الكتب، بيروت، ج 1 ص 256، وشذرات الذهب، ج 5 ص 338-342 .

[168]ـــ الغزالي: محمد بن محمد أبو حامد الطّوسي الغزّالي، ولد سنة 450هـــ بخراسان، فقيه شافعي أصولي متكلم متصوف، رحل إلى بغداد فالحجاز فالشام فمصر تتلمذ على الإمام الجويني بنيسابور، من مؤلفاته: "الوجيز" و"إحياء علوم الدين" وغيرها، توفي سنة 505هـــ. انظر: طبقات الفقهاء الشافعية، تأليف: أبو عمر بن الصلاح (ت:463هـــ)، تحقيق: محي الدين علي نجيب، سنة 1992م،دار البشائر الإسلامية، بيروت، ج 1 ص 249، وطبقات الشافعية لابن شهبة، ج 1 ص 293 .

[169]ـــ ابن عطية: عبد الحق بن غالب بن عطية أبو محمد الغرناطي، مفسّر فقيه وله شعر، ولد سنة 481هـــ، ولي قضاء المرية وكان يكثر من الغزوات في جيوش الملثمين،من مصنَفاته: "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، توفي سنة 542هـــ. انظر: طبقات المفسرين للسيوطي، ج 1 ص 50، وبغية الوعاة، ج 2 ص 73 .

[170]ـــ قواعد التفسير، ج 1 ص 42-43 .

[171]ـــ الطوفي: سليمان بن عبد القوي بن أبي العباس الحنبلي، ولد سنة 757هـــ ببغداد، بدأ طلبه للعلم بها ثم قدم الشام ومصر، كان قوي الحفظ شديد الذكاء متقلّلا من الدنيا وقد اتّهم بالرفض، من مؤلفاته: "مختصر الروضة" و"الإكسير في قواعد التفسير" وغيرها، توفي سنة 716هـــ . انظر: المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تأليف: برهان الدين محمد بن مفلح (ت:884هـــ)، تحقيق: عبد الرحمان سليمان العثيمين، سنة 1410هـــ/1990م، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ج 1 ص 426، والدرر الكامنة، ج 2 ص 154-157 .

[172]- يَتَلَجْلَجُ: أَيْ يَتَرَدَّدُ . انظر: طلبة الطلبة، لنجم الدين النسفي (ت: 537هـــ)، ج3 ص292 .

أجد أحدًا منه كشفه في ما ألّفه ولا نحاه في ما نحاه، فتقاضتني النّفس الطالبة للتخفيف الناكبة عن جمر الطريق، لوضع قانون يعوّل عليه، ويصار إليه في هذا الفنّ، فوضعت لذلك مردفا له بقواعد نافعة في علم الكتاب"[173] .

كما ظهرت مؤلفات خاصة لهذا العلم عند بن تيمية ككتابه "مقدمة في أصول التفسير" حيث قال في مقدمته: "أما بعد فقد سألني بعض الإخوان أن أكتب له مقدمة، تتضمن قواعد كلّية تعين على فهم القرآن ومعرفة تفسيره ومعانيه"[174] ، ومثل المباحث التي كتبها بن قيم الجوزية في كتابه "بدائع الفوائد" حيث ذكر عدة فوائد هي قواعد في التفسير، ومن المؤلفات أيضا في قواعد التفسير أثناء هذه الفترة، ما ذكره كثير من المفسرين من قواعد مبثوثة في أثناء تفاسيرهم أو في مقدماتها، كما هو الحال في كتاب "البحر المحيط" لأبي حيان[175] ، وتفسير القرطبي وبن كثير والزّركشي في "البرهان" وفي "المنثور في قواعد الفقه" ومؤلفات بن رجب الحنبلي[176] ... إلخ .

ثم بقيت قواعد التفسير مبثوثة في بطون الكتب في القرون الخمسة اللاّحقة ما بين كتب التفسير وأصوله وقواعد الفقه وأصوله[177] .

وفي القرن الرابع عشر: ظهرت مصنفات جديدة مستقلة في هذا الفن، أهمها كتاب "القواعد الحسان لتفسير القرآن" للشيخ عبد الرحمان السعدي، وكتاب "أصول التفسير وقواعده" لخالد العكّ، وكتاب "قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل" لعبد الرحمان حبنّكة الميداني، وكتاب" قواعد وفوائد لفقة كتاب الله" لعبد الله بن محمد الجوعي، وكتاب "قواعد الترجيح

---

[173]ـــ الإكسير للطوفي نقلا عن مقال: "الحاجة إلى قواعد التفسير" للدكتور: مولاي عمر بن حماد .

[174]ـــ مقدمة في أصول التفسير، ص 15.

[175]ـــ أبو حيان: محمد بن يوسف بن علي أثير الدين أبو حيان الأندلسي، ولد سنة 654هـ، مفسر محدث أديب مؤرخ نحوي لغويّ سمع الحديث بالأندلس والحجاز وغيرهما، درّس التفسير بالمنصورية، من مصنَفاته: "البحر المحيط" و"نهاية الأريب" وغيرها، توفي سنة 745هـ . انظر: بغية الوعاة، ج 1 ص 280، والبدر الطالع، ص 806-810 .

[176]ـــ ابن رجب: عبد الرحمان بن أحمد بن رجب أبو الفرج، ولد ببغداد سنة 736هـ، كان محدثا حافظا فقيها أصوليا مؤرخا من كبار علماء الحنابلة، أتقن الحديث فصار عالم العلل في زمانه، من مؤلفاته: "تفسيره للقرآن" جمع طارق عوض الله، و"جامع العلوم والحكم" وغيرها، توفي بدمشق سنة 795هـ . انظر: الدرر الكامنة، ج 1 ص 130-131، والمقصد الأرشد، ج 2 ص 81 .

[177]ـــ قواعد التفسير، ج 1 ص 42-43، وأصول التفسير وقواعده، ص 33-34 .

عند المفسرين" للدكتور حسين بن علي الحربي، وكتاب "قواعد التفسير" لخالد السبت، وهناك كتب أخرى من رسائل علمية أو مؤلفات مستقلة حول هذا العلم – ولله الحمد – .

الفرع الثالث عشر: المؤلفات في قواعد التفسير[178]:

والمقصود من هذا الفرع هو بيان الكتب التي عنون لها مؤلّفها بـــ "قواعد التفسير" أو مـــا يقارب هذه العبارة حسب الترتيب الزمنيّ، ثم الكلام على مضمونها، وقد استقصاها الـــدكتور خالد السبت فقال ما ملخّصه:

1- "قواعد التفسير" تأليف أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم الخضر محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله المعروف بـــ بن تيمية الحرّاني، الملقّب بفخر الدين بن الخطيب، الواعظ الفقيه الحنبلي، ولد في حران سنة 542هـــ، وتوفي بها سنة 621هـــ، وهذا الكتاب لم يصل إلينا وإنما ذكره صاحب كشف الظنون بالعنوان المشار إليه، وقال في مفتاح دار السعادة: "ومن التفاسير قواعد لابن تيمية، ثم ذكر شيئا من ترجمة المؤلف وقال: "وله تفسير القرآن الكريم" وكأنّه يقصد هذا الكتاب لأنه لم يذكر له غيره، فإن كان كذلك فالموافقة في العنوان فقط .

2- "المنهج القويم في قواعد تتعلق بالقرآن الكريم" تأليف شمس الدين بن الصائغ محمد بن عبد الرحمان الحنفي[179] وقد ذكره صاحب كشف الظنون و لم يذكر شيئا من المعلومات عنه – فالله أعلم– [180] .

3- "قواعد التفسير" لابن الوزير[181] (مخطوط) هكذا ذكر في فهرس التيمورية، وابن الـــوزير المشار إليه هنا هو محمد بن إبراهيم الوزير اليماني –رحمه الله– وبعد تطلب الكتاب وقفت عليه فإذ هو فصل من كتاب "إيثار الحق على الخلق" للمؤلف نفسه (مطبوع) وهو الفصل الواقع ما بين (ص 156-157) بعنوان فصل في "الإرشاد إلى طريق المعرفة لصحيح التفســـير"، وقـــد

---

[178]ـــ وغالب الكلام الذي سأذكره في هذا الفرع مأخوذ من كتاب "قواعد التفسير" لخالد السبت مع بعض التصرف والزيادات، وذلك لأنّه حاول استقصاء جميع المؤلفات في قواعد التفسير من مخطوطات ومطبوعات فوفّق إلى حدّ كبير .

[179]ـــ شمس الدين بن الصائغ: محمد بن عبد الرحمان أبو عبد الله الحنفي، ولد سنة 708هـــ، اشتغل بالعلم وبرع في اللغة والنحو والفقه، كان كثير الاشتغال بالعلم دمث الأخلاق، له عدة مصنفات منها: "المنهج القويم في القرآن الكريم" و"شرح ألفية بن مالك" وغيرها، توفي سنة 776هـــ . انظر: بغية الوعاة، ج 1 ص 155، ومعجم المؤلفين، ج 10 ص 144 .

[180]ـــ قواعد التفسير، ج 1 ص 43 .

[181]ـــ ابن الوزير: محمد بن إبراهيم أبو عبد الله عز الدين من آل وزير، مجتهد من أعيان اليمن ولد في هجرة الظهران سنة 775هـــ، تعلم بصنعاء ومكة وغيرهما، وفي آخر حياته أقبل على العبادة، من مؤلفاته: "تفضيل أساليب القرآن على أساليب اليونان" و"إيثار الحق على الخلق" وغيرها، توفي سنة 840هـــ . انظر: البدر الطالع، ص 599-610، والأعلام، ج 5 ص 300 .

تحدث فيه المؤلف عن طرق التفسير ومراتبه وأنواعه، وبهذا لا يعتبر هذا الكتاب من المؤلفات في قواعد التفسير (حسب الاصطلاح الخاص) .

4- "التيسير في قواعد علم التفسير" تأليف: محمد بن سليمان الكافيجي[182] وهو كتاب في علوم القرآن وقد طبع هذا الكتاب عام 1410هـ، بتحقيق: ناصر بن عبد المطرودي .

5- "القواعد الحسان لتفسير القرآن"للشيخ بن سعدي وسوف يأتي الكلام عليه بالتفصيل-إن شاء الله-.

6- "أصول التفسير وقواعده" تأليف:خالد بن عبد الرحمان العكّ، وهو مطبوع وموضوعه علوم القرآن.

7- "قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل" تأليف: عبد الرحمان حبنّكة الميداني، وهو كتاب مطبوع يقع في 840 صفحة مع الفهارس، وقد ذكر فيه المؤلف أمورا يراعيها القارئ لكتاب الله كي يحصل له التدبر، وهذه الأمور عبارة عن فوائد وتوجيهات ووصايا مع الإشارة إلى بعض الحكم المتعلقة بنصوص التأويل . وقد كتب هذا المؤلّف بأسلوب إنشائي مع استطراد في الأمثلة دون توثيق للمادة العلمية لكن يمكن أن يستخلص من هذا الكتاب أشياء قليلة تناسب موضوعنا "قواعد التفسير" بعد صياغتها صياغة لائقة .

8- "قواعد وفوائد لفقه كتاب الله تعالى"، تأليف: عبد الله بن محمد الجوعي، وهو كتاب مطبوع يقع في: 144صفحة مع الفهارس، وهذا العنوان يتضمن-كما هو ظاهر من العنوان- لطائف وفوائد مستنبطة من القرآن الكريم إضافة إلى بعض قواعد التفسير أشار المؤلف في مقدمة كتابه إلى أنه قيدها من كتب متفرقة إلى أن قال: "كثير من الفوائد لم أعزها وذلك لأنها مما علق في الذهن مما قرأته أو سمعته من بعض العلماء فيتعذر عزوه" وهذا الذي لا يعزوه المؤلف هو الغالب على الكتاب إذ العزوُ فيه قليل جدًا[183].

9- كتاب "دراسات في أصول التفسير" للدكتور: محسن عبد الحميد، وقد طبع هذا الكتاب سنة 1979م، وقد قسّم كتابه هذا إلى ثلاثة أنواع من القواعد، قواعد لغوية، قواعد نقلية، قواعد عقلية وهو عبارة عن مباحث في أصول التفسير .

---

[182]ـ الكَافِيَجِّي: محمد بن سليمان أبو عبد الله الكافيجي الحنفي، ولد سنة 788هـ، وهو روميّ الأصل واشتهر بمصر، عرف بالكافيجي لكثرة اشتغاله بالكافية في النحو، انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر، من تصانيفه: "التيسير في قواعد التفسير" و"نزهة المعرب "وغيرها، توفي سنة 879هـ . انظر: بغية الوعاة، ج 1 ص 117، ومعجم المؤلفين، ج 3 ص 332 .

[183]ـ قواعد التفسير، ج 1 ص 44-45، -بتصرف- .

10- كتاب "بحوث في أصول التفسير" للدكتور: محمد بن لطفي الضبّاع، وقد صدرت طبعته الأولى سنة 1988م .

11-كتاب "قواعد الترجيح عند المفسرين" للدكتور: حسين بن علي الحربي، وهي في الأصل رسالة عملية قدّمت لنيل درجة الماجستير، وقد طبع هذا الكتاب طبعته الثانية سنة 1429هـ/ 2008م، في مجلدين، وقد ذكر فيه مؤلفه القواعد التي يرجع إليها المفسّر في الترجيح بين أقوال المفسرين في الآية الواحدة ، وهو كتاب نافع جدًا .

12- كتاب "قواعد التفسير" للدكتور: خالد السبت، وهو في الأصل رسالة علميّة حصل بها درجة الدكتوراه، وقد طبع هذا الكتاب طبعته الأولى سنة 1426هـ، في مجلدين، ذكر فيه المؤلف حوالي مائتين وثمانين قاعدة من القواعد التي يرجع إليها المفسّر في تفسيره لكتاب الله، ثم لّما رأى صاحبه أنه كتاب طويل لا يصلح لكلّ الناس اختصره في مختصر مفيد، وهذا الكتاب والذي قبله يمكن أن يقال بأنهما أحسن الكتب التي ألّفت في علم "قواعد التفسير" في العصر الحديث باعتبار استيعابه، لعدد كبير من القواعد .

هذه هي أهمّ النقاط التي يمكن أن تذكر في هذا المدخل العام لقواعد التفسير وهي كافية لأن تكوّن لدى طالب هذا العلم تصوّرا تمكنه من الغوص فيه وفي تفاصيله هذا -والله أعلم- .

المطلب الثاني :

دراسة تفصيلية لكتاب "القواعد الحسان" .

وقد خصّصت الكلام في هذا المطلب على الكتاب المذكور لأنه يمثّل الجانب النظري لقواعد التفسير عند الشيخ، لذلك درسته دراسة تفصيلية وذلك من خلال الفروع الآتية:

الفرع الأول: تسمية الكتاب ومحتواه:

هذا الكتاب سماه مؤلفه "القواعد الحسان لتفسير القرآن" ، وهو اسم دالّ على محتواه، حيث حوى الكتاب قواعد وأصولاً يستعين بها المفسّر ليصل إلى المعنى المراد من كلام الله حتى لا يزيغ، وقد صدّره المؤلّف بمقدّمة، ذكر فيها فضل علم التفسير عموما وأنه أفضل العلوم على الإطلاق، كما ذكر فضل علم قواعد التفسير وأنها تعين قارئها على فهم كلام الله، ثم سرد القواعد التي أراد ذكرها، فذكر سبعين قاعدة بيّن فيها أصولا وكليات يحتاج إليها كلّ من أراد فهم كلام الله، ومثّل لهذه القواعد بأمثلة مختلفة كثرة وقلّة على حسب طبيعة القاعدة[184]، كما تجنب الشيخ ذكر الأدلة التي يقرر بها القاعدة، وتجنب كذلك سرد الخلاف في بعض القواعد المذكورة .

الفرع الثاني: طبعات الكتاب:

وأمّا عن طبعات هذا الكتاب، فقد طبع عدّة طبعات منها:

- الطبعة الأولى، بمطبعة أنصار السنة المحمدية بمصر سنة 1366هـ على نفقه المؤلف، وقد وزّعت هذه الطبعة مجّانا .

- ثم أعيد طبعه سنة 1400هـ على نفقة مكتبه المعارف في الرياض[185] .

- ثم طبع الكتاب طبعة أخرى سنة 1420هـ بدار الصميعي في جزء واحد، وقد اعتنى بهذه الطبعة: عبد الله بن محمد النّجدي وهذه الطبعة تعدّ أحسن طبعات الكتاب، باعتبار أن المعتني بها استفاد من الطبعات السابقة، وأخرج الكتاب في أحسن حلّة وأبهاها، وهي الطّبعة التي اعتمدتّ عليها في هذا البحث .

الفرع الثالث: سبب تأليفه:

لم يصرّح الشيخ بن سعدي بالسبب الذي دفعه لتأليف هذا الكتاب، ومع ذلك فإن هناك إشارات، في مقدمة الكتاب تبيّن أسباب تأليفه له، وهي كالآتي:

---

[184]ـ الشيخ عبد الرحمان السّعدي مفسّرا، ص 323 .

[185]ـ المصدر نفسه، ص 323 .

السبب الأول: إنّ الشيخ بن سعدي أراد أن يعين المشتغلين بكتاب الله على سرعة فهمه وضبط معانيه وهذا لا يكون إلا بمعرفة قواعد وكلّيات يضبطون بها المعاني الكثيرة بكلمات يسيرة، فألّف هذا الكتاب ليحقق الغرض المذكور، ويظهر ذلك جليًا من قوله في مقدمة الكتاب: "فهذه أصول وقواعد في تفسير القرآن الكريم، جليلة المقدار، عظيمة النفع، تعين قارئها ومتأمّلها على فهم كلام الله، والاهتداء به، ومخبَرُها أجلّ من وصفها، فإنها تفتح للعبد من طرق التفسير ومنهاج الفهم عن الله ما يعين على كثير من التفاسير الخالية من هذه البحوث النافعة"[186] .

السبب الثاني: الشرف العظيم الذي يناله علم التفسير حيث إنه أفضل العلوم وأجلّها على الإطلاق فأراد الشيخ أن يشتغل بهذا العلم لينال فضله وشرفه، ويظهر هذا السبب جليا في قول الشيخ: "واعلم أنّ علم التفسير أجلّ العلوم على الإطلاق وأفضلها وأوجبها وأحبّها إلى الله... فلو أنفق العبد جوهر عمره في هذا الفن لم يكن ذلك كثيرا في جانب ما هو أفضل المطالب، وأعظم المقاصد، وأصل الأصول كلّها وقاعدة أساسات الدين وصلاح أمور الدين والدنيا والآخرة "[187] .

السبب الثالث: وهو سبب وجدتّه مُصرَّحًا به في كتاب "فتح الرحيم الملك العلاّم" حيث ذكر سبب تأليفه لكتاب "القواعد الحسان" فقال: " أما بعد فقد كتبت سابقا كتابا مطوّلا في تفسير القرآن، فصار طوله من أكبر الدواعي لعدم نشره، لفتور الهِمَمِ ومَلَلِهَا من الطّول، ثم إنّي بعد ذلك استخلصت منه ومن غيره قواعد تتعلق كلّها بأصول التّفسير، وهي نعم العون للرّاغبين في علم التفسير الذي هو أصل العلوم كلّها فبلغت سبعين قاعدة، ويسّر المولى طبعها"[188] .

الفرع الرابع: منهجه فيه:

لقد تتبعت منهج الشيخ بن سعدي في عرضه للقواعد التي أراد تقريرها، فوجدته -في الغالب- لا يخرج عن المنهج الآتي:

1- أنه يذكر القاعدة بإيجاز، حيث يقتصر على الألفاظ المعبّرة عن القاعدة فقط، وذلك بكلام خبري .

---

[186] القواعد الحسان لتفسير القرآن، تأليف: عبد الرحمان بن ناصر السعدي، اعتنى به: عبد الله بن محمد النجدي، ط 1، سنة 1420هـ/1999م، دار الصّميعي، الرياض، ص 5 .

[187] المصدر نفسه، ص 6 .

[188] فتح الرحيم العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام، المستنبطة من القرآن، تأليف: عبد الرحمان بن ناصر السعدي، اعتنى به: عبد الرزاق البدر، ط 3، سنة 1424هـ، دار بن الجوزي، ص 17 .

2- يشرح القاعدة شرحا موجزا يبيّن فيه المعنى الإجمالي لها، وأحيانا يستغني عن شرح القاعدة لوضوحها .

3- يمثّل للقاعدة بأمثلة متنوعة، وذلك بتطبيقها على بعض الآيات من القرآن الكريم .

وبعد ذكر منهج الشيخ في كتابه، نذكر مثالا تطبيقيا يوضّح هذا المنهج ويجلّيه، ألا وهو القاعدة السابعة والعشرون:

- حيث قال: "المحترزات في القرآن تقع في كلّ المواضع في أشدّ الحاجة إليها"[189] ، وهذا سرد للقاعدة بأسلوب خبري .

- ثم قال: "وهذه القاعدة جليلة النفع عظيمة الوقع، وذلك أن كلّ موضع يسوق الله فيه حكما من الأحكام أو خبرا من الأخبار يتشوّف الذهن فيه إلى شيء آخر إلاّ وجدتّ الله قد قرن بذلك الأمر الذي يعلق في الأذهان فيبيّنه أحسن بيان"[190] ، وهذا شرح موجز للقاعدة .

- ثم قال: "فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا** ﴾ **[النمل: 91]** (الآية) لما خصّها بالذّكر ربّما وقع في بعض الأذهان تخصيص ربوبيّته بها، أزال هذا الوهم بقوله: ﴿ **وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ** ﴾، ومنها قوله تعالى: ﴿ **فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاءِ** ﴾ **[هود: 109]** لّما كان قد يقع في الذهن أنهم على حجّة وبرهان فأبان بقوله: ﴿ **مَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ** ﴾[191] ، وهذا تمثيل من الشيخ للقاعدة .

فهذا المثال بيّن لنا تطبيقيا المراحل الثلاثة التي يتّبعها الشيخ بن سعدي في تقرير القاعدة، وهي سرد القاعدة ثم شرحها جزئيا ثم التمثيل لها، وهناك أمثلة أخرى كثيرة يطول ذكرها فنكتفي بما ذكرنا ففيه الكفاية[192] .

<u>الفرع الخامس</u>: تصنيف القواعد التي ذكرها الشيخ بن سعدي في كتابه:

إنّ النّاظر إلى العنوان الذي اختاره الشيخ السّعدي لكتابه وهو "القواعد الحسان لتفسير القرآن" يظن أن كلّ ما ذكره الشيخ في هذا الكتاب هو قواعد في التفسير، ولكن واقع الكتاب لا يؤيّد ذلك، فإنّ المتفحّص له بدقّة، يجد بأنّ المؤلّف لم يذكر في هذا الكتاب قواعد التفسير

---

[189]ـــ القواعد الحسان، ص 105 .

[190]ـــ المصدر نفسه، ص 105 .

[191]ـــ الصدر نفسه، ص 105-106 .

[192]ـــ انظر كتاب "القواعد الحسان" القاعدة: الثانية الثلاثون ص 120، والقاعدة: السابعة والأربعون ص 160 وغيرها .

فقط، بل أدرج معها قواعد وكلياتٍ أخرى لا تعدّ قواعد في التفسير، وذلك مثل قاعدة "قد أرشد القرآن إلى منع الأمر المباح، إذا كان يفضي إلى محرّم أو ترك واجب"[193]. فهذه القاعدة من القواعد الأصولية وليست من قواعد التفسير وهي التي يعبّر عنها الفقهاء والأصوليون بـ قاعدة "سدّ الذرائع"، ومثلها أيضا قاعدة "من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه"[194] ، فهذه ليست قاعدة من قواعد التفسير، إنّما هي كليّة من كليّات القرآن، علمت من خلال التّتبّع للآيات التي تكلّمت على ترك المحرّمات خوفا من الله عزّ وجلّ، وإن كان الشّخص يظنّ أنّ في ترك هذا الأمر ضرر عائد عليه، لأنّ الله تعالى سيعوضه خيرا مما ترك .

ولعل سبب إدراج الشيخ بن سعدي لهذه القواعد والكليّات ضمن كتابه -والله أعلم- أنّ معنى القاعدة واسع عنده، فهو يرى أن كلّ قضية كليّة تندرج تحتها جزئيات متعددة، فهي قاعدة من قواعد التفسير، لذلك ذكر كليّات وإرشادات وقواعد فقهية... إلخ وسمّى ذلك كلّه قواعد في التفسير، وقد لاحظ هذه الملاحظة الدكتور: خالد السبت، وذكر ذلك في كتابه "قواعد التفسير" ، فإنّه وهو يعدّد الكتب التي أُلّفت في علم قواعد التفسير، ذكر منها كتاب "القواعد الحسان لتفسير القرآن" للشيخ بن سعدي، ثم قال: "وبعد دراسة القواعد التي ذكرها المؤلف -رحمه الله- وجدتّها على أربعة أنواع:

- فمنها قواعد في التفسير حقيقة، وتقارب العشرين قاعدة .
- ومنها ما يصلح أن يسمّى، قواعد قرآنية، وليست من قواعد التفسير، كالتي تعرف من خلال تتبع منهج القرآن في بعض القضايا، كمقابلة الوعد بالوعيد، وأهل الإيمان بضدّهم... وهكذا .
- ومنها فوائد ولطائف وليست بقواعد .
- ومنها قواعد فقهية مستنبطة من القرآن"[195] .

هذا ما ذكره خالد السبت، لكنه لم يصنّف القواعد المذكورة في الكتاب على حسب هذه الأقسام التي ذكرها، بل اكتفى بذكر هذه الأقسام و لم يمثل لها أصلا .

وأما عن تصنيف القواعد التي ذكرها الشيخ فإنني سوف أعتمد في تصنيفها على هذا التقسيم الرّباعي الذي ذكره خالد السبت، لأنه تقسيم يبيّن حقيقة الكتاب فعلا، ثم أمثل لكلّ قسم من

---

[193]ـ القواعد الحسان، ص 212 .

[194]ـ المصدر نفسه، ص 221 .

[195]ـ قواعد التفسير، ج 1 ص 44 .

تلك الأقسام ببعض القواعد التي ذكرها الشيخ بن سعدي، ولا أستقصي جميع القواعـــد، لأن ذلك يطول، وذلك وفق مايلي:

أولا : قواعد في التفسير:

وقد تبيّن لي – بحسب جهدي– أنّ هناك تسعة عشر قاعدة فقط، ممّا يصلح أن يطلق عليهـــا "قاعدة في التفسير"، وهذه القواعد التسعة عشر هي التي ستكون محلّ الدراسة في البحث تنظيرا وتطبيقا، ولذلك فإنّني لا أذكرها كلّها هنا، لأنّها ستأتي في المباحث القادمـــة، لكنّني أكتفـــي بذكر خمسٍ منها فقط، وهي كالآتي:

1– قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السّبب[196] .

2 – قاعدة: حذف المتعلق المعمول فيه يفيد تعميم المعنى المناسب له[197] .

3– قاعدة: ختم الآيات بأسماء الله الحسنى يدل على أن الحكم المذكور له تعلق بذلك الاسم الكريم[198] .

4– قاعدة: إذا أمر الله بشيء كان ناهيا عن ضده، وإذا عفا عن شيء، كان آمرا بضده، وإذا أثنى على نفسه أو على أوليائه بنفي شيء من النقائص، كان ذلك إثباتا للكمال[199] .

5– **قاعدة:** إذا كان سياق الآيات في أمور خاصة، وأراد الله أن يحكم عليها، وذلك الحكم لا يختص بها، بل يشملها ويشمل غيرها، جاء الله بالحكم العامّ [200] .

ثانيا: قواعد قرآنية:

وهذا النوع من القواعد يُعرَفُ من خلال تتبّع منهج القرآن في بعض القضايا، وأكتفي بذكر خمسٍ منها فقط، وهي كالآتي:

1– **قاعدة:** القرآن يجري في إرشاداته مع الزمان والأحوال في أحكامه الراجعـــــة للعـــرف والعوائد [201] .

---

[196]ـــ القواعد الحسان، ص 10 .

[197]ـــ المصدر نفسه، ص 50 .

[198]ـــ المصدر نفسه، ص 66 .

[199]ـــ المصدر نفسه، ص 160 .

[200]ـــ المصدر نفسه، ص 160 .

[201]ـــ المصدر نفسه، ص 79 .

2–**قاعدة:** طريقة القرآن، إباحة الاقتصاص من المعتدي ومقابلته بمثل عدوانه والنهي عن ظلمه والنّدب إلى العفو والإحسان[202] .

3– **قاعدة:** من قواعد القرآن أنه يستدل بالأقوال والأفعال على ما صدرت عنه مـــن الأخلاق والصفات[203] .

4– قاعدة: يرشد القرآن إلى الرجوع بالأمر المعلوم المحقق عند ورود الشبهات والتوهّمات[204].

5– **قاعدة:** القرآن كفيل بمقاومة جميع المفسدين ولا يعصم من جميع الشـــرور إلا التّمســـك بأصوله وفروعه[205] .

<u>ثالثا</u> : فوائد ولطائف قرآنية وليست قواعد:

ونذكر من هذا النوع خمسة أمثلة، هي:

1 – **قاعدة:** في أن الله قد ميّز في كتابه بين حقه الخاصّ وحـــقّ رســـوله الخـــاص والحـــقّ المشترك[206].

2– **قاعدة:** يرشد الله عباده في كتابه، من جهة العمل إلى قصر نظرهم إلى الحالة الحاضرة التي هم فيها، ومن جهة الترغيب فيه والترهيب من ضده إلى ما يترتب عليه من المصالح، ومن جهة النعم بالنظر إلى ضدّها[207] .

3– **قاعدة:** يأمر الله بالتثبّت وعدم العجلة في الأمور التي يخشى من عواقبها ويأمر ويحث على المبادرة على أمور الخير التي يخشى فواتها[208] .

4– **قاعدة:** إذا منع الله عباده المؤمنين شيئا تتعلق به إرادتهم فتح لهم بابا أنفع لهم منه وأسهل وأولى[209] .

---

[202]ـــ المصدر نفسه، ص 130 .

[203]ـــ القواعد الحسان، ص 214 .

[204]ـــ المصدر نفسه، ص 216 .

[205]ـــ المصدر نفسه، ص 222 .

[206]ـــ المصدر نفسه، ص 150 .

[207]ـــ المصدر نفسه، ص 145 .

[208]ـــ المصدر نفسه، ص 152 .

[209]ـــ المصدر نفسه، ص 164 .

5- قاعدة: معرفة الأوقات وضبطها حثّ الله عليه حيث يترتب عليه حكم عـــام أو حكـــم خاص[210] .

رابعا: قواعد فقهية مستنبطة من القرآن:

ونذكر منها خمس قواعد هي كالآتي:

1- **قاعدة:** الحثّ على أعلى المصلحتين .

2- **قاعدة:** تقديم أهون المفسدتين .

3- **قاعدة:** منع ما كانت مفسدته أرجح من مصلحته.

وهذه القواعد الثلاث قد جمعها الشيخ في قوله: "في القرآن عدّة آيات فيها الحثّ على أعلـــى المصلحتين، وتقديم أهون المفسدتين ومنع ما كانت مفسدته أرجح من مصلحته"[211] .

4- **قاعدة:** اعتبر الله القصد والإرادة في ترتيب الأحكام على أعمال العباد[212] .

5-**قاعدة:** قد أرشد القرآن إلى منع الأمر المباح إذا كان يفضي إلى محرّم أو ترك واجب[213].

هذه أهمّ المسائل التي وقفت عليها في دراستي لكتاب "القواعد الحسان" وهي تبيّن بوضـــوح القيمة العلمية للكتاب وأهميّته لمن أراد أن يدرس علم قواعد التفسير .

---

[210]ـــ المصدر نفسه، ص 201 .

[211]ـــ القواعد الحسان، ص 127 .

[212]ـــ المصدر نفسه، ص 132 .

[213]ـــ المصدر نفسه، ص 183 .

المبحث الثاني

دراسة نظرية لقواعد التفسير التي ذكرها الشيخ بن سعدي في كتابه "القواعد الحسان"

وسأتطرّق في هذا المبحث إلى دراسة القواعد التي سبقت الإشارة إليها أثناء الكلام على كتاب "القواعد الحسان" وهي تسعة عشر، لأنها هي التي ينطبق عليها حدّ "قواعد التفسير" أمّا باقي القواعد المذكورة فهي إما قواعد فقهية أو غيرها كما سبق تقسيمها .

وأما عن المنهج الذي اتّبعته في دراستي لها فهو كالآتي:

1- أذكر القاعدة بألفاظها كما ذكرها الشيخ .

2- إذا كانت هناك ألفاظ غامضة في القاعدة أشرحها باختصار، أمّا إذا كانت ألفاظها واضحة فإنّني لا أتعرّض لشرحها .

3- أذكر المعنى الإجمالي للقاعدة إذا وجدت من شرحها، أما إذا لم أعثر على شرح لها فإنني أجتهد بجهد المقلّ في شرحها، فأعتمد على ما ذكره الشيخ بن سعدي أثناء تقريره للقاعدة ثم أزيده شيئا من التوضيح، وأحيانا أتطرّق إلى بعض التفصيلات المهمّة كالمستثنيات وغيرها .

4- إذا كان في القاعدة خلاف بين العلماء ذكرته، مع بيان القول الذي رجّحه الشيخ .

5- إذا وقفت على أدلة القاعدة عند القائلين بها ذكرتها، لأن الشيخ بن سعدي لّما يقرّر القاعدة فهو ممّن يقول بها، أما أدلّة المخالفين فإنّني لا أتعرض لذكرها لأنها لا تعنينا فيما يأتي من الدراسة .

6- أذكر مثالا واحدا أو أكثر على كلّ قاعدة أدرسها بحسب ما يوضّحها .

وقد جاءت دراسة هذه القواعد على شكل مطالب، كل مطلب منها تحته فروع بحسب ما يبيّن القاعدة بيانا كافيا لمعرفة المقصود منها، وذلك كالآتي:

المطلب الأول :

قاعدة : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

وقد تكلّمت على هذه القاعدة من عدّة جوانب جعلتها على شكل فروع، وهي كمايلي:

الفرع الأول: معنى القاعدة:

معنى قاعدة "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" هو: أنّ الحادثة إذا وقعت لواحد من الناس في زمن النبي ــصلى الله عليه وسلم ــ، فأنزل الله عز وجل على نبيه ــصلى الله عليه وسلم ــ نصّا عاما، يتناول صاحب تلك الحادثة وغيره، فإنّ هذا النصّ المنزّل يشمل صاحب تلك الحادثة وغيره ممن شابهه فيها ولا يختص بمن نزل عليه فقط، وكذلك لو سُئل النبيــصلى الله عليه وسلم ــ سؤالا معيّنا فنزلت الآية تجيب السائل بجواب عام، فإنّ هذا الجواب يشمل السائل وغيره[214] .

هذا هو المعنى الذي أراد الشيخ عبد الرحمان بن سعدي تقريره من خلال هذه القاعدة، حيث ذكرها في كتابه "القواعد الحسان" مبيّنا أهمّيتها، و لم يتعرض لأقوال المخالفين له فيها أصلا بل اكتفى بتقريرها وذكر بأن المحققين من أهل الأصول اتفقوا على القول بها، يقول الشيخ: "وهذه قاعدة نافعة جدّا بمراعاتها يحصل للعبد خير كثير وعلم غزير، وبإهمالها وعدم ملاحظتها يفوته علم كثير، ويقع الغلط والارتباك، وهذا الأصل اتفق عليه المحققون من أهل الأصول وغيرهم"[215] .

الفرع الثاني: صور القاعدة:

هذه القاعدة في عمومها لها ثلاث صور هي:

الأولى: أن يقترن بالآية دليل يدلّ على العموم، فيعمّ صاحب السبب وغيره إجماعا .

الثانية: أن يقترن بالآية دليل يدل على الخصوص، فيخصّ صاحب السبب إجماعا .

الثالثة: ألاّ يقترن بالآية دليل على التخصيص ولا على العموم، فهذه الصورة محلّ خلاف بين العلماء كما سيأتي بيانه[216] .

---

[214]ــ شرح الكوكب المنير، تأليف: محمد الفتوحي (ت:972)، تحقيق: محمد الزحيلي ونزير حماد، سنة 1413هـ/ 1993م، مكتبة العبيكان، الرياض، ج 3 ص 177 والبرهان في علوم القرآن، ج 1 ص 24 .

[215]ــ القواعد الحسان ص 10-11 .

[216]ــ نشر البنود على مراقي السعود، تأليف: سيدي عبد الله إبراهيم العلوي الشنقيطي (ت:1235هـ)، ط 1، سنة 1409هـ/2001م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 253 .

الفرع الثالث: أقوال العلماء في القاعدة:

لقد سبق بيان مواطن الاتفاق والاختلاف بين العلماء في اعتماد القاعدة أو عدم اعتمادهـــا، فأما مواضع الاتفاق فلا داعي إلى الكلام عليها، وأما الصورة التي وقع فيها الخلاف، فقد ذكر الإمام الشوكاني –رحمه الله– خمسة مذاهب للعلماء في هذه المسألة حيث قال: "الأول: يجـــب قصره على ما خرج عليه السؤال، الثاني: يجب حمله على العموم، الثالث: الوقـــف، الرابـــع: التفصيل بين أن يكون السبب هو سؤال سائل فيختص به وبين أن يكون السبب مجرد وقـــوع حادثة، كان ذلك القول العام واردا عند حدوثها فلا يختص بها، الخامس: أنه إذا عارض هـــذا العام الوارد على سبب عموم آخر، خرج ابتداء بلا سبب، فإنه يقصـــر علـــى ســـببه، وإن لم يعارضه فالعبرة بعمومه"[217] .

وبما أن الشيخ السّعدي–رحمه الله– قد اختار القول الثاني وهو: أن سبب النزول يحمل على العموم إذا كان النص عاما، فإننا سنكتفي بإيراد الأدلة على هذا المذهب فقط، لأنه هو الـــذي يهمنا في هذا البحث.

الفرع الرابع: أدلة القائلين بالقاعدة:

لقد ذكر العلماء لهذه القاعدة أدلة كثيرة من المنقول والمعقول، تدلّ على أن العبرة بعمـــوم اللفظ لا بخصوص السبب، وأهم الأدلة التي ذكروها، هي:

أولا: من المنقول:

1– حديث عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– : "أن رجلا أصاب من امرأة قبلة، فأتى النبيّ ــصلى الله عليه وسلمــ فأخبره، فأنزل الله ﴿**وَأَقِمْ الصَّلاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلَفاً مِـــنْ اللَّيْـــلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ**﴾ **[هود:144]**، فقال الرجل: يا رسول الله ألي هذا ؟ قال لجميع أمّتي كلّهم"[218] . وهذا الحديث هو أقوى الأدلة التي اعتمد عليها من قال بهذه القاعدة، قال محمد الأمين الشنقيطي –رحمه الله– في تعليقه على الحديث: "فهـــذا الـــذي أصاب القبلة من المرأة نزلت في خصوصه آية عامة اللفظ، فقال للنبي ــصلى الله عليه وسلم ــ:

---

[217]ـــ إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تأليف: محمد بن علي الشوكاني (ت:1250هـــ)، تحقيق: أبي معصب محمد سعيد، ط 2، سنة 1413هـــ/1993م، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ص 232 .

[218]ـــ أخرجه البخاري عن حذيفة–رضي الله عنه–، ك/ مواقيت الصلاة، ب/ الصلاة كفارة ،رقم الحديث (526) والترمذي عن عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه–، أبواب التفسير عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم ـــ ب/ومن سورة هود، رقم الحديث (3112) .

ألي هذه ؟ ومعنى ذلك: هل النصّ خاص بي لأنني سبب وروده، أو هو على عموم لفظـــــه ؟، وقول النبيّ ــصلى الله عليه وسلمــ "لجميع أمتي" معناه أنّ العبرة بعموم لفظ "إِنَّ الْحَسَـــــنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ" لا بخصوص السبب، - والعلم عند الله تعالى- "[219] .

2- حديث علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- "أن رسول الله ــصلى الله عليه وسلمــ طرقه وفاطمة ليلة فقال: ألا تصليان ؟ فقلت: يا رسول الله أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا فليبعثنا، فانصرف حين قلت ذلك و لم يرجع إليّ شيئا، ثم سمعته وهو مولّ يضرب فخذه وهو يقـــــول: ﴿ **وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً** ﴾ **[الكهف:54]** "[220] . فهذه الآية مما قيل في أســـباب نزولها، أنها نزلت في بعض الكفار مثل الحارث بن النظر أو غيره ممن يجادلون في الحق لرده[221] ، ومع ذلك فقد أنزلها النبي ــصلى الله عليه وسلمــ على عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه- مع أنه من المبشرين بالجنّة،وذلك لعموم لفظ الإنسان.

3- أن الصحابة ومن بعدهم استدلّوا على تعميم النّصّ مع السبب الخاص، و لم ينكر ذلك أحد منهم، كآية اللعان[222] ونزلت في هلال بن أمية[223] ، وآية الظهار[224] ، ونزلـــت في أوس بـــن الصامت[225]، وغير ذلك،

---

[219]ــ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف: محمد الأمين الشنقيطي (ت:1351هـــ)، طبع وتوزيع: الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض المملكة العربية السعودية، ج 3 ص 50 .

[220]ــ متفق عليه: فقد رواه البخاري: ك/ التهجد، ب/ تحريض النبي-صلى الله عليه وسلم- على قيام الليل والنوافل من غير إيجاب وطرق النبي-صلى الله عليه وسلم- فاطمة وعليا عليهما السلام ليلة للصلاة، رقم الحديث (1127)، ومسلم: ك/ صلاة المسافرين وقصرها، ب/ الحثّ على صلاة الليل وإن قلّت، رقم (132)كلاهما عن الحسين بن عليّ-رضي الله عنه- .

[221]ــ انظر: المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، تأليف: عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت:542هـــ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط 1، سنة 1413هـــ/1993م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 3 ص 524 .

[222]ــ أخرجه البخاري :ك/ التفسير، ب/ "ويدرؤ عنها العذاب"، رقم الحديث: (4747) وأبو داود: ك/ الطلاق، ب/ في اللعان، رقم (2256) كلاهما عن بن عباس-رضي الله عنه- .

[223]ــ هلال بن أمية: صحابي أنصاري شهد بدرا وما بعدها من المشاهد، وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم لما تخلفوا عن غزوة تبوك، له ذكر في الصحيحين في قصة اللعان، عاش إلى خلافة معاوية . انظر: معجم الصحابة، تأليف: عبد الباقي بن قانع أبو الحسين (ت:351هـــ)، تحقيق: صلاح بن سالم المصرّاتي، سنة 1418هـــ، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ج 3 ص 203 والإصابة في تمييز الصحابة، تأليف: ابن حجر العسقلاني (ت:852)، ط 1، سنة 1328هـــ، مؤسسة التاريخ العربي ودار إحياء التراث العربي، ج 3 ص 606-607 .

[224]ــ أخرجه أبو داود: عن خويلة بنت مالك بن ثعلبة-رضي الله عنهما-: ك/ الطلاق، ب/ في الظهار رقم (2214) . وقال الألباني: "حسن"، انظر: صحيح وضعيف أبي داود، ج 2 ص 15 .

[225]ــ أوس بن الصامت: بن قيس بن أصرم بن فهر، أخو عبادة بن الصامت، ذكر فيمن شهد بدرا والمشاهد، وهو أول من ظاهر في الإسلام، قيل بأنه توفي بالرّملة سنة 34هـــ وله من العمر: 72سنة . انظر: الإصابة، ج 1 ص 85-86 ومعجم

واتفقوا كلُّهم على تعدّيها إلى غير من نزلت فيه، و لم يعلم مخالف لهم في ذلك[226] .

ثانيا: من المعقول:

1- إنّ القرآن نزل لهداية أوّل الأمّة وآخرها، لذلك فإنّ اللفظ العام يوجب العمل به وتركه على عمومه إلا لدليل يخصّصه .

2- إنّ الله قد أمرنا بالتفكّر والتدبّر لكتابه، فإذا تدبّرنا الألفاظ العامّة، وفهمنا أنّ معناها يتناول أشياء كثيرة فلأيّ شيء نخرج بعض هذه المعاني مع إدخالنا ما هو مثلها وما هو نظيرها[227] .

3- إنّ الاعتماد إنّما هو على الجواب لا على خصوص السبب، فقد يسأل خاصا ويجيب عاما[228] .

الفرع الخامس: مثال على القاعدة:

ونكتفي في هذه القاعدة بذكر مثال واحد، لسعة القاعدة ووضوحها وهو:

- قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ **[النور:23]** .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -بعد تقريره لعموم الآية - : "ووجهه ظاهر الخطاب، فإنّه عام يجب إجراؤه على عمومه، إذ لا موجب لخصوصه، وليس هو مختصًا بنفس السبب بالاتفاق، لأن حكم غير عائشة من أزواج النبي ـصلى الله عليه وسلمـ داخل في العموم، وليس هو من السبب، ولأنّه لفظ جمع والسبب في واحدة هنا، ولأنّ قصر عمومات القرآن على أسباب نزولها باطل، فإنّ عامة الآيات نزلت بأسباب اقتضت ذلك، وقد علم أن شيئا منها لم يقصر على سببه"[229] .

هذا أهمّ ما يذكر في هذه القاعدة الواسعة، ومع ذلك فهناك تفريعات وتفصيلات أخرى لا يسع المقام لذكرها[230] .

الصحابة، ج 1 ص 30 .

[226]ـ الإتقان في علوم القرآن، ج 1 ص 30 .

[227]ـ قواعد التفسير، ج 1 ص 10.

[228]ـ لباب المحصول في علم الأصول، تأليف: ابن رشيق المالكي، تحقيق محمد غزالي وعمر جابي، ط 1، سنة 1466هـ/ 2001م، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الإمارات العربية المتحدة، ج 2 ص 563 .

[229]ـ فتاوى بن تيمية، ج 15 ص 364 وجامع البيان في تأويل القرآن، تأليف: محمد بن جرير الطبري (ت:310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط 1، سنة 1420هـ/2000م، مؤسسة الرسالة، ج 19 ص 139 .

المطلب الثاني :

قاعدة : الألف واللاّم الداخلة على الأوصاف وأسماء الأجناس تفيد الاستغراق بحسب ما دخلت عليه .

وقد تكلّمت على هذه القاعدة من جوانب عدّة جعلتها على شكل فروع، وهي كمايلي:

الفرع الأول: شرح بعض ألفاظ القاعدة:

1- "الألف واللاّم" والمقصود بهما: "أل" الاستغراقيّة أو الجنسية، وعلامتها أن يصلح موضعها لفظ "كلّ" ولتعريف الحقيقة نحو: الرجل خير من المرأة، أي: هذه الحقيقة خير من هذه الحقيقة[231] .

2- "الوصف": والصفة هي: تَابِعٌ مُشْتَقٌّ أَوْ مُؤَوَّلٌ بِهِ يُفِيدُ تَخْصِيصَ مَتْبُوعِهِ أَوْ توْضِيحَهُ أَوْ مَدْحَهُ أَوْ ذَمَّهُ أَوْ تَأْكِيدَهُ أَوْ التَّرَحُّمَ عَلَيْهِ"[232] .

3- "اسم الجنس": هو الذي لا يختص بواحد دون آخر من أفراد جنسه[233] ، أو هو: مالا واحد من لفظه مثل لفظ: الناس، حيوان، ماء، تراب، كتاب، رجل، امرأة... إلخ[234] .

الفرع الثاني: معنى القاعدة:

معنى هذه القاعدة أنه إذا وجدنا وصفا، أو اسم جنس في القرآن الكريم دخلت عليه "أل" التي تفيد الاستغراق فإن جميع المعاني والأفراد الداخلة تحت ذلك الوصف أو اسم الجنس تكون مرادة في ذلك الموضع وذلك حسب ما دخلت عليه، وأنّه كلّما كملت هذه الأوصاف فإنه يكمل لصاحبها ما يترتب عليها من أجر أو مدح... إلخ، وكلما نقصت هذه الأوصاف فإنه يفوت على صاحبها من الأجر أو المدح بحسب ما نقصت هذه الصفة عنه .

---

[230]ـ وانظر للإستزادة بما يتعلق بالقاعدة: التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، تأليف: جمال الدين الإسنوي (ت: 772هـ)، حققه وعلق عليه: محمد حسين هيتو، ط 4، سنة 1407هـ/1987م، مؤسسة الرسالة، ص 412، والقواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها من الأحكام الفرعية، تأليف: علاء الدين البعلي (ت:803هـ)، ضبطه وصححه: محمد شاهين، ط 1، سنة 1416هـ/1995م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 197، وتيسير الكريم الرحمان، ص 50.

[231]ـ شرح بن عقيل لألفية بن مالك، تأليف: ابن عقيل (ت:769)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط 2، سنة 1985م، دار الفكر، دمشق، ج 1 ص 178.

[232]- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تأليف: ابن هشام (ت:617)، تحقيق: عبد الغني الدقر، ط 1، سنة 1984م، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق، ج 1 ص 555 .

[233]ـ جامع الدروس العربية، تأليف: مصطفى الغلاييني (ت:1364هـ)، ط 2، سنة 1413هـ/1993م، المكتبة العصرية، بيروت ص 71 .

[234]ـ شرح الكوكب المنير، ج 3 ص 131 .

وكذلك، كل وصف نهى الله عنه ورتّب عليه وعلى المتّصف به عقوبة وشرا ونقصا يكون له من ذلك بحسب ما قام به من الوصف المذكور[235] ، وذلك لأن الحكم المعلّق على وصف مـــا يدل على عِلِّيّة ذلك الوصف والحكم يدور مع علته وجودا وعدما وضعفا وقوة[236] .

هذا هو المعنى الذي أراده الشيخ بن سعدي من هذه القاعدة، كما ذكر أنّ أعظم المواضع التي تطبّق فيها هذه القاعدة هي أسماء الله الحسنى لأنّها مستغرقة لجميع أوصاف الحسن.

الفرع الثالث: أقوال العلماء في القاعدة:

هذه القاعدة اختلف فيها أهل العلم، حيث ذهب الجمهور إلى القول بها، وأنه إذا دخلت "أل" على وصف أو اسم جنس و لم يكن المقصود منها العهد، فإنها تفيد الاستغراق والعمـــوم لجميع ما يدخل تحت ذلك الوصف أو اسم الجنس، واستدلوا بأدلة كثيرة سوف يأتي ذكرهـــا، وخالف في القول بهذه القاعدة بعض العلماء كأبي عليّ الجبّائي[237] والرازي[238] وغيرهم[239] .

وممّا سبق بيانه يتبيّن بوضوح أنّ الشيخ بن سعدي قد وافق في هذه القاعدة جمهور العلمـــاء، غير أنه يلاحظ حكاية الاتفاق عليها فقال: "وقد نصّ على ذلك أهل الأصول وأهل العربيـــة واتفق على اعتبار ذلك أهل العلم والإيمان"[240] ، رغم أنه تقدم أن القاعدة فيها خلاف كمـــا تقدّم، ولعلّ الذي جعل الشيخ يحكي الاتفاق على القاعدة هو أحد سببين :

1- كثرة القائلين بالقاعدة وقلة المخالفين فيها .

2- أن المخالفين في القول بالقاعدة غالبهم من أهل الكلام، لذلك لم يعتدّ الشيخ بخلافهم .

---

[235]ـــ القواعد الحسان ص 12 .

[236]ـــ شرح القواعد الحسان في تفسير القرآن، تأليف: محمد بن صالح العثيمين (ت:1421هـــ)، ط 1، 1426هـــ/ 2005م، دار الغد الجديد، المنصورة، مصر، ص 15 .

[237]ـــ الجبائي: محمد بن عبد الوهاب بن سلام أبو علي البصري المعتزلي، ولد سنة 235هـــ، كان رأسا في علم الكلام وهو أيضا مفسر، نسبته إلى(جبي) من قرى البصرة، وإليه تنسب طائفة الجبائية، له كتاب "التفسير الكبير" وكتاب في الأصول وغيرها، توفي سنة 303هـــ . انظر: سير أعلام النبلاء، ج 14 ص 183، وشذرات الذهب، ج 4 ص 18 .

[238]ـــ الرازي: محمد بن عمر بن الحسن فخر الدين الرازي أبو عبد الله، الإمام المفسر ،ولد بالريّ سنة 544هـــ، وهو قرشي النسب، رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، من مؤلفاته: "مفاتيح الغيب" و"المحصول" وغيرها، توفي في هراة سنة 606هـــ . انظر: طبقات المفسرين للأدنهوي، ج 1 ص 213، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة، ج 2ص 66 .

[239]ـــ مذكرة في أصول الفقه، تأليف: محمد الأمين الشنقيطي (ت:1351هـــ)، الدار السّلفية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 210، وشرح اللّمع، تأليف: أبي إسحاق الشيرازي (ت:476هـــ)، تحقيق: عبد المجيد التركي، ط 1، دار الغرب الإسلامي ج 1 ص 304-305، والبحر المحيط في أصول الفقه، ج 4 ص 138، وإرشاد الفحول، ص 210 وغيرها .

[240]ـــ القواعد الحسان، ص 12 .

وبما أن الشيخ بن سعدي من القائلين بهذه القاعدة فإننا سنذكر أدلّة القائلين بهـــا دون أدلـــة غيرهم.

الفرع الرابع: أدلة القائلين بالقاعدة:

لقد استدلّ العلماء على هذه القاعدة بأدلّة أهمّها:

1- إجماع العلماء: حيث أجمعوا على إجراء العموم في عدة آيات و لم يعلم لهم مخالف مثـــل: قوله تعالى: ﴿ **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا** ﴾ **[المائدة:38]** ، وقوله تعالى: ﴿ **الزَّانِيَـــةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ** ﴾ **[النور:2]**[241] .

2- أن الاستثناء دليل على العموم كقوله تعالى: ﴿ **وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)** ﴾ **[العصر:1-3]** . ففي هذه الآية جاء لفظ "الإِنسَانَ" محلّى بالألف واللاّم دالاّ على العموم ودليل ذلك الاستثناء الذي جاء بعده، لأن الاستثناء لا يكون إلاّ من عموم سبقه .

3- أن النبي ــصلى الله عليه وسلمــ نبّه أمّته وأرشدهم إلى اعتبار هذه القاعدة، وذلك في قوله ــصلى الله عليه وسلمــ عن قول المصلين "السلام علينا وعلى عباده الصالحين" : حيث قال: " فإنّكم إذا قلتم ذلك سلمتم على كلّ عبد صالح من أهل السماء والأرض"[242] .

4- أنّ الألف واللام، إذا دخلا على الاسم فإنه يصير معرفة، فيجب صرفه إلى ما تحصل بـــه المعرفة عند إطلاقه وهو الصرف إلى الكل[243] .

الفرع الخامس: أمثلة على القاعدة:

1- قوله تعالى: ﴿ **وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّه** ﴾ **[آل عمران:119]**، أي: بالكتب كلّها، بـــدليل قوله تعالى: ﴿ **كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ** ﴾ **[البقرة:285]** .

2- قوله تعالى: ﴿ **أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا** ﴾ **[الفرقان:75]**، أي: الغرف، بدليل قوله تعالى:

---

[241]ــ كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، تأليف: علاء الدين بن أحمد السخاوي (ت:730هـــ)، وضع حواشيه: عبد الله محمود عمر، ط 1، سنة 1418هـــ/1997م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 2 ص 21.

[242]ــ متفق عليه: فقد رواه البخاري في: ك/ الأذان، ب/ التشهد في آخر الصلاة، رقم الحديث (831)، ومسلم: ك/ الصلاة، ب/ التشهد في الصلاة، رقم الباب (16) كلاهما من حديث عبد الله -رضي الله عنه- .

[243]ــ مذكرة أصول الفقه، ص 210 .

﴿ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ ﴾ [الزمر:20] .

3- قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً ﴾ [الفجر:22] أي: الملائكة بـــدليل قـــوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمْ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنْ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ ﴾ [البقرة:210][244] .

[244]ـــ أضواء البيان، ج 5 ص 31 . وانظر للمزيد من تفصيلات القاعدة: تلقيح الفهوم في تنقيح صيغ العموم، تأليف: خليل بن كيكلدي العلائي (ت:761هـــ)، حققه وعلق عليه: عبد الله بن محمد آل الشيخ، ط 1، سنة 1403هـــ/ 1983م، ص 371، والقواعد والفوائد الأصولية، ص 161، وغاية الوصول شرح لباب الأصول، تأليف: زكريا الأنصاري (ت: 926هـــ)، الطبعة الأخيرة، شركة مكتبة أحمد بن سعيد بن نبهان، سروبايا، أندونيسيا، ص 71، وكتاب القواعد للحصني، ج 3 ص 148، وترتيب الفروق واختصارها، ج 1 ص 222 وشرح التلويح على التوضيح، ج 1 ص 54، والإتقان في علوم القرآن، ج 1 ص 31 .

المطلب الثالث :

قاعدة : إذا وقعت النكرة في سياق النفي أو النهي أو الشرط أو الاستفهام فإنها تدل على العموم .

وقد تكلّمت على هذه القاعدة من عدّة جوانب جعلتها على شكل فروع، وهي كمايلي:

الفرع الأول: شرح بعض ألفاظ القاعدة:

1 – "النكرة": النكرة ما يقبل "أل" وتؤثر فيه التعريف أو يقع موقع ما يقبل "أل" فمثال ما يقبل "أل" وتؤثر فيه التعريف "رجل" فتقول: الرجل، ومثال ما وقع موقع ما يقبل أل "ذو" التي بمعنى صاحب نحو جاءني ذو مال أي صاحب مال [245] .

2– "النفي": هو عبارة عن الإخبار بعدم صدور الفعل عن الفاعل في الزمان الآتي وهو ضد المضارع[246] .

3– "النهي": هو اقتضاء كف عن فعل[247] .

4– "الشرط": هو تعليق حصول مضمون جملة بحصول أخرى[248] .

5– "الاستفهام": هو الاستخبار عمّا سبق أولا و لم يفهم حق الفهم، فإذا سئل عنه ثانيا كان استفهاما .

الفرع الثاني: معنى القاعدة:

الأصل في بيان معنى هذه القاعدة بجملتها هو بيان حالة وقوع النكرة في سياق النفي، وذلك لأنّ كلاّ من النّهي أو الشرط أو الاستفهام تتضمن معنى النفي[249] ، ولهذا فإنّنا نجد كل من تكلم على هذه القاعدة، أسال قلمه في مسألة وقوع النكرة في سياق النفي، واختصر في باقي الحالات، ومن أجل ذلك فإنّني سوف أتكلم على معنى هذه القاعدة بشيء من البسط في حالة وقوع النكرة في سياق النفي، وأذكر الأدلّة على ذلك، ثم أتكلّم على معناها في باقي الحالات بنوع من الإجمال لأنها كلّها تصب في معنى النفي و لأن الأدلة واحدة .

---

[245]ـــ شرح ابن عقيل، ج 1ص 86 .

[246]ـــ التعريفات، ص 300 .

[247]ـــ شرح الكوكب المنير، ج 3 ص 77 .

[248]ـــ الإتقان، ج 3 ص 234، كشاف لمصطلحات الفنون، تأليف: التهانوي، تحقيق: لطفي عبد البديع، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والترجمة والنشر، سنة 1382هـ/1963م، ج 4 ص 120، والكليات، ص 97 .

[249]ـــ شرح الكوكب المنير، ج 3 ص 136-140 .

أ- **وقوع النكرة في سياق النفي:** ومعنى ذلك: أنه إذا ورد في القرآن الكريم اسم نكرة وورد في السياق نفسه نفي على هذه النكرة، فإن المعنى يصير نفي جميع أفراد تلك النكرة وكل ما يدخل تحتها، سواء كانت النكرة بـ "ما" أو "لن" أو "لم" أو "ليس" ، وسواء دخل حرف النفي على فعل، نحو: ما رأيت رجلاً، أو على اسم، نحو: لا رجلٌ في الدار، وسواء باشرها النفي، نحو: ما أحدٌ قائما، أو باشر عاملها، نحو: ما قام أحدُ[250] . هذا بالنسبة لمعنى حالة وقوع النكرة في سياق النفي، وأضيف بعض النقاط التي تزيد المسألة وضوحا، لأن هذه الحالة هي أصل القاعد السابقة، وذلك كما يلي:

أولا: مستثنيات وقوع النكرة في سياق النّفي في إفادة العموم:

يستثنى من حالة إفادة العموم للنكرة إذا وقعت في سياق النفي عدة صور منها:

1- إذا كانت في سلب الحكم عن العموميات نحو قولنا: ما كلّ أحد يصحب، ومرادنا: أن بعض الناس لا يصلح للصّحبة .

2- النكرة إذا كانت مرفوعة مع لا : نحو: لا رجلٌ في الدار -بالرفع- فإنه جواب من قال: هل في الدار رجل واحد ؟ فيقال، لا رجل في الدار بل اثنان، فهو سلب لوجود الرجل بوصف الوحدة .

3- النكرات خاصة: نحو ما جاءني رجل، فلا يوجب استغراق الجنس حتى تقول: ما جاءني رجل بل أكثر[251] .

ثانيا: أدلّة إفادة النكرة للعموم إذا وقعت في سياق النفي:

هناك أدلة تدل على أن النكرة في سياق النفي تعمّ، ومن أهم هذه الأدلة ما يلي:

1- لو لم تكن النكرة في سياق النّفي تعمّ، لما كان قول القائل: "لا إله إلاّ الله"، نفيا لجميع الآلهة سوى الله تعالى، لكن الإجماع انعقد على الحكم لقائلها بالتوحيد فدلّ على أنها للاستغراق لأنه إذا قالها فمعناه أنه نفى العبودية الحقّة عن كلّ من سوى الله تعالى، وأمر بالعبودية التامة لله تعالى وحده[252] .

---

[250]ـ البحر المحيط في أصول الفقه، تأليف: الزركشي (ت:794هـ)، حققه وخرج أحاديثه: لجنة من علماء الأزهر، ط 1، سنة 1414هـ/1994م، دار الكتب العلمية، ج 4 ص 149 .

[251]ـ العقد المنظوم في الخصوص والعموم، تأليف: القرافي (ت:684هـ)، تحقيق: محمد علوي نصر، سنة 1418هـ/ 1997م، المملكة المغربية، وزارة الشؤون والأوقاف الإسلامية، ج 2 ص 29-31 .

[252]ـ الإبهاج شرح المنهاج، تأليف: علي بن عبد الكافي السبكي وولده تاج الدين السبكي (ت:771هـ)، دراسة وتحقيق: أحمد جمال الزمزمي ونور الدين صغيري، ط 1، سنة 1414هـ/2004م، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء

2-أن الله تعالى كذّب الذين قالوا: ﴿**مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ**﴾ ونقض ذلك بقوله: ﴿**قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى**﴾ **[الأنعام 91]** فلو لم يكن قولهم: ﴿**مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ**﴾ مقتضيا للعموم، لما نقض ذلك بالإنزال على موسى، لأنّ السالبة الكلية تناقضها الموجبة الجزئية.

3- اتفاق أئمة النحاة على أن "لا" التي في قولهم: "لا رجل في الدار" هي لنفي الجنس، وإنما ينتفي الجنس بانتفاء كلّ فرد من أفراده وذلك يدلّ على أنه يفيد الاستغراق[253] .

هذه أهم المسائل التي يمكن ذكرها في حالة قوع النكرة في سياق النفي .

ب – <u>وقوع النكرة في سياق النّهي</u>: ومعنى هذه القاعدة، أنّه إذا ورد اسم نكرة في سياق ورد فيه نهي فإنّ ذلك النّهي يستغرق ويعمّ جميع أفراد ذلك الاسم النكرة[254] .

أما عن أدلة هذه القاعدة فهي نفسها أدلة قاعدة وقوع النكرة في سياق النفي، لأن النهي في معنى النفي.

ج – <u>وقوع النكرة في سياق الشرط</u>: معنى هذه القاعدة أنّه إذا دخل شرط على نكرة، فإن ذلك الشرط يعمّ جميع أفراد ذلك الاسم النكرة، وتتحقّق جملة الشرط بحصول أيّ فرد من أفراد تلك النكرة[255].

أما عن أدلّة هذه القاعدة هي نفسها أدلّة وقوع النّكرة في سياق النفي، لأنّ الشرط في معنى النفي لكونه تعليقًا بأمر لم يوجد .

د – <u>وقوع النكرة في سياق الاستفهام</u>: معنى هذه القاعدة هو أن النّكرة إذا وقعت في حيّز الاستفهام وسياقه فإنّها تفيد العموم، فيعمّ ذلك الاستفهام جميع أفراد تلك النكرة، ولابدّ من

التراث، الإمارات العربية المتحدة، ج 4 ص 1259، وإرشاد الفحول، ص 207 .

[253]ـــ تلقيح الفهوم، ص 176-177 .

[254]ـــ المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: عبد القادر بن بدران (ت:1346هـ)، صححه وقدم له وعلق عليه: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط 2، سنة 1401هـ/1981م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 239، والبرهان في علوم القرآن، ج 2 ص 6، وحصول المأمول، ص 314 .

[255]ـــ انظر: التمهيد للإسنوي ص 324، وشرح الكوكب، ج 3 ص 141، والإبهاج، ج 4 ص 1265، وتلقيح الفهوم في تنقيح صيغ العموم، ص 408، والقواعد والفوائد الأصولية، ص 169، والبرهان، ج 2 ص 6، وشرح التلويح، ج 1 ص 55 .

تقييد الاستفهام بالاستفهام الإنكاري لأنّ الإنكار هو حقيقة النفي، ولأنّ النّكرة إنّما تعمّ من أجل وقوعها في النفي فلابد أن يكون الاستفهام بمعناه[256] .

أما عن أدلّة هذه القاعدة هي نفسها أدلة قاعدة وقوع النكرة في سياق النفي .

الفرع الثالث: أمثلة على القاعدة:

نكتفي بذكر مثال واحد لكل فرع من فروع هذه القاعدة:

1- **مثال النكرة في سياق النفي:** قوله تعالى:﴿**يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً**﴾ **[الإنفطار: 19]**، فهذه ثلاث نكرات في سياق النفي فيقتضي العموم، وأنّه أي"نفس" وإن عظم قدرها عند الله "لا تَمْلِكُ نَفْسٌ" لأي نفس وإن عظم اتّصالها بها "شيئا" من المنافع أو دفع المضارّ قليلا أو كثيرا[257] .

2- **مثال النكرة في سياق النهي:** قوله تعالى:﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً**﴾ **[النساء: 36]** وهذا النّهي يعمّ جميع صور الشرك سواء في النيات أو في الأقوال أو في الأفعال، كما يعم الأكبر والأصغر والخفيّ [258] .

3- **مثال النكرة في سياق الشرط:** قوله تعالى:﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ**﴾ **[التوبة:6]** ، أي: أيّ أحد من المشركين طلب منك أن تجيره يا محمد أو تبعد الضرر عنه حتى يسمع كلام الله فافعل ذلك[259] .

4- **مثال النكرة في سياق الاستفهام:** قوله تعالى:﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً**﴾ **[مريم:65]** والمراد نفي كلّ
سميّ يدعى مع الله[260] .

---

[256]ـــ شرح الكوكب المنير، ج 3 ص 140، وتلقيح الفهوم، ص 409 .

[257]ـــ القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة، تأليف:عبد الرحمان بن ناصر السعدي (ت:1376هـ)، اعتنى به وحققه: خالد بن محمد المشيقح، ط 3، سنة 1424هـ، دار بن الجوزي، ص 89 .

[258]ـــ قواعد التفسير، ج 2 ص 562 .

[259]ـــ تلقيح الفهوم في تنقيح صيغ العموم، ص 408 .

[260]ـــ المصدر نفسه، ص 409 . وانظر للمزيد من تفصيلات القاعدة: أصول السرخسي، تأليف: أبي بكر السرخسي (ت: 483هـ)، تحقيق: أبي الوفاء الأفغاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان ج 1 ص 160، والتمهيد في تخريج الفروع على الأصول، ص 316-320، وغاية الوصول شرح لباب الوصول، ص 71، وإيضاح المحصول من برهان الأصول، تأليف: محمد بن علي المازري (ت:536هـ)، تحقيق: عمار طالبي، ط 1، سنة 2001م، دار الغرب الإسلامي، ص 273، والقواعد والأصول الجامعة، ص 89، وبدائع الفوائد، تأليف: ابن قيم الجوزية (ت:751هـ)، دار الكتاب العربي، ص 536،

المطلب الرابع :

قاعدة: المفرد المضاف يفيد العموم كما يفيد ذلك اسم الجمع .

وقد تكلّمت على هذه القاعدة من عدّة جوانب جعلتها على شكل فروع، وهي كمايلي:

الفرع الأول: شرح بعض ألفاظ القاعدة:

1- "المفرد": والمقصود بالمفرد ما دلّ على واحد بلفظه ومعناه، فيخرج بذلك، المفرد في باب "لا العاملة عمل إن"، والمفرد في باب المنادى، لأن المقصود بالمفرد في هذين البابين، هو ما ليس مضافا ولا شبيها بالمضاف، وبالتّالي يدخل في ذلك المثنّى وجمع التكسير وجمع المذكر السالم، وجمع المؤنث السالم[261].

2- "الإضافة": هي نسبة بين اسمين على تقدير حرف الجر توجب جرّ الثاني أبدا، نحو "لا يقبل صيام النّهار ولا قيام الليل إلا من المخلصين"، ويسمى الأول مضافا والثاني مضافا إليه[262].

3- "اسم الجمع": هو ما تضمن معنى الجمع، غير أنه لا واحد من لفظه وإنّما واحده من معناه مثل: جيش: واحده جندي، نساء : واحدها: امرأة[263] .

الفرع الثاني: معنى القاعدة:

هذه القاعدة معناها: أنه إذا جاء في القرآن اسم مفرد ثم أضيف هذا الاسم المفرد إلى شيء، فإن هذه الإضافة تدلّ على استغراق جميع المعاني التي تضمّنها ذلك الاسم المفرد، فتثبت الأحكام المتعلّقة بذلك المفرد على جميع المعاني التي اشتمل عليها المفرد إلا إذا جاء دليل يدلّ على تخصيص بعضها بحكم آخر فيصار إليه، وهذا العموم الذي أفاده الاسم المفرد إنما أفاده بالإضافة بدليل أنّنا لو نظرنا إليه مفردا لما دلّ على العموم لكن بالإضافة دلّ عليه، بخلاف الجمع المضاف الذي يفيد العموم بصيغته وإضافته[264] .

والملاحظ على الشيخ بن سعدي في ذكره لهذه القاعدة، أنه لم يتعرّض لها بشرح أو بيان خلاف فيها، إنما ذكرها ثم ساق أمثلة تبيّن معناها لأنها واضحة عنده .

والقواعد والفوائد الأصولية، ص 67 وغيرها .

[261]ـ الحلل الذهبية على التحفة السنية، تأليف: محمد الصغير بن قايد العبادلي المقطري، ط 1، سنة 1422هـ/2002م، دار الآثار، صنعاء ، ص 258 .

[262]ـ جامع الدروس العربية، ص 487 .

[263]ـ المصدر نفسه، ص 192 .

[264]ـ شرح القواعد الحسان، ص 21 .

الفرع الثالث: أقوال العلماء في القاعدة:

بعد النظر إلى ما ذكره بعض علماء الأصول في هذه القاعدة، وجدت جمهور العلماء يقولون بها، فقد احتج بالقاعدة الإمام مالك[265] وأحمد بن حنبل[266] تبعا لعليّ [267] وابن عباس[268] -رضي الله عنهما- وحكاه بعض الشافعية عن الأكثر[269] ، وقال محمد الأمين الشنقيطي: "الذي يظهر لي من استقراء اللغة العربية التي نزل بها القرآن، هو أنّ من أساليبها أنّ المفرد إذا كان اسم جنس يكثر إطلاقه مرادا به الجمع مع تنكيره وتعريفه بالألف واللام أو بالإضافة"[270] .

الفرع الرابع: أدلّة القائلين بالقاعدة:

إنّ أغلب الأدلة التي ذكرت في صحّة الاحتجاج بهذه القاعدة إنّما هي آيات قرآنية جاء فيها المفرد مضافا وكان المقصود منها العموم، ومن ذلك:

---

[265]ـ مالك بن أنس: مالك بن أنس الأصبحي أبو عبد الله، إمام دار الهجرة واحد من أئمة المذاهب السّنيّة الأربعة، ولد سنة 93هـ، كان مشهورا بالتحرّي قال عن نفسه: "ما أفتيت حتى شهد سبعون شيخا أني وضعت لذلك"، من مؤلفاته: "تفسير غريب القرآن" و"الموطأ" وغيرها، توفي سنة 179هـ . انظر: طبقات الفقهاء، تأليف: أبو إسحاق الشيرازي (ت: 476هـ)، تحقيق: إحسان عباس، ط 1، سنة 1970م، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ج 1 ص 27، ووفيات الأعيان، تأليف: أبو العباس بن خلكان (ت:681هـ)، تحقيق: إحسان عباس، ط 1، سنة 1994هـ، دار صادرة، بيروت، ج 4 ص 135- 137 .

[266]ـ أحمد بن حنبل: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الله، أحد الأئمة الأربعة، ولد سنة 164هـ، امتحن في أيام المأمون ليقول بخلق القرآن فأبى وأظهر الله على يديه مذهب أهل السنة، من مؤلفاته: "المسند" و"فضائل الصحابة " وغيرها، توفي سنة 241هـ . انظر: وفيات الأعيان، ج 1 ص 63-65، والمقصد الأرشد، ج 1 ص 65-70 .

[267]ـ عليّ بن أبي طالب: ابن عم النبي-صلى الله عليه وسلم- وصهره، ولد قبل البعثة بعشر سنين، قيل أنه أول الناس إسلاما، هاجر إلى المدينة وشهد بدرا وأحدا والخندق وجميع المشاهد إلا تبوك، روى كثيرا من الأحاديث، له فضائل كثيرة، ولي خلافة المسلمين خمس سنوات، قتله بن ملجم سنة 40هـ . انظر: الإستيعاب في معرفة الأصحاب، تأليف: ابن عبد البر (ت:463هـ)، تحقيق: محمد علي بجاوي، ط 1، سنة 1412هـ/1992م، دار الجيل، بيروت، ج 3 ص 1089-1100، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، تأليف: ابن الأثير (ت:630هـ) تحقيق: محمد بن إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور ومحمود عبد الوهاب فايد، دار الشعب، القاهرة، ج 4 ص 91-111 .

[268]ـ ابن عباس: ابن عم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، لقّب بحبر الأمة وفقيه العصر وإمام المفسرين، روى كثيرا من الأحاديث كما روى عن بعض الصحابة وروى بعضهم عنه، له فضائل كثيرة، توفي سنة 68هـ بالطائف وعمره سبعين سنة . انظر: الإستيعاب، ج 3 ص 933-939، والإصابة، ج 2 ص 330-334 .

[269]ـ شرح الكوكب المنير، ج 3 ص 136 .

[270]ـ أضواء البيان، ج 5 ص 29-30 .

1- ما ذكره الإمام البيضاوي[271] حيث قال: "وممّا يدل على أنّ المفرد المضاف يعم و لم نر من ذكره: قوله تعالى: ﴿ **وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (9) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً (10)** ﴾ **[الحاقة:9-10]**، فإنّ المراد موسى المرسل إلى فرعون ومعه هارون، ولوط المرسل إلى المؤتفكات"[272] .

2- قوله تعالى: ﴿ **هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ** ﴾ **[الجاثية:29]** والمراد جميع الكتب التي اقتضت فيها أعمالهم[273] .

<u>الفرع الخامس</u>: أمثلة على القاعدة:

1 – قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً** ﴾ **[النحل:123]**، فقوله تعالى: "**مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ**" مفرد مضاف، وهذا شامل لكلّ ما هو عليه من التوحيد والإخلاص من لله تعالى والقيام بحق العبودية[274] .

2- قوله تعالى: ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهِ** ﴾ **[الأنعام 90]**، فقوله تعالى "**فَبِهُدَاهُمْ**" مفرد مضاف، وفي هذه الآية أمر الله للنبيّ ـصلى الله عليه وسلمـ أن يقتدي بجميع ما عليه المرسلون من الهدى الذي هو العلوم النافعة والأخلاق الزّاكية والأعمال الصالحة والهدي المستقيم[275] .

---

[271]ـ البيضاوي: عبد الله بن عمر بن علي البيضاوي أبو الخير، نسبة إلى قرية البيضاء، فقيه أصولي مفسر محدث، أخذ الفقه عن والده وعن الغزالي، كان قاضي القضاة بشيراز، من مؤلفاته: "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، و"منهاج الوصول إلى علم الأصول" وغيرها، توفي سنة 685هـ . انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة، ج 2 ص 172، وشذرات الذهب، ج 7 ص 685-686 .

[272]ـ الإبهاج شرح المنهاج، ص 1254 .

[273]ـ البرهان في علوم القرآن، ج 2 ص 7 .

[274]ـ القواعد الحسان، ص 19 .

[275]ـ المصدر نفسه، ص 19 . انظر للمزيد من تفصيلات القاعدة: التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، ص 328، وحصول المأمول، ص 314، والقواعد والفوائد الأصولية، ص 166، ومذكرة في أصول الفقه، ص 205 .

المطلب الخامس :

قاعدة : مراعاة ما دلّ عليه اللفظ مطابقة وتضمنا ولزوما .

وقد تكلّمت على هذه القاعدة من عدّة جوانب جعلتها على شكل فروع، وهي كمايلي:

الفرع الأول: شرح بعض ألفاظ القاعدة:

1- "المطابقة": هي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له أولا، مثالها دلالة الإنسان على الحيوان الناطق، ودلالة البيت على جموع الجدار والسقف[276] .

2- "التضمن": هي دلالة اللفظ على جزء من مسمّاه كدلالة الإنسان على الحيوان أو على الناطق، وكدلالة لفظ الكتاب على الورق وحده أو الغلاف[277] .

3- "اللازم": هي دلالة اللّفظ على خارج عن مسماه، لازم له لزومًا ذهنيّا بحيث يلزم من فهم المعنى المُطَابِقِي فهم ذلك الخارج اللاّزم، مثاله: دلالة الأربعة على الزوجيّة، لأن معنى الزوجيّة في الاصطلاح هي الانقسام إلى متساويين[278] .

الفرع الثاني: معنى القاعدة:

معنى هذه القاعدة هو أنّنا إذا أردنا أن نبيّن معنى لفظة من ألفاظ القرآن الكريم، فإنّنا ننظر إلى هذا اللفظ ونتدبّر معناه وما يدل عليه، فإذا فهمناه فهما صحيحا فإنّنا ننظر إلى ذلك المعنى الذي دلّ عليه اللفظ، والطرق الموصلة إليه وما لا يتمّ إلاّ به وما يشترط له، وكذلك ننظر إلى ما يترتب عليه وما يتفرع عنه وما ينبني عليه، ونجزم بأن الله أراد جميع هذه المعاني كلّها، كما نجزم أنّ الله أراد المعنى الخاص الذي دلّ عليه اللفظ بالمطابقة، لأنّ الله أخبرنا بأنّ كتابه هدى ونور وتبيان لكلّ شيء، وأنّه أفصح الكلام وأجلّه إيضاحا .

وهذه المعاني لا يمكن لكلّ أحد أن يعرفها لأنها تستدعي قوّة فكر وحُسْنَ تدبّر وصحّة قصد، فلا يوفّق لها إلا من أعطاه الله توفيقا ونورا وانفتحت له العلوم النافعة والمعارف الجليلة[279] .

والملاحظ على الشيخ بن سعدي أنّه لّما ذكر القاعدة حكى الإجماع عليها فقال: " ولهذا أجمع العلماء

---

[276]ـــ البحر المحيط في أصول الفقه، ج 2 ص 269 .

[277]ـــ شرح الكوكب المنير، ج 1 ص 126 .

[278]ـــ مذكرة في أصول الفقه، ص 15 .

[279]ـــ القواعد الحسان، ص 35، وتيسير الكريم الرحمان، ص 699 .

على الاستدلال باللاّزم في كلام الله"[280] ، وهذا الإجماع الذي حكاه الشيخ إن لم يكن إجماعا محقّقا فإنه يدل على كثرة القائلين بالقاعدة، لذلك فإنّه لا حاجة للكلام حول موقف العلمـــاء من القاعدة قبولا أو ردًا .

الفرع الثالث: أدلة القاعدة:

هناك عدّة أدلّة تدلّ على الاحتجاج بالتضمن واللّزوم في كتاب الله، أهمّها:

1- إن هذه المعاني تابعة للفظ وهو متوقف عليها وما لا يتم المعنى إلا به فهو مراد قطعا[281] .

2- إن القرآن حقّ ولازم الحقّ حقّ وما يتوقف على الحقّ حقّ، وما يتفرغ عن الحـــقّ حـــقّ، لذلك فإنّ كلّ المعاني المتضمّنة والمستلزمة لألفاظ القرآن هي مرادة قطعا[282] .

3- إنّ الله عزّ وجلّ علم ماذا يترتب على كلامه فإذا علم ذلك، كان هذا اللاّزم مـــرادا لـــه سبحانه ولو لم يكن مرادا لبيّنه تعالى[283] .

الفرع الرابع: أمثلة على القاعدة:

1-قوله تعالى: ﴿**وَبَشِّرْ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ **[البقرة:223]**، وقوله تعالى: ﴿**وَحَرِّضْ الْمُـــؤْمِنِينَ**﴾ **[النساء:84]** يقتضي الأمر بكلّ ما لا يتم البشارة إلا به، والأمر بكلّ ما فيه حثّ وتحريض، وما يتوقّف على ذلك من الاستعداد والتمرّن على أسباب الشجاعة والسعي في القوة المعنويـــة من التآلف واجتماع الكلمة ونحو ذلك[284] .

2 - قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**﴾ **[النساء:58]**، إذا فهمت أن الله أمر بأداء الأمانات إلى أهلها استدللت بذلك على وجوب حفظها وعدم إضاعتها، وأنّه لا يتم الأداء لأهلها إلا بذلك فوجب حفظها[285] .

---

[280]ـــ القواعد الحسان، ص 35 .

[281]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 699 .

[282]ـــ القواعد الحسان، ص 36 .

[283]ـــ شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، تأليف: محمد بن صالح العثيمين (ت:1421هـــ)، علق عليه: أبو يعقوب نشأة كمال المصري، ط 1، 1423هـــ/2002م، دار الآثار، القاهرة، ص 61 .

[284]ـــ القواعد الحسان، ص 39 .

[285]ـــ المصدر نفسه، ص 36 . وانظر للمزيد من تفصيلات القاعدة: الإحكام في أصول الأحكام، تأليف: سيف الدين علي الآمدي (ت:631هـــ)، راجعها وحققها جماعة من العلماء بإشراف الناشر، سنة 1403هـــ/1983م، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 1 ص 17 وإرشاد الفحول، ص 43، والخلاف اللفظي عند الأصوليين، تأليف: عبد الكريم النملة، ط 1، سنة 1417هـــ / 1996م، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، ج 2 ص 213، وشرح القواعد المثلى، ص 56 .

المطلب السادس :

قاعدة : الآيات القرآنيّة التي ظاهرها التضادّ يجب حمل كلّ منها على حال بحسب ما يليق ويناسب المقام .

وقد تكلّمت على هذه القاعدة من عدّة جوانب جعلتها على شكل فروع، هي كمايلي:

الفرع الأول: شرح بعض ألفاظ القاعدة:

- "التعارض": هو تقابل الحجّتين المتساويتين في القوة على وجه يوجب كلّ منهما ضدّ ما توجبه الأخرى في محل واحد في وقت واحد[286] . وقيل هو عبارة عن تنافي الدليلين أو الأدلة بحسب الدّلالة على وجه التناقض أو التضاد بينهما[287] .

الفرع الثاني: معنى القاعدة:

معنى هذه القاعدة: هو أنّ الآيات القرآنيّة التي قد يتوهّم القارئ لها بأنها متعارضة، فإنّ ذلك التوهّم سببه هو النقص في فهم القارئ أو قصر في نظره، وإلاّ ففي حقيقة الأمر، لا يوجد تعارض بين آيات القرآن الكريم، لأنّها كلّها من عند الله الحكيم الخبير، ولذلك فإنّ على كلّ من تَوَهَّم التعارض بين آيات القرآن الكريم أن يحمل كلّ آية على معنى خاص بها، أو على حالة غير الحالة المذكورة في الآية الأخرى أو غير ذلك ممّا يجمع به بين الآيات القرآنية بحسب ما يليق بكل آية في موضعها، لأنّه كلما ازداد المتأمّل في آيات القرآن تدبّرا وأعمل فيها عقله تفكّرا، فإنّه ينبهر عقله ويذهل لبّه من التوافق والتواطؤ بين كلام الله تعالى، فيجزم بأنّه من عند حكيم حميد، قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً** ﴾ **[النساء:82]**[288] .

والملاحظ على الشيخ بن سعدي –رحمه الله– أنّه لمّا ذكر هذه القاعدة لم يشرحها وذلك لوضوح معناها، و لم يشر إلى خلاف وقع فيها، لأنها قاعدة مجمع عليها و لم يخالف في هذا الأصل أحد من ذوي العقول السليمة، ثمّ سرد الشيخ أمثلة كثيرة توضّح معنى القاعدة بالتطبيق.

الفرع الثالث: أسباب وقوع التعارض بين الآيات القرآنية:

ذكر الإمام الزركشيّ –رحمه الله– في البرهان، خمسة أسباب موهمة للإختلاف والتناقض، تعدّ أهمّ الأسباب وهي:

---

[286]ـــ البحر المحيط في أصول الفقه، ج 6 ص 109 .

[287]ـــ أصول الفقه الإسلامي، تأليف: وهبة الزحيلي، ط 14، سنة 1427هـ/2006م، دار الفكر، دمشق، ج 2 ص 451.

[288]ـــ وانظر: حصول المأمول، ص 325، وتيسير الكريم الرحمان، ص 616 .

1- وقوع المخبر به على أحوال مختلفة وتطوّرات شتّى، كقوله تعالى في خلق آدم -عليه السلام- : ﴿ **مِنْ تُرَابٍ** ﴾ **[آل عمران:59]** وقال: ﴿ **مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ** ﴾ **[الحجر:26]** وقال: ﴿ **مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ** ﴾ **[الرحمان:14]**، فهذه أحوال مختلفة كلّ حالة تتكلّم على أصل خلق آدم -عليه السلام- .

2- اختلاف الموضوع وذلك كقوله تعالى: ﴿ **وَلا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ **[البقرة:174]** مع قوله تعالى: ﴿ **فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (93)** ﴾ **[الحجر:92-93]** فالمنفيّ كلام التلطّف والمثبت التوبيخ .

3- الاختلاف في جهتي الفعل، كقوله: ﴿ **فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ** ﴾ **[الأنفال:17]**، أضيف القتل إليهم على جهة الكسب، ونفاه عنهم باعتبار التّأثير .

4- اختلافهما في الحقيقة والجاز، كقوله: ﴿ **وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ** ﴾ **[الحج:2]** أي: وترى النّاس سكارى بالإضافة إلى أهوال القيامة جازا، وما هم بسكارى بالإضافة إلى الخمر حقيقة .

5- بوجهين واعتبارين وهو الجامع للمتفرّقات كقوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الْمَلأ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ** ﴾ **[الأعراف:127]** ، مع قوله: ﴿ **فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمْ الأَعْلَى** ﴾ **[عبس:24]** ، فقيل يجوز أن يكون المعنى: ﴿ **ويذرك وآلهتك** ﴾: إن ساغ لهم، وتكون إضافة الآلهة إليه ملكا كان يعبد في دين قومه ثم يدعوهم إلى أن يكون هو الأعلى فيكون اعتقادهم في الآلهة مع فرعون أنّها مملوكة له فيحسن قولهم (وَآلِهَتَكَ)[289] .

<u>الفرع الرابع</u>: بعض قواعد الجمع بين الآيات المتعارضة ظاهرا:

لقد ذكر العلماء عدّة قواعد يجمع بها بين الآيات التي توهم التعارض، ومن أهمّ تلك القواعد:

1- تقديم المكيّ على المدنيّ: فيقدّم الحكم الذي تضمّنته الآية المكيّة على الحكم الذي تضمنته الآية المدنيّة، وسبب ذلك أنّ غالب الآيات المكيّة كان نزولها قبل الهجرة بعكس المدنيّة .

---

[289]- البرهان في علوم القرآن، ج 2 ص 60-61 .

2- أن يكون أحد الحكمين في غالب أحوال أهل مكّة والآخر على غالب أحوال أهل المدينة، فيقدّم الحكم بالخبر الذي فيه أحوال المدينة، مثل قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً**﴾ **[آل عمران:97]** مع قوله: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى**﴾ **[البقرة:178]** ، فيكون حاصل معنى الآيتين: من دخله كان آمنا إلاّ من وجب عليه القصاص[290] .

3- أن يكون أحد الظاهرين مستقلا بحكمه والآخر مقتضيا لفظًا يزاد عليه، فيقدّم المستقلّ بنفسه عند المعارضة والتّرتيب، كقوله تعالى: ﴿**وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ**﴾ **[البقرة:196]** مع قوله تعالى: ﴿**فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنْ الْهَدْيِ**﴾ **[البقرة:196]** ، وقد أجمعت الأمّة على أنّ الهدي لا يجب بنفس الحصر، وليس فيه صريح الإحلال بما يكون سببا له فيقدّم المنع من الإحلال عند المرض بقوله: ﴿**وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ**﴾ على ما عارضه من الآية .

4- أن يكون كلّ واحد من العمومين محمولا على ما قصد به في الظاهر عند الاجتهاد، فيقدّم ذلك على تخصيص كلّ واحد منهما من المقصود بالآخر، كقوله تعالى: ﴿**وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ**﴾ **[النساء:23]** ، بقوله: ﴿**وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**﴾ **[النساء:36]**، فيخصّ الجمع بملك اليمين بقوله تعالى: ﴿**وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ**﴾، فتحمل آية الجمع على العموم والقصد منها بيان ما يحلّ وما يحرم، وتحمل آية الإباحة على زوال اللّوم فيمن أتى بحال .

5- ترجيح ما يعلم بالخطاب ضرورة على ما يعلم منه ظاهرا، كتقديم قوله تعالى: ﴿**وَأَحَلّ اللَّهُ الْبَيْعَ**﴾ **[البقرة:275]** على قوله: ﴿**وَذَرُوا الْبَيْعَ**﴾ **[الجمعة:9]** ، فإنّ قوله: (وأحلّ) يدلّ على حلّ البيع ضرورة، ودلالة النّهي على فساد البيع إمّا ألاّ تكون ظاهرة أصلا، أو تكون ظاهرة لكنّها منحطّة على النّص[291] .

<u>الفرع الخامس</u>: أمثلة على القاعدة:

أمثلة هذه القاعدة كثيرة جدًّا وقد سبق بيان بعض الأمثلة في أسباب التعارض وفي بعض قواعد الجمع ونكتفي هنا بذكر مثال واحد ذكره محمد الأمين الشنقيطي في "دفع إيهام الإضطراب" وهو:

---

[290]ـــ البرهان في علوم القرآن، ج 2 ص 49 .

[291]ـــ المصدر نفسه، ج 2 ص 50 .

- قوله تعالى: ﴿ **لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾ **[النحل:25]** فهذه الآية تدل على أنّ هؤلاء الضّالين يحملون أوزارهم كاملة، ويحملون أيضا من أوزار الأتباع الذين أضلّوهم، وقد جاءت آيات أخر تدلّ على أنّه لا يحمل أحد وزر غيره، كقوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى** ﴾ **[فاطر:18]** ، وقوله تعالى: ﴿ **وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى** ﴾ **[الأنعام 164]** ، والجواب أنّ هؤلاء الضالّين ما حملوا إلاّ أوزار أنفسهم لأنهم تحمّلوا وزر الضّلال ووزر الإضلال، فمن سنّ سنّة سيّئة فعليه وزرها، ووزر من عمل بها، لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا لأنّ تشريعه لها لغيره، ذنب من ذنوبه فأخذه به[292] .

---

[292]ـــ دفع إيهام الإضطراب عن آيات الكتاب، تأليف: محمد الأمين الشنقيطي (ت:1393هـــ)، طبع وتوزيع الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والإرشاد، الرياض، سنة 1403هـــ/ 1983م، طبع مع أضواء البيان، ص 172 . ومن أراد الاستزادة من معرفة طرق الجمع بين الآيات المتعارضة ظاهرا فلينظر في الكتاب السابق بالإضافة إلى:

ـــ درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، تأليف: الخطيب الإسكافي (ت:420هـــ)، ط 3, 1979م، منشورات الآفاق الجديدة، بيروت .

ـــ ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، تأليف: أحمد بن الزبير الغرناطي (ت:8ه 8)، تحقيق: سعيد فلاّح، ط 1، سنة 1983هـــ/1403هـــ، دار الغرب الإسلامي .

المطلب السابع :

قاعدة : حذف المتعلّق المعمول فيه يفيد تعميم المعنى المناسب له .

وقد تكلّمت على هذه القاعدة من عدّة جوانب جعلتها على شكل فروع، وهي كمايلي:

الفرع الأول: شرح بعض ألفاظ القاعدة:

1 – "الحذف": هو إسقاط جزء من الكلام أو كلّه لدليل[293] .

2 – "المتعلق": وهو نفسه المعمول ويقال له أيضا المضمر، لذلك نكتفي بتعريف المعمول، وهو عند النحويّين: ما يتغيّر آخره برفع أو نصب أو جزم أو خفض بتأثير العامل فيه[294] .

وأما المقصود بالمعمول أو المتعلق في القاعدة فهو: ما يتعلق به الكلام من فعل أو ما في معناه، بحيث لا يكون المعنى تامًّا إلاّ بذلك المتعلّق أو المعمول وذلك كالمفعولات وغيرها .

الفرع الثاني: معنى القاعدة:

معنى هذه القاعدة هو: أنّ من الأساليب القرآنيّة التي يستفاد منها تعميم معنى الآية، أن يأتي في الآية القرآنيّة حذف لفظ يتعلّق به معنى الكلام مع وجود قرينة تدلّ على هذا المتعلّق المحذوف، سواء كانت القرينة في لفظ من الألفاظ أو في السياق، لأنه لا يجوز حذف ما لا يدلّ السّياق والقرينة الحاليّة على حذفه، فإذا وجدنا هذه القرينة الدالّة على المتعلّق المحذوف، فإنّنا نثبت جميع المعاني التي يدلّ عليها ذلك المتعلّق المحذوف، لأنّ من أعظم فوائد الحذف هو تعميم المعنى، لذلك فإنّ الله تعالى إذا أطلق المعنى وحذف المتعلّق، فإنّ القصد من ذلك هو التعميم، وفي مقابل ذلك ذكر المتعلّق وتقييد الكلام به، فإن المتعلّق إذا ذكر وقيّد الكلام به فإنّه يدلّ على تخصيص المعنى بذلك المذكور .

هذا هو المعنى الذي قصده الشيخ بن سعدي من هذه القاعدة، ثم أفاض في ذكر أمثلة عليها فذكر في كتابه: "القواعد الحسان"، حوالي خمسة عشر مثالا ثم قال: "وهذا شيء كثير لو ذهبنا نذكر الأمثلة عليه لطالت، ولكن قد فتح الباب فامش على هذا السّبيل المفضي إلى رياض بهيجة من أصناف العلوم"[295] ، كما أنّ الشّيخ ذكر مسألة تلحق بهذه القاعدة فقال: "ويدخل في ذلك ما كان السياق منه فرد من أفراد هذا المعنى العام"[296] .

---

[293]ـــ البرهان في علوم القرآن، ج 3 ص 102 .

[294]ـــ جامع الدروس العربية، ص 529 .

[295]ـــ القواعد الحسان، ص 35 .

[296]ـــ المصدر نفسه، ص 50 .

الفرع الثالث: اختلاف العلماء في القاعدة:

هذه القاعدة التي ذكرها الشيخ بن سعدي قد وافق فيها جمهور العلماء لأنّ القاعدة ليست محلّ إجماع بين العلماء، بل إنّهم اختلفوا في القول بعموم المتعلّق المحذوف أو عدم عمومه .

وقبل ذكر الخلاف بين العلماء في القاعدة، نذكر مسألة اتّفق العلماء على عدم تعميم المتعلّق المحذوف فيها وهي: ما إذا قام دليل يدلّ على تعيين أحد المتعلّقات المحذوفة، فإنّه حينئذ يتقيّد بذلك المقدّر الذي دلّ عليه الدليل بالاتفاق[297] .

وأمّا موضع الخلاف بين العلماء في القاعدة فهو: ما إذا لم يدلّ دليل على تعيين ذلك المحذوف، فهذه الحالة هي محلّ خلاف بين العلماء، حيث ذهب الجمهور من المالكيّة والشافعيّة إلى أنّ المتعلّق المحذوف يدلّ على عموم المعنى، قال صاحب مراقي السعود:

والمقتضى أعمّ جلّ السلف كذاك مفهوم بلا مختلف[298]

وذهب بعض العلماء كابن الحاجب[299] والغزالي والشيرازي[300] وغيرهم إلى أنّ حذف المتعلق لا يدلّ على العموم[301] .

وبذلك يتبيّن أنّ الشيخ بن سعدي -رحمه الله- وافق في هذه القاعدة جمهور العلماء .

الفرع الرابع: أدلّة القائلين بالقاعدة:

لقد احتجّ القائلون بأنّ الحذف يدلّ على العموم بعدّة أدلّة نذكر منها ما يلي:

1 - أنّ المقتضى هو مطلوب النّصّ ومراده فصار بذلك كالمذكور نصًّا ولو كان له عموم وخصوص، فكذا إذا وقع مقتضى النّص[302] .

---

[297]ـ إرشاد الفحول، ص 227 .

[298]ـ مراقي السعود ، ص 459، البيت: 378 .

[299]ـ ابن الحاجب: أبو عمر بن أبي بكر بن يونس، فقيه مالكي من كبار علماء العربية، ولد بمصر سنة 570هـ وهو كردي الأصل، نشأ بالقاهرة وسكن دمشق ومات بالأسكندرية، كان أبوه حاجبا فعرف به، من مؤلفاته: "مختصر الفقه" و"الكافية في النحو" وغيرها توفي سنة 646هـ . انظر: سير أعلام النبلاء، ج 23 ص 264، وشذرات الذهب، ج 7 ص 405-407 .

[300]ـ الشيرازي: إبراهيم بن علي بن يوسف أبو إسحاق الشيرازي، ولد بفيروز آباد سنة 393هـ، نشأ ببغداد وتوفي بها، كان مناظرا فصيحا ورعا متواضعا، انتهت إليه رئاسة مذهب الشافعية، من مؤلفاته: "المهذب" في الفقه و"اللمع" في أصول الفقه وغيرها، توفي سنة 476هـ . انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، ج 4 ص 215، ومعجم المؤلفين، ج 1ص 48 .

[301]ـ نشر البنود، ج 1 ص 221، وإرشاد الفحول، ص 226-227 .

[302]ـ تخريج الفروع على الأصول، تأليف: شهاب الدين الزنجاني (ت:656هـ)، حققه وعلق على حواشيه: محمد أديب صالح، ط 5، سنة 1404هـ/1984م مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 280 .

2– أنّ حمل المعمول على العموم أعمّ فائدة من حمله على عدم العموم[303] .

3 – أنّ المقتضى بمنزلة المنصوص في ثبوت الحكم به، حتّى كان الحكم الثابت به كالحكم الثابت بالنّصّ لا بالقياس فكذلك في إثبات صفة العموم فيه فيجعل كالمنصوص[304] .

الفرع الخامس: أمثلة على القاعدة:

هذه القاعدة لها أمثلة كثيرة من القرآن نكتفي بذكر اثنين منها:

1- قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ **[المائدة:90]** فلم يخصّ الاجتناب بنوع من أنواع الاجتناب، فيحمل على العموم ويكون المعنى: اجتنبوا بيعه، وشربه، وإهداءه، وتخليله، وهبته، والتّداوي به أو التطيّب[305] .

2- قوله تعالى: ﴿**أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ**﴾ **[التكاثر:1]** فحذف المتكاثر به ليعم جميع ما يقصد النّاس فيه المكاثرة من الرّياسات والأموال والجاه والضّيعات والأولاد وغيرها مما يتعلق به أغراض النفوس ويلهيها عن طاعة الله[306] .

---

[303]ـــ إرشاد الفحول، ص 227.

[304]ـــ أصول السرخسي، ج 1 ص 248 .

[305]ـــ قواعد التفسير، ج 2 ص 599 .

[306]ـــ القواعد الحسان، ص 52 . وانظر للمزيد من تفصيلات القاعدة: الإحكام للآمدي، ج 2 ص 364، ونهاية السول، ص 365، وبدائع الفوائد، ص 28، وأضواء البيان، ج 5 ص 440، والمدخل إلى مذهب الإمام أحمد، ص 245، والكليات، ص 135 .

المطلب الثامن :

قاعدة : حذف جواب الشرط يدل على تعظيم الأمر وشدّته في مقامات الوعيد .

وقد تكلّمت على هذه القاعدة من عدّة جوانب جعلتها على شكل فروع، وهي كمايلي:

الفرع الأول: شرح بعض ألفاظ القاعدة:

– "الحذف": هو إسقاط الشيء لفظا ومعنى[307] .

الفرع الثاني: معنى القاعدة:

معنى هذه القاعدة أنّه إذا جاء في الآيات القرآنية شرط وجوابه، وكان سياق هذا الشّرط هو بيان الوعيد على أمر من الأمور، كالعقاب في الآخرة، أو العذاب في الدنيا... إلخ، ثم حذف جواب هذا الشّرط فإنّ هذا الحذف يدل على أنّ هذا الوعيد شديد ومَهُولٌ، لأنّ حذف جواب الشرط في هذا المقام إنّما يقصد به المبالغة وذهاب الذّهن إلى كلّ ما يمكن أن يتخيّله من هذا الوعيد، فيعظم شأن ذلك الوعيد في نفس المخاطب، وهذا من أعظم فوائد الحذف، ولكن لو صرّح بالجواب فإنّه لا يكون له ذلك الوقع ومن ثم فإنه لا يحسن تقدير جواب معيّن، وذلك ليبقى الكلام شاملا لكلّ ما يحتمل من الوعيد، وهذا النوع من الحذف إنما يكثر في جواب "لو" وجواب "لولا" الشرطيّتين .

بقي أن ننبّه إلى شرط حذف هذا الجواب وهو: أن يدلّ دليل على هذا المحذوف، ومثاله أن يكون المخاطب عالما بهذا المحذوف فإنّه حينئذ لا إشكال في حذفه لأنّ القصد من هذا الحذف متحقّق، لكن إذا لم يكن المحذوف معلوما لدى المخاطب فإنّه لا يجوز حذفه، لأنّه حينئذ ينتفي المقصود من الحذف وهو تهويل الأمر لدى المخاطب[308] .

هذا هو المعنى الذي قصده الشيخ بن سعدي بهذه القاعدة، وهو معنى واضح وسهل الفهم لذلك لم يتعرّض الشيخ لشرح هذه القاعدة، بل اكتفى بذكر أمثلة عليها فقط، و لم يشر إلى خلاف فيها ولا إلى أدلّتها .

الفرع الثالث: أمثلة على القاعدة:ونكتفي بذكر مثال واحد على هذه القاعدة ذكره الإمام الرازي في تفسيره ثم أتبعه بفوائد أخرى تتعلق بالقاعدة، وذلك لّما فسّر قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ تَرَى**

---

[307]ـــ الكليات، ص 384 .

[308]ـــ البرهان في علوم القرآن، ج 3 ص 104 .

إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام 30] حيث قال: "المسألة الأولى (وَلَوْ تَرَى) يقتضي له جوابا، وقد حذف تفخيما للأمر، وتعظيما للشّأن، وجاز حذفه لعلم المخاطب به، وأشباهه كـــثيرة في القرآن والشّعر، ولو قدّرت الجواب في هذه الأشياء، أبلغ في المعنى من إظهاره، ألا ترى أنّك لو قلت لغلامك: والله لئن قمت إليك، وسكتّ عن الجواب، ذهب فكره إلى أنواع المكروه مـــن الضرب والقتل والكسر، وعظم الخوف و لم يدر أيّ الأقسام تبغي، ولو قلت: والله لئن قمـــت إليك لأضربنّك، فأتيت بالجواب، ليعلم أنّك لم تبلغ شيئا غير الضرب، ولا يخطر بباله نوع من المكروه سواه، فثبت أنّ حذف الجواب أقوى تأثيرا في حصول الخوف[309] .

[309]ـــ التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، تأليف: فخر الدين الرازي (ت:606هـــ)، ط 3،سنة 1405هـــ/1985م، دار الفكر، بيروت، لبنان، ج 6 ص 201 . وانظر لمزيد مما يتعلق بالقاعدة: فتح القدير، ج 2 ص 137، و ج 4 ص 315، والمحرر الوجيز ج 2 ص 281،
والبحر المحيط، تأليف: أبي حيان الأندلسي (ت:745هـــ)، ط 2، 1403هـــ/1983م،دار الفكر، ج 4 ص 101 وص 105، وقواعد التفسير، ج 1 ص 372 .

المطلب التاسع :

قاعدة : بعض الأسماء الواردة في القرآن إذا أفرد دلّ على المعنى المناسب له، وإذا قرن مع غيره دلّ على بعض المعنى ودلّ ما قرن معه على باقيه .

وقد تكلّمت على هذه القاعدة من عدّة جوانب جعلتها على شكل فروع، وهي كمايلي:

الفرع الأول: شرح بعض ألفاظ القاعدة:

– "الأسماء" : الاسم، هو اللفظ الموضوع لمعنى، سواء كان مركّبا أو مفردا أو مخبرا عنه، أو خبرا أو رابطة بينهما[310] .

الفرع الثاني: معنى القاعدة:

معنى هذه القاعدة هو: أنه كثيرا ما تأتي الأسماء معطوفة في القرآن الكريم، والأصل في هـــذا العطف أن يكون المعطوف والمعطوف عليه متغايرين ولكن هذه المغايرة تأتي على أنواع كثيرة، فمنها ما يكون فيها الاسمان متباينين، ومنها ما يكون فيه الاسمـــان مختلفين في الصـــفة... إلخ، والذي يهمّنا في هذه القاعدة هو أن يكون أحد الاسمين المعطوفين داخلا في الآخر، ففي هـــذه الحالة يأتي اسم من الأسماء الواردة في القرآن الكريم، ويكون هذا الاسم مشتملا على مسمّيات متعدّدة يدلّ عليها كلّها إذا كان مفردا، ولكن إذا اقترن هذا الاسم مع بعض الأسماء فإنه يصير دالاّ على بعض تلك المسمّيات فقط تعرف من سياق الكلام، ويدل الاسم المقرون به على باقي المسمّيات فيكْمُلُ المعنى[311] .

هذا هو المعنى الذي أراده الشيخ بن سعدي من هذه القاعدة، وهو معنى واضح سهل العبارة، لذلك لم يتعرّض لشرحها بل اكتفى بذكر أمثلة عليها مثل اقتران: الإيمان مع العمل الصالح، أو البرّ مع التقوى، أو الإثم مع العدوان، أو الفقير مع المسكين... إلخ .

الفرع الثالث: مثال على القاعدة:

1– الألفاظ الدالّة على تلاوة الكتاب والتمسك به وهو اتباعه، يشتمل ذلك القيام بالدّين كلّه، فإذا قُرنت معه الصلاة،كما في قوله تعالى: ﴿ **اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ الْكِتَابِ وَأَقِـــمْ الصَّـــلاةَ** ﴾

---

[310]ـــ الكليات، ص 84 .

[311]ـــ جامع العلوم والحكم شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، تأليف: ابن رجب (ت:795هـــ)، تحقيق: معروف رزيق، ط 1، سنة 1417هـــ/1996م، دار الجيل، بيروت، ص 46، وشرح العقيدة الطحاوية، تأليف: ابن أبي العز (ت: 792هـــ)، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرناؤوط، ط 3، سنة 1412هـــ/ 1991م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 345 .

[العنكبوت:35]، وقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ** ﴾ **[الأعراف:170]**، كان ذكر الصلاة تعظيما لها وتأكيدا لشأنها وحثّا عليها وإلاّ فهي داخلة بالاسم العـــام، وهـــو التلاوة والتمسك به، وما أشبه ذلك من الأسماء[312] .

2- لفظ ﴿ **الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ **[المائدة:2]**، إذا قرنا معا فسّر الإثم بالمعاصي التي بين العبد وربّه، والعدوان بالتّجرّئ على النّاس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، وإذا أفرد الإثم دخلت فيه كـــلّ المعاصي التي تؤثم صاحبها، سواء كانت بينه وبين ربه، أو بينه وبين الخلق، وكذلك إذا أفـــرد "العدوان"[313] .

---

[312]ـــ القواعد الحسان، ص 59-60 .

[313]ـــ المصدر نفسه، ص 58-59 . وانظر لمزيد الاستفادة من القاعدة: مجموع فتاوى ورسائل بن عثيمين،جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان، دار بن الهيثم، ج 1 ص 49، وشرح أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، اعتنى به وحققه: عادل بن سعد، ط 1، سنة 1426هـــ/ 2005م، دار بن الهيثم، القاهرة، ج 1 ص 235 .

المطلب العاشر :

قاعدة : ختم الآيات بأسماء الله الحسنى يدل على أن الحكم المذكور له تعلق بذلك الاسم الكريم .

وقد تكلّمت على هذه القاعدة من عدّة جوانب جعلتها على شكل فروع، وهي كما يلي:

الفرع الأول: معنى القاعدة:

هذه القاعدة من قواعد علم المناسبة في القرآن الكريم، وذلك أنّ علم المناسبة يأتي على عدّة أنواع، فمنها المناسبة بين السور ومنها المناسبة بين الآيات... إلخ ، ومن أهمّ هذه الأنواع والتي أغفلها كثير من المفسّرين، مناسبة موضوع الآية للأسماء الحسنى التي ختمت بها، وهذا النّوع من أنواع المناسبة هو من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة، لأنّه لا بدّ أن يكون للأسماء الحسنى التي ختمت بها الآية مناسبة للمعاني والأحكام المذكورة في تلك الآية وإلاّ خرج بعض الكلام عن بعض، وقصة الأعرابي في آية السرقة تبيّن ذلك وتؤكّده[314] ، وهذه القاعدة إنما قرّرها العلماء اعتمادا على تتبع آيات القرآن الكريم، فإن المتتبّع لما تضمّنته الآيات القرآنية من المعاني والأحكام، يجدها في غاية المناسبة مع ما ختمت به تلك الآيات من الأسماء الحسنى، وهذا يدلّ بلا ريب على أنّ الشّرع والأمر والخلق كلّه صادر عن أسمائه وصفاته تعالى ومرتبط بها، فنجد أنّ آية الرحمة مختومة بصفة الرحمة، وآية العقوبة والعذاب مختومة بأسماء العزّة والقدرة والحكمة والعلم والقهر... إلخ[315] .

هذا هو المعنى الذي أراده الشّيخ بن سعدي من هذه القاعدة التي تعتبر أطول قاعدة تكلم عليها، حيث شرحها ثم أفاض في ذكر الأمثلة عليها، وبيّن سبب إطالته في ذكر الأمثلة وهو إهمال كثير من المفسّرين لهذا النوع من أنواع المناسبة، يقول الشيخ بن سعدي: "ولا بأس هنا أن نتتبّع الآيات الكريمة في هذا ونشير إلى مناسبتها بحسب ما وصل إليه علمنا القاصر وعبارتنا الضعيفة ولو طالت الأمثلة هنا، لأنّها من أهم المهمّات ولا تكاد تجدها في كتب التفسير إلا يسير منها"[316] .

ثم ذكر الشيخ صورة من صور هذه القاعدة وهي: أنّ الله -عزّ وجلّ- قد يكتفي بذكر أسمائه الحسنى عن التّصريح بذكر أحكامها وجزائها لينبّه عباده أنّهم إذا عرفوا الله بذكر الاسم العظيم

---

[314] ــ انظر: البحر المحيط، ج 3 ص 495 .

[315] ــ البرهان في علوم القرآن، ج 1 ص 78، والقواعد الحسان، ص 66، وقواعد التفسير، ج 2 ص 744 .

[316] ــ القواعد الحسان، ص 70 .

عرفوا ما يترتب عليه من الأحكام كقوله تعالى: ﴿ **فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ **[البقرة:209]**[317] .

هذا ما يمكن أن يقال في معنى هذه القاعدة -والله أعلم- .

<u>الفرع الثاني</u>: أمثلة على القاعدة:

نكتفي بذكر مثال واحد على هذه القاعدة، وإن اشتمل على عدّة آيات جاءت متتالية وكلّ آية منها مختومة باسمين من أسماء الله الحسنى وهي قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (63) لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (64) أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (65)** ﴾ **[الحج:63-65]** .

قال الإمام الزّركشي -رحمه الله-: "إنما فصل الأولى بـ **(لَطِيفٌ خَبِيرٌ)** لأن ذلك في موضع الرحمة لخلقه، بإنزال الغيث وإخراج النّبات من الأرض ولأنّه خبير بنفعهم، وإنّما فصل الثانية بـ **(الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)** لأنّه قال: **(لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ)** أي: لا لحاجة بل هو غني عنهما جواد بهما، لأنّه ليس غنيٌّ نافعا غناه إلا إذا جاد به، وإذا جاد به وأنعم حمده المنعم عليه واستحق عليه الحمد، فذكر **(الْحَمِيدُ)** على أنه الغني النافع بغناه خلقه، وإنما فصل الثالثة بـ **(لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ)** لأنّه لمّا عدّد للنّاس ما أنعم به عليهم من تسخير ما في الأرض لهم، وإجراء الفلك في البحر وتسييرهم في ذلك الهول العظيم وجعله السماء فوقهم وإمساكه إيّاها عن الوقوع حسن ختامه بالرّأفة والرحمة[318] .

---

[317]- القواعد الحسان، ص 70 .

[318]- البرهان في علوم القرآن، ج 1 ص 31 . وانظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تأليف: ابن قيم الجوزية (ت:728هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، ج 1 ص 36، وتيسير الكريم الرحمان، ص 55، وشرح أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، ص 235 .

المطلب الحادي عشر :

قاعدة : الأصل أن الآيات التي فيها قيود لا تثبت أحكامها إلا بوجود تلك القيود إلاّ في آيات يسيرة .

وقد تحدثت عن هذه القاعدة من عدّة جوانب جعلتها على شكل فروع، وهي كالآتي:

الفرع الأول: شرح بعض ألفاظ القاعدة:

- "القيود": المقيّد: هو لفظ خاصّ يدل على فرد شائع مقيد بصفة من الصفات[319] . والمقصود بالوصف هنا ما هو أعمّ من النعت عند النحاة، فيدخل في ذلك المقيّد بالشّرط أو الصّفة أو الاستثناء وسائر أنواع مفاهيم المخالفة[320] .

الفرع الثاني: معنى القاعدة:

وقبل بيان معنى هذه القاعدة يجب أن نقدّم لها بمقدمة صغيرة هي:

هذه القاعدة التي ذكرها الشيخ بن سعدي هي نفسها القاعدة التي تعرف بقاعدة "المنطوق والمفهوم" عند الأصوليين لذلك فإنه يجب أن نعرّف بهذين المصطلحين وهما:

- "المنطوق": وهو ما دل عليه اللفظ في محل النطق[321] .

- "المفهوم": وهو دلالة اللفظ على حكم شيء لم يذكر في الكلام[322] . وهو ينقسم إلى قسمين: مفهوم الموافقة ومفهوم المخالفة، والذي يهمّنا في هذه القاعدة هو مفهوم المخالفة، وتعريفه هو: ما خالف المسكوت عنه المنطوق في الحكم . وهو أنواع كثيرة منها:

مفهوم الصفة، ومفهوم الشرط، ومفهوم الغاية، ومفهوم العدد، ومفهوم اللقب، ومفهوم الحصر[323] ، وهذه هي أهم أنواع مفهوم المخالفة .

وبعد هذه المقدّمة الصغيرة، نشرع في بيان معنى القاعدة التي قرّرها الشيخ بن سعدي وذلك من ناحيتين:

الأولى: أنّ الأصل في الآيات التي قيّدت أحكامها بقيود وشروط فإنّ تلك القيود والشروط معتبرة وبالتالي فإن تلك الأحكام لا تثبت إلا بثبوت تلك القيود والشروط وأنها تنتفي بانتفائها .

---

[319]ـــ إرشاد الفحول، ص 144 .

[320]ـــ قواعد التفسير، ج 2 ص 636 .

[321]ـــ الإحكام للآمدي، ج 3 ص 93، وشرح الكوكب المنير، ج 3 ص 473 .

[322]ـــ أصول الفقه الإسلامي، ج 1 ص 348 .

[323]ـــ المصدر نفسه، ج 1 ص 349 .

الثانية: أنّ هناك آيات في القرآن الكريم قيّدت بقيود وشروط ومع ذلك فهي قيود وشروط غير معتبرة، وإنّما جاء ذكرها في الآية لسبب من الأسباب التي سيأتي ذكرها، ولذلك فإنّ أحكام هذه الآيات ثابتة وإن انتفت تلك القيود والشروط، وهذه الناحية الثانية التي بيّناها هي المقصودة من عقد الشيخ بن سعدي لهذه القاعدة، ولذلك فإنّنا سنتكلّم عليها دون الكلام على الناحية الأولى وذلك كما يلي:

هناك آيات في القرآن الكريم تضمّنت أحكاما مقيّدة بقيود من أوصاف أو شروط أو غيرها، ولكن ليس المقصود من ذكر هذه القيود هو نفي تلك الأحكام إذا انتفت قيودها، إنّما المقصود منها هو إبراز أعلى الحالات في الحسن إن كانت تلك الأحكام مأمورا بها، أو بيان أقبح وأشنع الحالات إن كانت تلك الأحكام منهيّا عنها، وهذا ما يعبّر عنه المفسرون بقولهم: "هذه الآية ليس لها مفهوم" . وهذا النوع من الآيات قليل بالنسبة للآيات التي لها مفهوم في الحكم، لأن الأصل هو إثبات المفهوم للآيات إلاّ لدليل دلّ على نفي ذلك المفهوم[324] .

هذا هو المعنى الذي أراده الشيخ بن سعدي من هذه القاعدة التي قرّرها ثم ذكر أمثلة كثيرة عليها، كما ذكر أمثلة على آيات اختلف المفسرون فيها، هل لها مفهوم أو ليس لها مفهوم ؟، فذكر من ذلك مثالين هما:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿ **وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحاً** ﴾ **[البقرة: 228]** ، وقوله تعالى: ﴿ **فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتْ الذِّكْرَى** ﴾ **[الأعلى:9]** . ففي الآية الأولى قال بعض العلماء ليس من حقّ الرّجل ردّ زوجته في العدّة إلاّ إذا أراد الإصلاح لأنّ للآية مفهوم وهذا الذي رجّحه الشيخ، وهناك من قال بأنّ الرجل يملك حقّ إرجاع زوجته في العدّة سواء أراد الإصلاح أو لم يرده لأنّ القيد في الآية خرج مخرج الغالب وليس له مفهوم[325] .

وأمّا الآية الثانية: فقد ذكر فيها الشيخ بأنّ بعض الناس يظنّ بأنّ الذّكرى واجبة سواء أنفعت أو لم تنفع ثمّ غلّط الشيخ هذا القول، وهناك من قال بأن الذّكرى إن كانت تنفع وجبت وإن كانت لا تنفع فإنها لا تجب أخذا بمفهوم الآية وهو الذي رجّحه الشيخ[326] .

كما أن الشيخ بن سعدي لّما تكلم على القاعدة انتقد العبارة التي يردّدها كثير من المفسرين وهي قولهم: "هذا قيد غير مراد"، وبين أن الخطأ إنما هو في العبارة فقط وإلاّ فإنّ مقصودهم

---

[324]ـ شرح القواعد الحسان، ص 91 .

[325]ـ القواعد الحسان، ص 100-101 .

[326]ـ المصدر نفسه، ص 102 .

منها هو عدم تقييد ثبوت أحكام الآية بتلك القيود، وفي هذا المعنى يقول الشيخ بن سعدي: "وفي هذه العبارة نظر فإنّ كلّ لفظة في كتاب الله، فإن الله أرادها وفيها فائدة، قد تظهر للمتكلّم وقد تخفي، وإنّما مرادهم بقولهم غير مراد ثبوت الحكم بها"[327] .

هذه المعاني هي أهمّ المعاني التي أراد الشيخ بيانها من خلال هذه القاعدة .

الفرع الثالث: اختلاف العلماء في هذه القاعدة:

الخلاف الذي وقع بين العلماء في هذه القاعدة إنما هو خلاف في الاحتجاج بالمفهوم أو عدم الاحتجاج به، حيث ذهب الجمهور إلى حجّيته بشروط، وذهب الأحناف إلى عدم حجّيته مطلقا[328] ، وأمّا القاعدة بالمعنى الذي أراده الشيخ ابن سعدي منها وهو ذكر المستثنى من قاعدة الاحتجاج بالمفهوم، فإنه -والله أعلم- لم يقع خلاف بين العلماء في القول به، وذلك أنّ الجمهور لّما قرّروا الاحتجاج بالمفهوم اشترطوا له شروطا يجب انتفاؤها في القيود التي قيّدت أحكام الآيات بها، كأن لا تكون القيود خرجت مخرج الغالب، أو خرجت مراعاة للواقع أو للتّرغيب أو للتّرهيب أو للامتنان... إلخ ، وقالوا بأنّه إذا انتفت هذه المقاصد من القيود فإنّه يحتج بالمفهوم وإذا كانت القيود ذكرت من أجل إحدى هذه المقاصد فإنه لا يحتجّ بالمفهوم في هذه الحالة، وأما الأحناف فإنهم لا يحتجون بالمفهوم ابتداءًا، لذلك فهم متّفقون مع الجمهور في هذه الحالة الثانية، وهي الحالة التي عقد الشيخ هذه القاعدة من أجلها. هذا من الناحية النظرية للقاعدة، وأما من الناحية التطبيقيّة لها، فإنّ العلماء قد يختلفون في إثبات المفهوم للآية أو عدم إثباته لها وذلك أنّ أحدهم قد يرى أنّ هذا القيد الذي ذكر في الآية إنّما خرج لمعنى من المعاني السابقة، ويرى الآخر أنّه قيد أريد به نفي الحكم بانتفاء هذا القيد . وقد سبق التمثيل لهذا النوع من الخلاف لّما بيّنّا معنى هذه القاعدة .

الفرع الرابع: أمثلة على القاعدة:

1 – قوله تعالى: ﴿**وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ**﴾ **[الأنعام 151]**، وقوله: ﴿**وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ**﴾ **[الإسراء:31]**، ليس المقصود من هذا القيد أنّه يجوز قتل الأولاد في غير هذه الحالة، لأنّ النّهي عن قتلهم إنّما هو في هذه الحالة وغيرها، ولكن المقصود من ذكر هذا القيد هو بيان أنّ هذه الحالة، إنّما هي حالة جامعة للشرّ كلّه كونه قتلا بغير حق، وكونه صادرا عن التسخّط على أقدار الله وإساءة الظّنّ به حيث ظنّوا أنّهم إن أبقوهم زاد فقرهم

---

[327]– القواعد الحسان، ص 98 .

[328]– أصول الفقه الإسلامي، ج 1 ص 354 .

واشتدّت ضرورتهم فصار الأمر بالعكس، فإذا كان منهيّا عن قتلهم في هذه الحالة التي دفعهـــم إليها خشية الفقر ففي غير هذه الحالة من باب أولى وأحرى[329] .

2- قوله تعالى: ﴿ **لَحْماً طَرِيّاً** ﴾ **[النحل:14]** ليس المراد من هذا القيد أنّ اليابس كالقديد ممّا في البحر لا يجوز أكله، بل هو جائز بالإجماع لأنّه قد تقرّر في الأصول أنّ القيد إذا كان مسوقا للامتنان فإنه لا مفهوم له، فإنه قيّد هنا بكونه "طَرِيّاً" ، لأنه أحسن من غيره، فالامتنان به أتمّ، وقد أشار إلى هذا صاحب مراقي السعود[330] بقوله في موانع اعتبار مفهوم المخالفة:

أو امتنان أو وفاق الواقع و الجهل والتأكيد عند السامع[331] .

---

[329]ـــ القواعد الحسان، ص 100 .

[330]ـــ مراقي السعود، ص 450، رقم البيت: 152.

[331]ـــ أضواء البيان، ج 3 ص 230 .

المطلب الثاني عشر :

قاعدة : المحترزات في القرآن تقع في كلّ المواضع في أشد الحاجة إليها .

وقد تكلّمت على هذه القاعدة من عدّة جوانب جعلتها على شكل فروع، وهي كمايلي:

الفرع الأول: شرح بعض ألفاظ القاعدة:

- "المحترزات": الإحتراز أو الإحتراس هو أن يؤتى في وسط الكلام أو آخره الذي يوهم خلاف المقصود بما يرفع ذلك الوهم[332] .

الفرع الثاني: معنى القاعدة:

معنى هذه القاعدة أنّ كلّ موضع من الآيات القرآنية يسوق الله تعالى فيه حكما من الأحكام أو خبرا من الأخبار فيتشوّف الذّهن فيه إلى شيء آخر ويفهم منه معنى غير مقصود، إلاّ وجدت الله قد قرن به ذلك الأمر الذي يعلق في الأذهان، فيبيّنه الله تعالى أحسن بيان ويزيل الإشكال الذي قد يتوهّم في آيات القرآن الكريم، وهذا أعلى أنواع التعليم الذي لا يبقي إشكالا إلا أزاله ولا احتمالا إلا أوضحه، وهذا يدلّ على سعة علم الله تعالى وحكمته وأنّ القرآن تنزيل من عند من يعلم الأشياء قبل وجودها، ومن رحمته وسعت كل شيء[333] .

هذا هو المعنى الذي أراده الشيخ بن سعدي من هذه القاعدة التي استنبطها بتتبع الآيات القرآنية التي ذكرت فيها محترزات معيّنة، وقد ذكر الشيخ حوالي ستة أمثلة على هذه القاعدة، وهي قاعدة واضحة المعنى لا تحتاج إلى كثير من التفصيل .

الفرع الثالث: أمثلة على القاعدة:

1- قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ**﴾ **[النمل: 91]** ، فقوله تعالى: (وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ) احتراس لئلاّ يتوهّم من إضافة ربوبيّته إلى البلدة اقتصار ملكه عليها، ليعلم أنّ تلك الإضافة إنما هي لتشريف المضاف إليه لا لتعريف المضاف بتعيين مظاهر ملكه[334].

---

[332]ـ التعريفات، ص 13، وكشاف لمصطلحات الفنون، ج 2 ص 44 . وانظر للمزيد من تفاصيل القاعدة: الإحكام للأمدي، ج 3 ص 103، وأصول السرخسي، ج 1 ص،260، والبرهان في علوم القرآن، ج 3 ص 38-40، وشرح التلويح على التوضيح، ج 1 ص 143-145، والوجيز في أصول الفقه، تأليف: عبد الكريم زيدان، ط 7، سنة 1419هـ/1998م مؤسسة الرسالة، ص 369، والقواعد والفوائد الأصولية، ص 232-234 .

[333]ـ القواعد الحسان، ص 105، وتيسير الكريم الرحمان، ص 40 .

[334]ـ التحرير والتنوير، ج 20 ص 57 .

2- قوله تعالى: ﴿ **فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاءِ** ﴾ **[هود:109]** حيث قال: "لما كان قد يقع في الذهن أنّهم على حجّة وبرهان، أبان بقوله: ﴿ **مَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ** ﴾ أنّهم اقتدوا بمثلهم ثم لما كان قد يتوهّم أنّهم في طمأنينة من قولهم وعلى يقين من مذهبهم ولربّما توهم أيضا أنّ الأليق أن لا تبسط لهم الدنيا احترز من ذلك بقوله: ﴿ **وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ** ﴾ **[هود:109]** إلى قوله: ﴿ **وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ** ﴾ **[هود:110]**[335] .

[335] ــ القواعد الحسان، ص 106 .

المطلب الثالث عشر :

قاعدة : أركان الإيمان بالأسماء الحسنى ثلاثة : إيماننا بالاسم وبما دل عليه من المعنى وبما تعلق به من الآثار .

وقد تكلّمت على هذه القاعدة من عدّة جوانب جعلتها على شكل فروع، هي كمايلي:

الفرع الأول: معنى القاعدة:

هذه القاعدة العظيمة خاصة بأسماء الربّ سبحانه وتعالى، وفي القرآن من الأسماء الحسنى ثمانين ونيّف اسما تكررت في آيات متعدّدة بحسب ما يناسب المقام لذلك فإنّه يجب على كلّ مفسّر أن يعلم كيف يفسّر هذه الأسماء الحسنى الواردة في القرآن الكريم[336] ، وهذا هو وجه كون هذه القاعدة من قواعد التفسير .

والأسماء الحسنى الواردة في القرآن الكريم تنقسم عموما إلى قسمين: أسماء متعدية، وأسماء غير متعدية، ومعنى كونها متعدّية: أنّ لها أثرا وتعلّقًا بالمخلوق، وأما غير المتعدية: فهي تتعلّق بذاته سبحانه وتعالى[337] . والنّوع الذي قصده الشيخ بن سعدي في هذه القاعدة هو النوع الأوّل أي: الأسماء المتعدية لذلك سوف نتكلّم عليها فقط دون غيرها وذلك كالآتي:

إنّ الأسماء الحسنى إذا وردت في القرآن الكريم وكانت متعدية فإنّ تفسيرها يتضمّن ثلاثة أمور هي:

- الأول: إثبات أنّ هذا الاسم هو اسم من أسماء الله الحسنى يدلّ على ذات الله عز وجل لأنّه ثابت في القرآن والله تعالى هو الذي أخبر به عن نفسه .

- الثاني: أنّ هذا الاسم يتضمّن صفة تستنبط منه، لأنّ أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف وهذه الصفة هي التي تفسر معنى ذلك الاسم مثل: الرحمان: فهو يتضمن صفة الرحمة، الخالق: يتضمن صفة الخلق... إلخ .

- الثالث: أنّ هناك أثرا يدل عليه الاسم ويقتضيه مثل اسم: الرحيم: يدل على رحمة الله بالمخلوقين، ولهذا استدلّ أهل العلم على سقوط الحد عن قطّاع الطريق بالتّوبة، وذلك أخذا من قوله تعالى: ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ **[المائدة:**

---

[336]ــ القواعد الحسان، ص 116 .

[337]ــ شرح القواعد المثلى، ص 53-55 .

34]، وذلك لأنّ مقتضى هذين الاسمين أن يكون الله تعالى، قد غفر لهم ذنـــوبهم ورحمهـــم بإسقاط الحد عنهم[338] .

هذا هو المعنى الذي أراده الشيخ بن سعدي من هذه القاعدة، وقد ذكر بأنّها قاعـــدة متّفـــق عليها بين سلف الأمة وأئمّتها، كما أن الشيخ بيّن حكم من لم يفسّر أسماء الله تعالى الواردة في القرآن بهذه الطريقة فقال: "فمن نفى واحدا من هذه الأمور الثلاثة، فإنّه لم يتمّ إيمـــانه بأسمـــاء الرّبّ وصفاته الذي هو أصل التوحيد"[339] .

<u>الفرع الثاني</u>: أمثلة على القاعدة:

1-أسماء: العزيز، الحكيم، العليم، الرحيم: نؤمن بأنّها أسماء لله تعالى، ثم نؤمن بالصفات الـــتي تضمنتها كالإيمان بكمال عزّة الله وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته، ثم نؤمن بأحكـــام تلـــك الصفات ومتعلّقاتها، كالإيمان بأنه يعلم كل شيء، ويقدر على كل شيء، ورحمته وسعت كل شيء... إلخ[340] .

---

[338]ـــ حصول المأمول، ص 51، شرح القواعد المثلى، ص 53، وفتح الرحيم الملك العلام، ص 71 .

[339]ـــ القواعد الحسان، ص 116 .

[340]ـــ فتح الرحيم الملك العلام، ص 71 . وانظر للمزيد: فتاوى بن تيمية، ج 1 ص 494، وبدائع الفوائد، ج 1 ص 162، وكتاب "أسماء الله الحسنى والآيات الكريمة الواردة فيها"، لحسنين محمد مخلوف، وكتاب "منهج ودراسة لآيات الأسماء والصفات"، لمحمد الأمين الشنقيطي .

المطلب الرابع عشر :

قاعدة : إذا أمر الله بشيء كان ناهيا عن ضدّه وإذا عفا شيء كان آمرًا بضدّه وإذا أثنى على نفسه أو على أوليائه بنفي من النقائص كان ذلك إثباتا للكمال .

وقد تكلّمت على هذه القاعدة من عدّة جوانب جعلتها على شكل فروع، هي كالآتي:

الفرع الأول: شرح بعض ألفاظ القاعدة:

1- "الأمر": هو اللفظ الدال على طلب الفعل على وجه الاستعلاء[341] .

2- "النهي": هو ما دل على طلب الكف عن الفعل[342] .

3- "الضدّ": يطلق على موجود في الخارج مساو في القوة لموجود آخر ممانع له، ويطلق على موجود مشارك لموجود آخر في الموضوع معاقب له، أي : إذا قام أحدهما بالموضوع لم يقم الآخر به[343] .

4- "الثناء": وهو الكلام الجميل وقيل هو الذّكر بالخير[344] .

الفرع الثاني: معنى القاعدة:

هذه القاعدة التي ذكرها الشيخ بن سعدي تتضمّن ثلاثة قواعد فرعيّة كما هو ظاهر وهي:

1- الأمر بالشيء نهي عن ضدّه .

2- النهي عن الشيء أمر بضدّه، وقد عبّر الشيخ عن النهي بالعفو، ولكنّه في شرح القاعدة ذكر النهي . وهذا لا تعارض فيه -بحمد الله- وذلك أنّ الله تعالى: إذا رتّب العفو على فعل العبد، فإن ذلك يدل على أنّ ذلك الفعل كان منهيا عنه قبل فعله .

3- إذا أثنى الله تعالى على نفسه أو على أوليائه بنفي شيء من النقائص كان ذلك إثباتا للكمال .

ولذلك فإنّني سوف أفرد الكلام على كلّ قاعدة فرعية وحدها، وذلك كالآتي:

القاعدة الأولى: الأمر بالشّيء نهي عن ضدّه: ومعنى هذه القاعدة أنّ الله عزّ وجلّ إذا أمر عباده بشيء فإنّ ذلك الأمر يتضمّن نهيهم عن ضدّه من جهة المعنى، وليس من جهة اللفظ لأنّه لا يمكن امتثال ذلك الأمر إلاّ بالانتهاء والكفّ عن ضدّه، وهذا إذا كان له ضدّ واحد، مثل:

---

[341]ـــ أصول الفقه الإسلامي، ج 1 ص 214 .

[342]ـــ المصدر نفسه، ج 1 ص 227 .

[343]ـــ الكليات، ص 574 .

[344]ـــ المصدر نفسه، ص 324 .

الأمر بالإيمان: هو نهي عن ضدّه وهو الكفر، وذلك لاستحالة اجتماع النقيضين في نفس الوقت، وبعض العلماء يعبّر عن هذه القاعدة بقوله: الأمر بالشيء أمر بلوازمه، أو ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب[345] .

وأمّا عن اختلاف العلماء في هذه القاعدة: فقد اختلف العلماء فيها على ثلاثة مذاهب لخّصها محمد الأمين الشّنقيطي في مذكّرته وهي:

- المذهب الأول: أنّ الأمر بالشّيء هو عين النّهي عن ضدّه، وهو قول جمهور المتكلّمين، فقولنا: اسكن هو عين ترك الحركة .

- المذهب الثاني: أنّ الأمر بالشّيء ليس هو عين النّهي عن ضدّه ولكنّه يستلزمه، وهو قول أكثر أصحاب مالك، وإليه رجع الباقلاني[346] ، وهذا هو أظهر الأقوال لأن قولك (أسكن) يستلزم نهيك عن الحركة لأن المأمور به لا يمكن وجوده مع التلبّس بضدّه لاستحالة اجتماع الضّدّين .

- المذهب الثالث: أنّ الأمر بالشيء هو عين المنهيّ عنه ولا يتضمّنه، وهو قول المعتزلة والأبياري[347] من المالكية وإمام الحرمين والغزالي، من الشّافعيّة وذلك لأن الآمر بالشيء يجوز أن يكون ذاهلا عن ضدّه وإذا كان ذاهلا عنه فلا يعتبر ناهيا عنه إذ لا يتصوّر النّهي عن شيء مع عدم خطوره بالبال أصلا[348] .

القاعدة الثانية: النهي عن الشّيء أمر بضدّه: ومعنى هذه القاعدة أنّ الله عزّ وجلّ إذا نهى عن شيء فإن النّهي يستلزم الأمر بضدّه إذا كان له ضدّ واحد وهذا بالاتّفاق، وذلك مثل النهي عن الحركة فهو أمر بالسكون، أو النّهي عن صوم يوم العيد فهو يستلزم الأمر بالإفطار .

وأمّا إذا كان للمنهيّ عدّة أضداد فقد اختلف العلماء فيه، فقيل: النّهي عن الشّيء هو نفس الأمر بضدّه كما في جانب الأمر وهو قول القاضي، ثم مال إلى أنّه يتضمنه، وقيل: بل ذلك في

---

[345]ـــ فتاوى بن تيمية، ج 10 ص 531 .

[346]ـــ الباقلاني: محمد بن الطيب بن محمد البصري أبو بكر الباقلاني، ولد بالبصرة سنة 338هـ، متكلم على مذهب الأشعري،سكن بغداد وسمع الحديث بها، ورد على والشيعة والخوارج والجهمية وغيرهم، من مؤلفاته: "إعجاز القرآن" وغيره، توفي ببغداد سنة 403هـ . انظر: سير أعلام النبلاء، ج 17 ص 190، وشذرات الذهب، ج 5 ص 20-22 .

[347]ـــ الأبياري: علي بن الحسن بن عطية شمس الدين أبو الحسن الأبياري، ولد سنة 557 هـ، فقيه أصولي مالكي بارع في علوم شتى وفضّله بعضهم على الفخر الرازي في الأصول، له مصنفات منها: "شرح البرهان للجويني" و"سفينة النجاة" وغيرها توفي سنة 616هـ. انظر: الديباج المذهّب في أعيان المذهب، ج 2 ص 110-111، ومعجم المؤلفين، ج 2 ص 401.

[348]ـــ مذكرة في أصول الفقه، ص 26-28 .

جانب الأمر لا النهي، فلا يجري الخلاف فيه، وقال إمام الحرمين: "الذي ذهب إليه جماهير الأصحاب أنّ النّهي عن الشيء أمر بأحد أضداد المنهيّ عنه"[349] .

القاعدة الثالثة: إذا أثنى الله على نفسه أو على أوليائه بنفي شيء من النقائص كان ذلك إثباتا للكمال: ومعنى هذه القاعدة أنّ الله عزّ وجلّ إذا مدح نفسه أو مدح أحد أوليائه في القرآن الكريم وكان هذا المدح بنفي شيء مما ينتقص به فإنّ هذا النّفي يتضمّن إثبات ضدّ هذه النقائص من الكمالات، وذلك أنّ النفي المحض ليس فيه مدح ولا ذمّ ولا كمال، إلاّ إذا تضمّن إثباتا، وإلاّ فمجرّد النفي ليس فيه مدح ولا كمال، لأنّ النّفي المحض عدم محض والعدم المحض ليس بشيء، وما ليس بشيء هو كما قيل ليس بشيء، فضلا عن كونه مدحا أو كمالا، ولأنّ النّفي المحض يوصف بالمعدوم والممتنع، والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح أو كمال . وهذا كله غير موجود في كلام الله إلا إذا تضمّن إثباتا للكمال، إذن فما من صفة نفاها الله عن نفسه أو على أوليائه إلاّ وهي تتضمّن ثبوتا مقابلا لهذا النفي، و إلاّ لو كانت نفيا محضا لم تكن كمالا[350].

هذه هي المعاني التي أرادها الشيخ بن سعدي من القاعدة بفروعها الثلاث، وقد مثّل لها بأمثلة توضّحها فأجاد وأفاد، ثم نبّه في الأخير على عظم فائدة هذه القاعدة فقال: "فتفطّن لهذه القاعدة في كلّ ما يمرّ عليك من الآيات القرآنية في هذه الأمور وغيرها تنل خيرا كثيرا -والله أعلم-" [351] .

الفرع الثالث: أمثلة على القاعدة:

أ- **مثال على الأمر بالشيء نهي عن ضدّه:**

1- أمر الله تعالى في كتابه الكريم في آيات كثيرة يصعب حصرها، بالتوحيد والصلاة والزكاة والصوم والحج وبرّ الوالدين وصلة الأرحام والعدل، وهذا يتضمّن النّهي عن أضداد هذه الأوامر من شرك وترك للصلاة والزكاة والصوم والحج وعقوق الوالدين والقطيعة للأقارب والظلم[352].

---

[349]ـ البحر المحيط في أصول الفقه، ج 3 ص 359 .

[350]ـ وانظر للاسزادة: بدائع الفوائد، ج 1 ص 161 ومدارج السالكين، ج 1 ص 27، وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، تأليف: ابن قيم الجوزية (ت:751هـ)، اعتنى بها: محمد بن عيادي خاطر، ط 1،دار الآثار، جمهورية مصر العربية، ص 185، وشرح القواعد المثلى، ص 131، وشرح القواعد الحسان، ص 104، وشرح الرسالة التدمرية، تأليف: عبد الرحمان بن ناصر البراك، ط 1، سنة 1425هـ/ 2004م، كنوز إشبيلية، ص 184 .

[351]ـ القواعد الحسان، ص 121 .

[352]ـ المصدر نفسه، ص 120 .

2- قوله تعالى: ﴿ **وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ** ﴾ **[الإسراء:35]**، قال بن الجوزي- رحمه الله-[353]: "أي: أتمّوه ولا تبخسوا منه"[354] .

ب - **مثال على النهي عن الشيء أمر بضده:**

- نهي الله عن الجزع والسّخط وكفر بالنعم وإعراض القلب عن الله وهذا يستلزم الأمر بالصبر والشّكر وإقبال القلب على الله إنابة ومحبة وخوفا ورجاء[355] .

ج- **مثال على الثناء على الله أو على أوليائه بنفي الشيء من النقائص:**

- قوله تعالى: ﴿ **لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ** ﴾ **[البقرة:255]** لا يكفي في هذه الآية أن نقول إن الله لا ينام بل يجب أن نعتقد بأن الله تعالى لا ينام لكمال حياته وقيوميّته، لأنّ مجرّد نفي النوم ليس كمالا في ذاته[356].

- قوله تعالى: ﴿ **وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ** ﴾ **[ق:38]** أي: من تعب وعياء، فلا يكفي أن نؤمن بأن الله تعالى لم يتعب فقط بل يجب أن نؤمن بأنه لم يتعب لكمال قدرته[357] .

---

[353]ـ ابن الجوزي: عبد الرحمان بن علي أبو الفرج البغدادي الحنبلي، ولد ببغداد في حدود سنة 510هـ، تولى تعليمه خاله أبو الفضل محمد بن ناصر وسمّعه الشيوخ حتى فاق أقرانه، وكان من كبار الوعّاظ ببغداد، كان كثير التصنيف حتى قال الذهبي: "ما أعلم أحدا من العلماء صنّف ما صنّف هذا الرجل" ومن مصنَفاته: "زاد المسير" و"الموضوعات" وغيرها، توفي سنة 597هـ . انظر: طبقات المفسرين للأدنهوي، ص 208، وشذرات الذهب، ج 6 ص 356 .

[354]ـ زاد المسير في علم التفسير، تأليف: أبو الفرج بن الجوزي (ت:597هـ)، ط 2، سنة 1404هـ/ 1984م، المكتب الإسلامي، بيروت، ج 5 ص 34 .

[355]ـ القواعد الحسان، ص 120-121 .

[356]ـ شرح القواعد المثلى، ص 131 .

[357]ـ المصدر نفسه، ص 31 . وانظر للمزيد مما يتعلق بالقاعدة: الإحكام للآمدي، ج 2 ص 251-252، وتخريج الفروع على الأصول، ص 251-251، والقواعد والفوائد الأصولية، ص 153، ونهاية السول في شرح منهاج الأصول، تأليف: جمال الدين الإسنوي، سنة 1986م، دار عالم الكتب، بيروت، ج 1 ص 222، وشرح الكوكب المنير، ج 3 ص 51-52 .

المطلب الخامس عشر :

قاعدة : ما أمر الله في كتابه إمّا أن يوجّه إلى من لم يدخل فيه فهذا أمر له بالدخول فيه، وإمّا أن يوجّه لمن دخل فيه فهذا أمره به ليصحّح ما وجد منه ويسعى في تكميل ما لم يوجد منه .

وقد تكلّمت على هذه القاعدة من عدّة جوانب جعلتها على شكل فروع، وهي كمايلي:

الفرع الأول: معنى القاعدة:

هذه القاعدة متعلّقة بأوامر الله عزّ وجلّ التي وجهّها إلى عباده في كتابه الكريم، وأوامر الله تعالى وجّهت إلى صنفين من الناس:

فالصّنف الأول: هم الذين وجّهت إليهم أوامر الله تعالى وهم لم يدخلوا فيها أصلا و لم يمتثلوها بعد، فهذا الصّنف من النّاس إذا أمرهم الله تعالى بأمر من الأوامر فإنّ المقصود منه هو دعوتهم إلى امتثال هذه الأوامر والدّخول فيها،كدعوة أهل الكتاب ودعوة الكفار إلى الإسلام[358] .

والصنف الثاني: وهم الذين وجّهت إليهم أوامر الله تعالى، وقد امتثلوا بعضها فقط أو امتثلوها بصفة فيها شيء من النّقص، فهذا الصّنف إذا وجّه الله تعالى إليهم أوامره فإنّ المقصود منها إمّا: تكميل الامتثال لما بقي من الأوامر التي لم يأتوا بها بعد، أو يكون المقصود منها: تصحيح ما وقع من نقائص في صفة في امتثال تلك الأوامر[359] .

هذا هو مقصود الشيخ بن سعدي من هذه القاعدة، وهي قاعدة سهلة الفهم واضحة العبارة، وقد مثّل لها الشيخ بعدّة أمثلة، ثم بيّن أهميّة وفائدة معرفتها حيث قال: "وبهذه القاعدة نفهم جواب الإيراد الذي يورد على طلب المؤمنين من ربهم الهداية إلى الصراط المستقيم، والله قد هداهم للإسلام، جوابه ما تضمّنته هذه القاعدة، ولا يقال هذا تحصيل الحاصل فافهم هذا الأصل الجليل النافع الذي يفتح لك أبواب العلم كنوزا وهو في غاية اليسر والوضوح"[360] .

---

[358]ـــ مذكرة في أصول الفقه، ص 35 .

[359]ـــ القواعد الحسان، ص 195 .

[360]ـــ المصدر نفسه، ص 195 .

الفرع الثاني: أمثلة على القاعدة:

1- **مثال الأمر الموجّه إلى من لم يدخل فيه:**

- قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ**﴾ **[النساء:47]** فهذا أمرٌ لأهل الكتاب المتّبعين للتّوراة والإنجيل بالإيمان بالكتاب العظيم الذي فيه تصديق الأخبار التي بأيديهم من البشارات[361] . وأمثلة هذا القسم كثيرة جدّا في القرآن الكريم .

2- **مثال الأمر الموجّه إلى من دخل فيه:**

- قوله تعالى: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ**﴾ **[النساء:136]** يأمر تعالى المؤمنين بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه ودعائمه، وليس هذا من باب تحصيل الحاصل بل من باب تكميل الكامل وتقريره وتثبيته والاستمرار عليه كما يقول المؤمن في كلّ صلاة: إهدانا الصراط المستقيم أي: بصّرنا وزدنا هدى وثبّتنا عليه، فأمرهم بالإيمان به وبرسوله كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ**﴾ **[الحديد:28]**[362] .

- أمره تعالى للمؤمنين أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويصوموا رمضان فهذه كلّها أوامر بتكميلها وكذلك أمره للمؤمنين بالتوكّل والإنابة ونحوها من أعمال القلوب هو أمر بتحقيق ذلك وإيجاد ما لم يوجد منه[363] .

---

[361]ـــ تفسير القرآن العظيم، تأليف: أبي الفداء إسماعيل بن كثير (ت:774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط 2، سنة 1420هـ/ 1999م، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، ج 2 ص 324 .

[362]ـــ المصدر نفسه، ج 8 ص 38 .

[363]ـــ القواعد الحسان، ص 158-159. وانظر: مفاتيح الغيب، ج 6 ص 76، ج 1 ص 259-260، وتفسير المحرر الوجيز، ج 2 ص 124.

المطلب السادس عشر :

قاعدة : إذا كان سياق الآيات في أمور خاصة وأراد الله أن يحكم عليها وذلك الحكم لا يختصّ بها بل يشملها ويشمل غيرها ، جاء الله بالحكم العام .

وقد تكلّمت على هذه القاعدة من عدّة جوانب جعلتها على شكل فروع، هي كمايلي:

الفرع الأول: معنى القاعدة:

هذه القاعدة تتحدث عن جانب بديع من طريقة القرآن الكريم في تقرير بعض المعاني وهي تدلّ على أنّ القرآن الكريم من جوامع الكلم، وذلك أنّه إذا تكلّم الله تعالى في كتابه الكريم على أمور خاصة أو على شيء معيّن وأراد الله تعالى أن يحكم على ذلك الشيء المعيّن بحكم غير مختصّ به، بل هو حكم يشمله ويشمل غيره مما لم يذكر في السياق، فإنّ الله تعالى يذكر الحكم العامّ الذي يشمل المذكور وغيره ممّا أراده الله تعالى، ويعلّقه على وصف عامّ ليكون أعمّ وأشمل، حتّى تندرج فيه الصّورة التي سيق الكلام من أجلها وكذلك غيرها من الصور التي يشملها ذلك الوصف العامّ، ومن أكثر الصور التي ترد فيها هذه القاعدة؛ أنّها ترد بالإظهار في موضع الإضمار، كقوله تعالى:﴿ **وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً** ﴾ **[النساء:146]** فلو قال (**وَسَوْفَ يُؤْتِيهم اللَّهُ**) لتوهّم أنّ هذا الأجر خاصّ بهؤلاء المذكورين فقط لكنّه أظهر بترتب الحكم على الوصف لا على الأفراد[364] .

هذا هو المعنى الذي أراد الشيخ بن سعدي بيانه من هذه القاعدة، وقد مثّل لها بثلاثة أمثلة فقط، كما بيّن أهميّتها حيث قال: "وهذه القاعدة من أسرار القرآن وبدائعه، وأكبر دليل على إحكامه و انتظامه العجيب"[365] .

الفرع الثاني: أمثلة على القاعدة:

1- قال تعالى:﴿ **إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيءٍ** ﴾ **[النمل:91]** فهذه إشارة لما تقدّم من الدّلائل المذكورة في هذه السورة على التوحيد من كونه تعالى خالقا لجميع النعم، فأجمل هنا تلك التفصيلات وهذا كمن أراد وصف بعض الملوك بالقوة، فيعدّد تلك التفاصيل ثم بعد التطويل يقول إنّ كلّ العالم له، وكلّ الناس في طاعته[366] .

---

[364]- تيسير الكريم الرحمان، ص 702، وقواعد التفسير، ج 1 ص 28، وشرح القواعد الحسان، ص 141.

[365]ـ القواعد الحسان، ص 160 .

[366]ـ مفاتيح الغيب، ج 24 ص 222 .

2- قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ **[الأنعام 68]** تدلّ الآية على النهي عن مجالسة من سمع الكلام المحرّم أن يمنع صاحبه، فإن لم يتمكّن من ذلك وجب عليه القيام من ذلك المجلس، وكذلك فاعل المحرّم ولهذا أتى باللّفظ العام في قوله (القوم الظالمين)[367] .

[367]ـ فتح الرحيم العلام، ص 164-165 .

المطلب السابع عشر :

قاعدة : كثيرا ما ينفي الله الشيء لانتفاء فائدته و ثمرته المقصودة منه و إن كانت صورته موجودة .

وقد تكلّمت على هذه القاعدة من عدّة جوانب جعلتها على شكل فروع، وهي كمايلي:

الفرع الأول: معنى القاعدة:

يأتي النّفي في كلام العرب كثيرا، وذلك لأغراض متعددة تعرف في كلّ موضع بحسبه، فتارة يأتي لنفي وجود الشيء حقيقة وهذا هو الأصل، وتارة يأتي لنفي الشيء مع أنّه موجود صورة، وذلك لانتفاء ثمرته وانتفاء المقصود من وجوده وهذا النّوع موجود كثيرا في كلام العرب ومنه ما قاله أبو النّجم[368] :

يلقين بالجنّاء و الأجادع على جهيض ليّن الأكادع ليس بمحفوظ ولا بضائع[369] .

يعني أنه ليس بمحفوظ لأنّه ألقي في صحراء، ولا بضائع لأنّه موجود في ذلك المكان .

وهذا النوع من النفي قد ورد في القرآن بكثرة وهو الذي عقد الشيخ بن سعدي من أجله هذه القاعدة لأنّ كثيرا من الآيات القرآنيّة تضمّنت نفي أشياء رغم أنّ صورة هذه الأشياء موجودة حقيقة، لكن لّما كانت الثمرة والمقصود من وجودها منتفيان فإنّ القرآن لم يعتبرها وجعلها كالعدم . وهذا النوع من النفي وإن كان خلاف الأصل إلا أنّ ما لا ينتفع به فوجوده كعدمه، بل إنّ وجوده أذى ووبالٌ على صاحبه، فمثلا من لا يسمع إطلاقا خير ممّن يسمع ولكن لا ينتفع بسمعه بل يسمع ما يضرّه ولا ينفعه، ومن لا يتكلّم أصلا خير ممّن يتكلّم بكلام ضارّ [370] .

---

[368]ـــ أبو النجم: الفضل بن قدامة العجلي من بني بكر بن وائل، من أكابر الرّجّاز ومن أحسن الناس إنشادا للشعر، نبغ في العصر الأموي، وكان يحضر جالس عبد الملك بن مروان وولده هشام، توفي سنة 130هـ . انظر: طبقات فحول الشعراء، تأليف: محمد بن سلام الجمحي (ت:231هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ج 2 ص 737، وتاريخ مدينة دمشق: تأليف: ابن عساكر (ت:571هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج 48 ص 350 .

[369]ـــ فقه اللغة وسر العربية، تأليف:أبي منصور الثعالبي (ت:429هـ)، تحقيق: سليمان سليم البواب،ط 2، سنة 1409هـ/ 1989م، دار الحكمة للطباعة والنشر، دمشق، ص 365 .

[370]ـــ فتاوى بن تيمية، ج 5 ص 155-156، والمصباح المنير، ص 850، وشرح القواعد الحسان، ص 160 .

هذا هو المعنى الذي أراده الشيخ بن سعدي من هذه القاعدة، وهي قاعدة واضحة سهلة الإدراك لذلك فإنّ الشيخ لم يتعرّض لشرحها بل اكتفى بذكر أمثلة عليها فذكر حوالي أربعة عشر مثالا على هذه القاعدة .

الفرع الثاني: أمثلة عن القاعدة:

1- قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَا**﴾ **[الأعلى:13]** حيث نفى الله تعالى عنه الموت لأنّه ليس بموت صريح، ونفى عنه الحياة لأنّها ليست بحياة طيّبة ولا نافعة[371] .

2- قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ**﴾ **[البقرة:8]** لمّا كان الإيمان النّافع هو الذي يتّفق عليه القلب واللّسان، وهو المثمر لكلّ خير وكان المنافقون يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم نفى عنهم الإيمان لانتفاء فائدته وثمرته[372] .

---

[371]ـــ البرهان في علوم القرآن، ج 3 395 .

[372]ـــ القواعد الحسان، ص 181. وانظر للاستزادة: فتاوى بن تيمية، ج 25 ص 155-156، والإتقان في علوم القرآن، ج 2 ص 78، والكليات، ص 890 .

المطلب الثامن عشر:

قاعدة : إذا أراد الله إظهار شرف أنبيائه وأصفيائه بالصفات الكاملة أراهم نقصها في غيرهم من المستعدّين للكمال .

وقد تكلّمت على هذه القاعدة من عدّة جوانب جعلتها على شكل فروع، وهي كمايلي:

الفرع الأول: معنى القاعدة:

معنى هذه القاعدة أنّ الله عزّ وجلّ إذا أراد أن يُظهر كمال شرف أنبيائه وأصفيائه من عباده فإنّه يظهر انتفاء هذا الكمال في بعض المخلوقات الأخرى ممّن ادّعت ذلك الكمال والشّرف، ليعرف الناظر أنّ هذه الصّفة لّما كانت موجودة فيمن أراد الله بيان كماله فإنّ هذا يدلّ على اصطفاء الله تعالى له، وتفضيله بميزة لا توجد في غيره، ومن ثمّ نعرف أنّ المتّصف بهذا الشرف أو الكمال في بعض الأشياء له شرف عند الله عزّ وجلّ ميّزه به دون غيره، وهذه المعاني كلّها لا تظهر ولا تدرك لو بيّن الله كمال وشرف هذا المخلوق ابتداءً بلا بيان انتفائهما في غيره ممّن ادّعى الكمال والشّرف، لأنّ الأشياء تتبيّن بأضدادها .

هذا هو المعنى الذي أراد الشيخ بن سعدي بيانه من هذه القاعدة، وهي واضحة المعنى، لذلك لم يتعرّض لشرحها، بل مثّل لها كما بيّن أنّ من الصّور التي تأتي بها هذه القاعدة: أنّ الله تعالى إذا أراد أن يذكّر بكمال نعمته فإنّه يلفت أنظارهم إلى تأمّل أضدادها، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ** ﴾ **[الأنعام 46]** وقوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ** ﴾ **[القصص:71]**[373].

الفرع الثاني: أمثلة على القاعدة:

هناك أمثلة كثيرة لهذه القاعدة نذكر منها:

1- لّما أراد الله إظهار شرف آدم على الملائكة بالعلم، علّمه أسماء كلّ شيء ثمّ امتحن الملائكة فعجزوا عن معرفتها فحينئذ نبّأهم آدم بها فخضعوا وعرفوا فضله وشرفه .

2- لّما أراد الله تعالى إظهار شرف يوسف في سعة العلم والتّعبير رأى الملك تلك الرؤيا وعرضها على كلّ من لديه علم ومعرفة فعجزوا عن معرفتها، ثم بعد ذلك عبّرها يوسف ذلك التعبير العجيب الذي ظهر به فضله وشرفه وتعظيم الخلق له .

---

[373]ـ القواعد الحسان، ص 192 .

3- لّما عارض فرعون الآيات التي أرسل بها موسى وزعم أنّه سيأتي بسحر يغلبه فجمع كـــــلّ ساحر عليم من أنحاء المملكة واجتمع الناس في يوم عيدهم وألقى السّحرة عصيّهم وحبالهم في ذلك الجمع العظيم وأظهروا للنّاس من عجائب السّحر، فحينئذ ألقى موسى عصاه فإذا هـــــي تلقّف وتبتلع بمرأى الناس جميع حبالهم وعصيّهم، فظهرت الآية الكبرى وصار أهل الصّنعة أوّل من خضع لها ظاهرا وباطنا[374] .

[374]ـــ القواعد الحسان، ص 190-191 .

المطلب التاسع عشر :

قاعدة : ذكر الأوصاف المتقابلات يغني عن التصريح بالمفاضلة إذا كان الفرق معلوما .

وقد تكلّمت على هذه القاعدة من عدّة جوانب جعلتها على شكل فروع، وهي كمايلي:

الفرع الأول: معنى القاعدة:

هذه القاعدة تتحدّث عن أسلوب من أساليب القرآن البديعة، التي تدلّ على بلاغته وأنّه ليس فيه كلمة ولا حرف إلاّ وهو في موضعه المناسب له، وذلك أنّ الله تعالى إذا قابل بين شـــيئين متباينين كالإيمان والكفر أو كالتوحيد والشّرك أو قابل بين إلهيّته الحقّة وإلهيّة ما سواه وأراد أن يبيّن الفرق بينهما، وكان هذا الفرق واضحا غير محتاج إلى ذكر فإنّ الله تعالى لا يصرّح بالفرق بينهما وذلك لوضوحه في ذهن القارئ، ولأنّ الأشياء إذا تميّزت تميّزا تامّا وعرفت مراتبهـــا في الخير والشّر والكمال والنّقص، فإنّ التصريح بالفرق وذكر المفاضلة يصير لا معنى له، وكلام الله تعالى منزّه عن كلّ هذا لأنّه صادر عن عليم خبير، لذلك فإنّك لا تجد كلمة في القـــرآن الكريم إلاّ وهي مناسبة لموضعها بحيث لو حاولت إبدالها بغيرها لفسد المعنى، ولو حاولت إضافة كلمة في القرآن الكريم إلاّ وتجدها لا فائدة من إضافتها[375] .

هذا هو المعنى الذي أراد الشيخ بن سعدي بيانه من هذه القاعدة، وقد مثّل لها بأمثلة كثيرة، ثمّ قال: "والآيات في هذا المعنى كثيرة وهو من بلاغة القرآن وأسلوبه العجيب"[376]

الفرع الثاني: أمثلة على القاعدة :

1- قوله تعالى: ﴿ **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً** ﴾ **[الزمر:29]**. قال بن عطية: "ثم وقف الكفار بقوله (**هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً**) ونصب "مثلا" على التمييز، وهذا توقيف لا يجيب عنه أحد إلاّ بأنّهما لا يستويان، فلذلك عـــاملتهم العبـــارة على أنّهم قد أجابوا"[377] .

2- قوله تعالى: ﴿ **أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَـــةَ رَبِّـــهِ** ﴾ **[الزمر:9]** يعني هل هذا كمن هو غافل لا يقنت لا في الليل ولا في النّهار على الوجه الذي

---

[375]ـــ شرح القواعد الحسان، ص 193 .

[376]ـــ القواعد الحسان، ص 219 .

[377]ـــ المحرر الوجيز، ج 4 ص 530 .

ذكره الله عزّ وجلّ، و لم يصرّح بأنّ الأول أفضل لأنّ الجواب واضح لدى كلّ عاقل فلم تكن هناك حاجة لذكره[378] .

هذه أهم المسائل التي أردت الكلام عليها في دراستي لهذه القواعد من الناحية النظرية، وأحسب أنها كافية لإيضاح كلّ قاعدة من القواعد المذكورة .

وفي آخر هذا الفصل يمكن الوصول إلى عدة نتائج أهمها:

1- أن علم "قواعد التفسير" مازال لم ينضج بعد كباقي العلوم الشرعية بل إنه مازال في بداية نشأته، لذلك فإن مصطلحاته ومفاهيمه لم تتحدّد بعد .

2 - أن مفهوم مصطلح "قواعد التفسير" واسع عند الشيخ بن سعدي، لأنه يشمل حتى الكليات القرآنية وبعض القواعد الفقهية وغيرها كما سبق بيان ذلك في الكلام على كتاب "القواعد الحسان" .

3- أن الشيخ لا يهتم بذكر الخلاف في القاعدة أو ذكر أدلتها إلاّ نادرا، بل إنه يهتم بتقرير القاعدة وذكر أمثلة عليها فقط .

4- أن غالب القواعد التي ذكرها الشيخ قد وافق فيها جمهور العلماء و لم يخالفهم فيها .

5- أن هذه القواعد التي سبق بيانها تدل على الفهم الدقيق الثاقب من الشيخ بن سعدي لكتاب الله تعالى، وذلك أن بعض القواعد انفرد الشيخ بتقريرها و لم يسبقه إليها أحد .

هذه هي أهم النتائج التي توصلت إليها خلال هذا الفصل -والله أعلم- .

---

[378]ـ شرح القواعد الحسان، ص 193 .

الفصل الثاني :

القسم التطبيقي للبحث :

وقد قسّمت هذا الفصل إلى مبحثين هما:

المبحث الأول :

دراسة لكتاب "تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان".

المبحث الثاني :

دراسة تطبيقية للقواعد التي ذكرها الشيخ في كتابه "القواعد الحسان".

المبحث الأول

دراسة لكتاب "تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان"

وقد أفردت هذا الكتاب بالدّراسة لأنّه موضع تطبيق الشيخ للقواعد النظّرية المذكورة في كتاب "القواعد الحسان"، وقد درست عدة نواح في الكتاب وبيّنت منهج مؤلفه فيه، وذلك من خلال مطلبين هما:

المطلب الأول : نبذة عامة عن تفسير " تيسير الكريم الرحمان " .

المطلب الثاني : منهج الشيخ في تفسيره .

المطلب الأول :

نبذة عامة عن تفسير " تيسير الكريم الرحمان " .

وقد اشتمل هذا المطلب على خمسة فروع هي:

الفرع الأول: اسم الكتاب:

عرف تفسير الشيخ بن سعدي بـ "تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان" ولايعرف الكتاب بغير هذا الاسم .

الفرع الثاني: وصف مجمل للكتاب:

تفسير الشيخ بن سعدي هو تفسير يشمل جميع سور القرآن الكريم، مع مقدمة للمؤلف استهلها بحمد الله الذي أنزل على عبده الفرقان الفارق بين الحلال والحرام والسعداء والأشقياء والحق والباطل وجعله برحمته هدى للناس عموما وللمتقين خصوصا... إلخ[379] ، ثم عدّد صفات الكتاب العزيز ثم شرع في تفسير القرآن الكريم سورة سورة وآية آية من سورة الفاتحة إلى سورة الناس .

الفرع الثالث: سبب تأليف الكتاب:

لقد ذكر الشيخ بن سعدي في مقدمة تفسيره كلاما يعرف منه سبب تأليف الشيخ لهذا التفسير، وهو قوله: "وقد كثرت تفاسير الأئمة -رحمهم الله- لكتاب الله، فمن مطول خارج في أكثر بحوثه عن المقصود، ومن مقصّر يقتصر على حلّ بعض الألفاظ اللغويّة بقطع النّظر عن

---

[379]ـ تيسير الكريم الرحمان، ص 18 .

المراد، وكان الذي ينبغي في ذلك، أن يجعل المعنى هو المقصود، واللفظ وسيلة له... ولّما مـــنّ عليّ الباري وعلى إخواني بالاشتغال بكتابه العزيز بحسب الحال اللاّئقة بنا أحببت أن أرسم من تفسير كتاب الله ما تيسر"[380] . فمن هذا النص يمكن – والله أعلم– أن يقال بأن هناك سببين لتأليف الشيخ لهذا التفسير وهما:

1– ما رآه من كثرة التفاسير وخروجها عن مقصود التفسير، إمّا بالتطويل المملّ أو بالاختصار المخلّ، فأراد أن يؤلّف تفسيرا متوسّطا بين ذلك يفهمه المبتدئ ويستفيد منه المنتهي .

2– أنّ الله تعالى أنعم عليه بالاشتغال بكتابه سبحانه ويسّر ذلك له، فأراد أن يؤلّـــف تفســـيرا للقرآن كالشّكر لهذه النّعمة .

<u>الفرع الرابع</u>: نبذة عن مراحل تأليف الشيخ للكتاب:

بدأ الشيخ –رحمه الله– تأليفه لهذا التفسير المبارك في عام 1342هـــ وأنهـــاه عـــام 1344 هـــ، وبهذا يتبيّن أنه قد شرع في تأليفه وله من العمر خمسة وثلاثون عاما، ولكنّ الذي يقـــرأ هذا التفسير يحسب أنّه لا يمكن لمن كان في هذه السن أن يكتب مثله، إذ يمثل هـــذا التفســـير كتابة عالم ناضج متمكّن من العلم وآلاته، واسع الإطلاع .

وقد كتب نسخة واحدة، ثم أمر من ينسخ له نسخة أخرى، لذلك كان لهذا التفسير نسختان فقط .

– النسخة الأولى: وهي التي كانت في حوزة الشيخ وملكه، وهي في جملتها بخطّه، وتتكون من تسعة مجلّدات .

– النسخة الثانية: وهي نسخة في غالبها بخط تلاميذ الشيخ، وكتبت في ثمانية مجلدات[381] .

<u>الفرع الخامس</u>: طبعات الكتاب:

كانت فاتحة طباعة هذا الكتاب هي <u>طباعة الجزء الخامس</u> منـــه فقـــط، وذلـــك في ســـنة 1975م، وسبب إفراد الشيخ لهذا الجزء بالطّبع هو ما ذكره في مقدمة هذا الجزء حيث قال: "وقد تكرر عليّ السؤال من كثير من الأصحاب في نشر تفسيرنا هذا جميعه، وألحّوا لما يرونـــه من الفائدة الكبيرة، فاعتذرت بأنّ ذلك يصعب جدًا لأنه مبسوط، وأيضا في هـــذه الأوقـــات

---

[380]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 18 .

[381]ـــ المصدر نفسه، ص 8 .

قلّت رغبات الناس في الكتب المطوّلة، لذلك أحببت إجابتهم نشر بعض مـــا طلبـــوا وهـــو الاقتصار على جزء واحد من أجزاء هذا التفسير"[382] .

ثم طبع الكتاب كاملا الطبعة الأولى، سنة 1365هـــ بمطبعة الترقّي بدمشق ووزّع مجانا على نفقة المؤلّف .

ثم صدرت الطبعة الثانية، بالمطبعة السّلفيّة بالقاهرة في ثمانية أجزاء، وهي الطبعة الأمّ الـــتي صارت أصل جميع الطبعات التي جاءت بعدها .

ثم صدرت طبعة أخرى، من طباعة المؤسسة السّعيديّة بالرّياض في سبعة مجلدات، ومكـــان الطبع في مطابع الدّجوى بالقاهرة سنة 1376هـــ، وعليها بعض التعليقات للشـــيخ محمـــد زهري النّجّار وهو من علماء الأزهر[383] .

ثم صدرت طبعة أخرى للكتاب، باعتناء عبد الرحمان بن معلاّ اللّويحق، ســـنة 1419هـــ، وسبب إخراج هذه الطبعة هو ما رآه المحقق من نقص فاضح في طبعة النّجّار، فأراد إخـــراج التفسير في ثوب جديد تامّ فرجع إلى أصول الكتاب وقارن بينها وحاول أن يخرج التفســـير في أحسن صورة له كما أراد مؤلفه، فكانت كما أراد وصارت هذه الطبعة هي الطبعة المعتمـــدة عند كلّ من يريد مطالعة هذا التفسير

وهي التي اعتمدت عليها في هذا البحث وذلك لقيمتها العلميّة -كما تقدّم- .

---

[382]ـــ المصدر نفسه، ص 8 .

[383]ـــ الشيخ عبد الرحمان السّعدي مفسّرا، ص 75 .

المطلب الثاني :

منهج الشيخ في تفسيره:

وسوف أذكر في هذا المطلب منهج الشيخ في تفسيره بالتفصيل، ثم أذكر القيمة التفسيرية التي أضافها تفسير الشيخ لخزانة التفسير وذلك من خلال ما يلي:

الفرع الأول: المنهج الإجمالي للشيخ في تفسيره:

لقد بين الشيخ بن سعدي منهجه العام في تفسيره حيث قال في مقدمته: "اعلم أن طريقتي في هذا التفسير أنّي أذكر عند كلّ آية ما يحضرني من معانيها، ولا أكتفي بذكري ما يتعلق بالمواضع السابقة عن ذكر ما يتعلق بالمواضع اللاّحقة، لأنّ الله وصف كتابه أنّه ثنّى فيه الأخبار والقصص والأحكام، وجميع المواضيع النافعة لحكم عظيمة، وأمر بتدبّره جميعه، لما في ذلك من زيادة العلوم والمعارف وصلاح الظاهر والباطن وإصلاح الأمور كلّها"[384]، وقد التزم -رحمه الله- بما رسمه لنفسه من طريقة في التفسير، فجاء تفسيره وسطا بين طويل التفاسير ومختصرها، فكان الشيخ حينما يريد أن يفسّر سورة: يذكر اسمها، ثم يذكر هل هي مكية أو مدنية بحسب ما ترجّح عنده وقد يذكر الخلاف في كونها مكية أو مدنية، وقد يتعرّض إلى أسباب النزول أحيانا، ثم يسرُدُ مجموعةً من الآيات التي استهلّت بها السورة، ثم يشرع في توضيح معاني الآيات بلغة واضحة، فإن كانت في العقيدة بيّن ما فيها من مسائل في معتقد أهل السنة وأحيانا يردّ في نفس السياق على وجوه استدلال أهل الباطل بالآية من الملحدين وغيرهم، وإن كانت في الأحكام بيّن أهمّ الأحكام الفقهية المستنبطة منها، وإن كانت في القصص بيّن معانيها والعبر المستنبطة منها، وإن كانت في الأخلاق بيّن ما يستنبط منها من أخلاق كريمة ثم رغّب فيها... إلخ، كلّ ذلك بأسلوب سهل ميسّر يفهمه القارئ بدون عناء .

الفرع الثاني: تفسيره للقرآن بالقرآن:

لقد أكثر الشيخ بن سعدي -رحمه الله- من تفسيره للقرآن بالقرآن، لأن هذا هو أهم طرق التفسير وأصحّها، قال ابن تيمية: "فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير ؟ فالجواب: إن أصحّ الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسّر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر"[385] ، وقد ورد هذا النوع من التفسير في تفسير الشيخ بن سعدي بأوجه متعددة مجملها ما يلي:

---

[384]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 17 .

[385]ـــ مقدمة في أصول التفسير، ص 84 .

1- تفسير آية مجملة بتفصيلات وردت في آيات أخرى، مثل ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مجيبٌ**﴾ **[هود:61]** ، حيث قال: "واعلم أنّ قربه تعالى نوعان: عام وخاص، فالقرب العام قربه بعلمه من جميع الخلق، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾ **[ق:16]**، والقرب الخاص: قربه من عابديه، وسائليه، ومحبّيه، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿**وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ**﴾ **[العلق:19]**[386] .

2- أحيانا يجمع آيات متعددة إذا كانت في موضوع واحد وذلك عندما يتكلم على تفسير آية معينة، مثل ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاءِ**﴾ **[النحل: 89]** ، حيث قال: "وهذا كقوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ **[البقرة:143]** ، وقال تعالى: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا**﴾ **[النساء:41]**[387] .

3- تفسير الآية بآية أخرى تدل على المعنى نفسه، كما ذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ **[الرعد:6]** ، لّما فسر هذه الآية دعّم كلامه بقوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ **[الزمر:53]**[388] .

4- تفسير اللفظ المبهم الذي ورد بيانه في آية أخرى، كما قال في تفسير قوله تعالى: ﴿**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ**﴾ **[البقرة:37]** حيث قال: "وهي قوله: ﴿**قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا**﴾ **[الأعراف: 23]**"[389].

5- تفسير اللفظ المجمل الذي ورد بيانه في آية أخرى، مثل ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ**﴾ **[الزمر:6]** ، حيث قال: "وهي ما ذكرها الله في

386ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 361 .

387ـــ المصدر نفسه، ص 421 .

388ـــ المصدر نفسه، ص 389 .

389ـــ المصدر نفسه، ص 35 .

سورة الأنعام ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (143) وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ **[الأنعام 143-144]**، فهذه الآية بيّنت الإجمال الواقع في قوله تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾[390] .

6- تقييد مطلق القرآن بمقيّده المذكور في آية أخرى، ومثال ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ **[البقرة:142]** ، حيث قال: "والمطلق يحمل على المقيد، فإنّ الهداية والضلال لهما أسباب أوجبتها حكمة الله وعدله، وقد أخبر في غير موضع من كتابه بأسباب الهداية، التي إذا أتى بها العبد حصل له الهدى كما قال تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ **[المائدة:16]**[391] .

7- عندما يستنبط حكما فقهيا، وهذا الحكم جزء منه مذكور في آية والجزء الآخر مذكور في آية أخرى، فإنه حينئذ يقرن بين الآيتين ليستخرج حكما واحدا تاما حتىّ تكتمل المسألة وتكون أكثر وضوحا، ومثال ذلك ما ذكره في قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ **[البقرة:233]**،ـــ حيث قال: "ويؤخذ من هذا النص، ومن قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾ **[الأحقاف:15]**، أنّ أقلّ مدة الحمل ستة أشهر، وأنّه يمكن وجود الولد بها"[392] .

8- تخصيص العموم الوارد في آية بآية أخرى، وذلك كما ذكر في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ **[المائدة:2]**،ـــ حيث قال: "من قصد هذا البيت الحرام، وقصده فضل الله بالتّجارة والمكاسب المباحة أو قصده رضوان الله بحجّه وعمرته، والطواف به، والصلاة وغيرها من أنواع العبادات، فلا تتعرضوا له بسوء... وهذه الآية مخصوصة بقوله تعالى:

---

[390]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 686 .

[391]ـــ المصدر نفسه، ص 56 .

[392]ـــ المصدر نفسه، ص 87 .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ [التوبة:28][393] .

الفرع الثالث: تفسير القرآن بالحديث النبوي:

لقد اعتنى الشيخ بن سعدي بتفسير القرآن بالحديث النبوي لأنّه المصدر الثاني من مصادر التفسير قال ابن تيمية: "فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن، وموضحة له، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: كل ما حكم به رسول الله ــ صلي الله عليه وسلم ــ فهو مما فهمه من القرآن"[394] ، وقد كان ذلك وفق الأوجه الآتية:

1- يذكر -في الغالب- درجة الحديث من حيث الصّحّة أو الضّعف لكنّه أحيانا يخرّجه وأحيانا لا يخرّجه، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا** ﴾ **[مريم:96]**، حيث قال: "ولهذا ورد في الحديث الصحيح[395]، أنّ الله إذا أحب عبدا نادى جبريل إنّي أحبّ فلانا فأحبّه، فيحبّه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إنّ الله يحب فلانا فأحبّوه، فيحبّه أهل السماء ثم يوضع له أهل القبول في الأرض"[396] ، ففي هذا النصّ ذكر الشيخ درجة الحديث فقال: (صحيح) ، ولكنّه لم يعزه إلى شيء من كتب الحديث و لم يخرّجه .

2- تقييد مطلق القرآن بمقيّد جاء في السنة النبوية، كما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ** ﴾ **[هود:114]** ، حيث قال: "...كما قيّدها الأحاديث الصحيحة عن النبي ــصلى الله عليه وسلمــ ، مثل قوله: "الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهنّ ما اجتنبت الكبائر[397]" [398] ، فهنا لفظ السيّئات في الآية يوهم أنّ

---

[393]ــ المصدر نفسه، ص 198 .

[394]ــ مقدمة في أصول التفسير، ص 84 .

[395]ــ رواه مسلم عن أبي هريرة-رضي الله عنه- ، ك/البر والصلة والأدب، ب/إذا أحب الله عبدا أمر جبريل فأحبه وأحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض (48)، وأحمد في مسند أبي هريرة، ج 16 ص 393، رقم (10674) .

[396]ــ تيسير الكريم الرحمان، ص 474 .

[397]ــ رواه مسلم ك/الطهارة، ب/الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر (5)والترمذي: ك/الصلاة، ب/ما جاء في فضل الصلوات الخمس، رقم(214)كلاهما عن أبي هريرة-رضي الله عنه-.

[398]ــ تيسير الكريم الرحمان، ص 367 .

الله يغفر جميع السيئات من صغائر وكبائر... إلخ، لكنّ الحديث قيّدها بالصغائر دون الكبـــائر فذكر الشيخ هذا التقييد لما فسّر الآية .

3- الاقتصار على موضع الشاهد من الحديث ولا يسرد الحديث كاملا، كمـــا في تفســـير الآيات المتعلقة بقصة يوسف-عليه السلام- مع امرأة العزيز، حيث قال: "... فكان من السّبعة الذين يظلهم الله في عرشه يوم لا ظلّ إلا ظلّه،أحدهم رجل دعته امرأة ذات منصب وجمـــال، فقال إني أخاف الله[399]" [400] .

4- لا يصرح بالحديث بل يكتفي بمجرد سرد معناه، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ**﴾ **[الأنعام 151]**، حيث قال: "كالنفس بالنفس والزاني المحصن والتارك لديه المفارق للجماعة[401] " [402] . فهذا نص لحديث صحيح عن النبي -صلى الله عليه و سلم- .

5- إذا وجد الشيخ حديثا له معنى يوافق معنى آية من الآيات أورده استئناسا بمعناه، كمـــا قال في تفسير قوله تعالى: ﴿**فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ**﴾ **[الفرقان:71]**، حيث قـــال: "وورد في ذلك حديث الرجل الذي حاسبه الله ببعض ذنوبه فعدّدها عليه ثم أبدل مكان كـــلّ سيّئة حسنة فقال: "يا ربّ إن لي سيئات لا أراها هنا"[403] ، فهذا الحديث ليس من كلام النبيّ ـصلى الله عليه وسلمـ الذي فسر به هذه الآية تفسيرا خاصا بها، بل وافق معناه معنى الآية، فأورده الشيخ عند تفسيرها .

6- ينسب الحديث إلى النبي ـصلى الله عليه و سلمـ بصيغة الجزم لكنه لا يبيّن درجتـــه وهذا يدلّ على أن الشيخ يصحّح الحديث، مثل قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿**فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾ **[الروم:30]**، حيث قال: "كما قال النبي ـصلى الله عليه وسلمـ كـــلّ

---

[399]ـــ متفق عليه: البخاري: ك/ الإيمان، ب/باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، رقم (660) ومسلم: ك/الزكاة، ب/فضل إخفاء الصدقة رقم (31)، كلاهما عن أبي هريرة-رضي الله عنه- .

[400]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 385 .

[401]ـــ متفق عليه: رواه البخاري: ك/الحدود، ب/قول الله تعالى: ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ رقم(6878) ومسلم: ك/القسامة والمحاربين، ب/ما يباح به دم المسلم (6)، كلاهما عن عبد الله-رضي الله عنه- .

[402]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 432 .

[403]ـــ المصدر نفسه، ص 585 . (والحديث لم أعثر عليه في الكتب التي بحثت فيها عنه) .

مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه"[404] ، [405] . فهنا قال الشيخ: "قال النبي ـصلى الله عليه وسلمـ" وهي صيغة جزم تكفي لبيان أن المستدلّ بهذا الحديث يصحّحه .

7- بيان الألفاظ القرآنيّة التي فيها نوع من الغموض بالأحاديث النبويّة التي وردت في بيان معانيها، ومثاله ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ** ﴾ **[الكوثر:1]**، حيث قال: "أي الخير الكثير والفضل الغزير الذي من جملته ما يعطيه الله لنبيّه -صلى الله عليه وسلم- يوم القيامة من النهر الذي يقال له الكوثر"[406] [407] . فلفظ الكوثر في الآية غير واضح لذلك أورد الشيخ هذا الحديث وفسّر به معنى هذه الكلمة .

8- يفسّر الآية كاملة بحديث ورد في تفسيرها، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿ **سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ **[آل عمران:180]**، حيث قال: "كما وردفي الحديث الصحيح "إن البخيل يمثّل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يأخذ بلهزمتيه، يقول أنا مالك، أنا كنزك" وتلى رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ مصداق ذلك هذه الآية[408] [409] . فقوله (وتلا رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ مصداق ذلك هذه الآية) نصّ يدل على أن الشيخ يرى بأن هذا الحديث تكلّم به النبيّ ـصلى الله عليه وسلمـ تفسيرا لهذه الآية .

9- أحيانا يذكر تخريج الحديث، مثل ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ **[الحجرات:10]**، حيث قال: "ولهذا قال النبي ـصلى الله عليه وسلمـ "لا تحاسدوا ولا

---

[404]ـ متفق عليه: رواه البخاري: ك/الجنائز، ب/ما قيل في أولاد المشركين، رقم (1385) ومسلم: ك/القدر، ب/معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موتى أطفال الكفار وأطفال المسلمين رقم (6) كلاهما عن أبي هريرة-رضي الله عنه- .

[405]ـ تيسير الكريم الرحمان، ص 611.

[406]ـ رواه أحمد في المسند: مسند أنس بن مالك-رضي الله عنه- ، ج 19 ص 55، رقم (11996) . قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع رقم (3359)، ج 3 ص 376 .

[407]ـ تيسير الكريم الرحمان، ص 895 .

[408]ـ رواه البخاري: ك/الزكاة، ب/إثم مانع الزكاة، رقم (1403) ومالك في الموطإ: ك/الزكاة، ت/ما جاء في الكنز، رقم (696) كلاهما عن أبي هريرة-رضي الله عنه- .

[409]ـ تيسير الكريم الرحمان، ص 141 .

تناجشوا ولا تباغضوا ولا يبع أحدكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المؤمن أخـــو المؤمن لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، متفق عليه[410]" [411] .

10- أمّا عن درجة الأحاديث التي استدل بها الشيخ من حيث الصحة والضّـــعف فهـــي تنقسم إلى قسمين:

أولا: أحاديث صحيحة لأنها في الصحيحين أو أحدهما .

ثانيا: أحاديث مختلف في صحتها بين المحدّثين ولكنّ الشيخ استدل بها لأحد أمرين:

- إمّا لأنّه يرى صحّتها .

- وإمّا أنّها ليست صحيحة عنده، لكنّه وجد لها ما يؤيّـــدها مـــن الأحـــاديث الصـــحيحة فاستحسن الاستدلال بها .

الفرع الرابع: تفسير القرآن بأقوال العلماء:

الملاحظة العامة التي يمكن أن تذكر في اعتماد الشيخ بن سعدي على هذا المصدر من مصادر التفسير هي أنه لم يكثر من النّقول عن العلماء وهذا ظاهر السّبب لأنّ المؤلف لم يقصـــد مـــن تفسيره أن يجمع أقوال العلماء في الآية، بل كان قصده بيان معنى الآية فقط، وأمّا عن أهمّ ما يلاحظ على اعتماد الشيخ على هذا المصدر فهو كالآتي:

1- التنويع من النقل: حيث كان ينقل عن الصحابة والتابعين وتابعيهم وغيرهم من العلمـــاء، فمثال نقله عن الصحابة: ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّـــهَ حَـــقَّ تُقَاتِهِ**﴾ **[آل عمران:102]**، حيث قال: "وتقوى الله حق تقاته كما قال ابـــن مســـعود[412]: "وهو أن يطاع فلا يعصي ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر"[413] . وقال في تفســـير قـــوله

---

[410]ـــ متفق عليه: رواه البخاري ك/الأدب، ب/﴿**يَأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُو اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾، رقم الحديث (6066) ومسلم، ك/البر والصلة والأدب، ب/تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله (10) كلاهما عن أبي هريرة-رضي الله عنه- .

[411]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 766 .

[412]ـــ هو عبد الله بن مسعود بن غافل، أحد السابقين إلى الإسلام هاجر الهجرتين إلى الحبشة والمدينة، شهد بدرا والمشاهد بعدها، وهو أول من جهر بالقرآن في مكة، توفي بالمدينة سنة 32هـــ، له عدة مناقب منها أن رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ شهد له بالجنة ومنها قوله عنه:"ما تضحكون؟ لَرِجْلُ عبد الله أثقل في الميزان يوم القيامة من أحد" رواه أحمد في مسند عليّ-رضي الله عنه-، ج 2 ص 438 . انظر: أسد الغابة، ج 1 ص 671-674، والإصابة، ج 2 ص 368-369 .

[413]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 125 .

تعالى: ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ** ﴾ **[المائدة:45]**، قال ابن عبـــاس: "كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق"[414] .

ومثال ما نقله عن التابعين: ما نقله عن الحسن البصري[415] في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ** ﴾ **[آل عمران: 17]**، حيث قال: "قال الحسن: مدّوا الصلاة إلى السحر، ثم جلسوا يستغفرون ربهم"[416] . وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّـــهَ إِنَّ اللَّـــهَ سَـــمِيعٌ عَلِيـــمٌ** ﴾ **[الحجرات:1]**، قال طلق بن حبيب[417] : "أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثـــواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخشى عقاب الله"[418] .

ومثال ما نقله عن تابعي التابعين: ما نقله في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا** ﴾ **[آل عمران:7]** حيث قال: "كما سئل الإمام مالك –رحمه الله– عن قوله تعالى: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ **[طه:5]**،ـــ فقال السائل: كيف استوى ؟ فقـــال مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة[419] .

---

[414]ـــ المصدر نفسه، ص 212 .

[415]ـــ الحسن البصري: هوالحسن بن يسار البصري أبو سعيد: تابعي جليل، ولد بالمدينة سنة 21هـــ، كان إمام أهل البصرة وشبّ في كنف علي بن أبي طالب، كان غاية في الفصاحة تنصب الحكمة من فيه، له مع الحجاج مواقف وقد سلمه الله من أذاه، توفي سنة 110هـــ. وانظر: وفيات الأعيان، ج 2 ص 69، وسير أعلام النبلاء، ج 4 ص 563 .

[416]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 108 .

[417]ـــ طلق بن حبيب: العنزي زاهد كبير، حدث عن بن عباس وأنس بن مالك وغيرهم،ورى عنه الأعمش وسليمان التيمي وغيرهم، كان من العُبَّاد وله عدة كلمات في الحث على التقوى، مات قبل المائة . انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تأليف: أبو نعيم الأصبهاني (ت:430هـــ)، ط 1، سنة 1409هـــ/ 1988م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 3 ص 63-65، وصفة الصفوة، تأليف:أبو الفرج بن الجوزي (ت:597هـــ)، تحقيق: محمود فاخوري ومحمد رواس قلعة جي، ط 2، سنة 1399هـــ/1979م، دار المعرفة، بيروت، ج 3 ص 285 .

[418]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 764 .

[419]ـــ المصدر نفسه، ص 105 .

2- أحيانا يصرح باسم من نقل عنه وأحيانا لا يصرّح باسمه:

- فمن المواضع التي صرّح فيها باسم من نقل عنه ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا**﴾ **[الملك:2]** حيث قال: "قال الفضيل بن عياض[420] -رحمه الله- أخلصه وأصوبه، قيل: يا أبا علي: ما أخلصه وأصوبه ؟ فقال: إنّ العمل إذا كان خالصا و لم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا و لم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا"[421] .

- ومن المواضع التي لم يصرح فيها باسم من نقل عنه ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾ **[القمر:17]**، حيث قال: "قال بعض السلف عند هذه الآية: هل من طالب علم فيعان عليه"[422] . وكذلك ما ذكره أثناء تفسير سورة التّكوير حيث قال: "قال بعض السلف: من أراد أن ينظر ليوم القيامة كأنه رأي العين فليتدبر سورة ﴿**إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ**﴾ **[التكوير:1]**[423] .

3- في الغالب لا يذكر اسم الكتاب الذي نقل منه قول العالم، وفي أحيان قليلة يذكر اسم الكتاب، مثل ما نقله من كتاب "مفتاح دار السعادة " لابن القيم عند تفسير قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ**﴾ **[البقرة:258]**[424]، وما نقله عن ابن القيم من كتاب "جلاء الأفهام" عند تفسير قوله تعالى: ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ**﴾ **[النساء:10]**[425] .

4- ينقل عمّن سبقه من المفسّرين الذين فسّروا الآية لكنّه لا يسمّيهم بل يكتفي بقول: (قال المفسرون...) أو (قال بعض السلف...)، كما فعل في تفسير قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ**

---

[420]- الفضيل بن عياض: أبو علي التيمي ولد بخراسان سنة 105هـ، كان من قطاع الطريق ثم تاب، قدم إلى الكوفة وهو كبير فسمع بها الحديث ثم انتقل إلى مكة حتى مات بها،كان من كبار العباد وله كلمات في الحث على التقوى وحقارة الدنيا توفي سنة 187هـ . انظر: حلية الأولياء، ج 8 ص 84، وصفة الصفوة، ج 2 ص 237 .

[421]- تيسير الكريم الرحمان، ص 353 .

[422]- المصدر نفسه، ص 30. وهو كلام لمطرف بن عبد الله كما ذكره بن عطية الأندلسي في المحرر الوجيز،ج 5 ص 215.

[423]- المصدر نفسه، ص 872 .

[424]- المصدر نفسه، ص 95 .

[425]- المصدر نفسه، ص 150 .

الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ [البقرة:217]، حيث قال: "الجمهور على أن تحريم القتال في الأشهر الحرم، منسوخ بالأمر بقتال المشركين حيثما وجدوا،وقال بعض المفسرين:إنه لم ينسخ لأن المطلق محمول على المقيد...إلخ"[426].

5- أنّه أحيانا يقتبس كلاما لمفسّر معيّن أثناء تفسيره للآية دون أن ينسبه إلى صاحبه، أو يقول: "قال بعض السّلف"، فيظنّ القارئ أن الكلام للشيخ بن سعدي، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات:1]**، حيث قال: "وفي هذا النهي الشّديد عن

تقديم قول غير الرسول ـصلى الله عليه وسلّمـ على قوله فإنّه متى استبانت له سنّة رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ وجب إتّباعها، وتقديمها على غيرها كائنا من كان"[427]، فهذا الكلام كلام معروف للإمام الشّافعي[428]، لكنّ القارئ لكلام الشيخ في النصّ السابق يتوهّم أنه من كلامه لأنّ الشيخ لم يعزه إلى الشافعي[429].

6- إذا أراد أن يعرّف بشيء ورأى أنّ أحدًا من العلماء قد عرّفه تعريفا جيدا فإنّه ينقل قوله، كما في تفسير قوله تعالى:﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ [الحجرات:3]**، حيث قال: "وهي كما قال طلق بن حبيب: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخشى عقاب الله"[430].

7- تأثره بشيخ الإسلام بن تيمية وتلميذه ابن القيم كان واضحا في تفسيره، حيث كان ينقل أقوالهما ويرجّح بترجيحهما... إلخ[431].

---

[426]ـ المصدر نفسه، ص 81 .

[427]ـ تيسير الكريم الرحمان، ص 664 .

[428]ـ انظر: كتاب "الروح" تأليف: بن قيم الجوزية (ت:751هـ)، سنة 1395هـ/1975م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 264 .

[429]ـ الشافعي: محمد بن إدريس أحد الأئمة الأربعة، ولد سنة 150هـ، جمع إلى علم الفقه علم الأصول والحديث واللغة والشعر، كان شديد الذكاء، نشر مذهبه بالحجاز والعراق ثم انتقل إلى مصر ونشر بها مذهبه، من تصانيفه: كتاب"الأم" "أحكام القرآن" وغيرها، توفي في مصر سنة 204هـ. انظر: حلية الأولياء، ج 9 ص 63، وسير أعلام النبلاء، ج 1 ص 85-86 .

[430]ـ تيسير الكريم الرحمان، ص 764 .

[431]ـ وانظر مثلا: تيسير الكريم الرحمان، ص 95 وص 111 وص 122 وص 150 وص 174 .

الفرع الخامس: تفسيره للقرآن باللغة العربية:

لم تأخذ المباحث اللغوية حظا كبيرا من تفسير الشيخ بن سعدي ذلك أنّه كان يركّز في تفسيره على المعاني، و لم يقصد فيه التعرض إلى المباحث اللغوية من إعراب وبيان وبديع... إلخ، لذلك جاء استعماله لهذه المباحث معتدلا، فلم يكثر منها إكثارا مملا، و لم يخلّ بها إخلالا يضرّ بالمعاني، وهذا لا يعني أن اللّغة ليست لها أهميّة عند الشيخ، بل إنه جعل معرفة اللغة من أهم الشروط التي يجب أن تتوفر فيمن أراد أن يفسّر كلام الله تعالى، والدليل على ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** ﴾ **[إبراهيم:4]**، حيث قال: "ويستدل بهذه الآية الكريمة على أن علوم العربية الموصلة إلى تبيين كلامه وكلام رسوله، أمور مطلوبة، محبوبة لله لأنّه لا يتمّ معرفة ما أنزل الله على رسوله إلا بها"[432] ، فهذا النص يدل على أن اللغة لها أهمية كبيرة عند الشيخ .

ولنذكر بعض الأمثلة التي تبيّن توظيف الشيخ لقواعد اللغة في تفسيره، وذلك كمايلي:

1- تقدير جواب الشرط المحذوف، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ** ﴾ **[النور:10]**، حيث قال: "وجواب الشرط محذوف، يدلّ عليه سياق الكلام، أي: لأُحِلَّ بأحد المتلاعنين الكاذب منهما، ما دعا به على نفسه"[433] .

2- بيان معاني الحروف، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿ **لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ** ﴾ **[القيامة:1]**، حيث قال: "ليست "لا" هنا نافية ولا زائدة وإنما أتي بها للاستفتاح والاهتمام بما بعدها، ولكثرة الإتيان بها مع اليمين، لا يستغرب الاستفتاح بها وإن لم تكن في الأصل موضوعة للاستفتاح"[434] .

---

[432]ـــ المصدر نفسه، ص 396 .

[433]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 535 .

[434]ـــ المصدر نفسه، ص 859 .

3- بيان معنى الكلمة ببيان ضدّها وهو ما يعرف بـــ "الطباق"[435]، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾ **[الحشر:9]**، حيث قال: "والإيثار عكسه الأثرة، فالإيثار محمود، والأثرة مذمومة، لأنها من خصال البخل والشحّ"[436] .

4- شرح بعض المفردات من غريب القرآن، كما في تفسيره قوله تعالى: ﴿**مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ**﴾ **[الناس:4]**، حيث قال: "ويخنس، أي: يتأخر إذا ذكر العبد ربه واستعان به على دفعه"[437] .

5- بيان وزن الكلمة، كما تفسير في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ**﴾ **[هود:90]**، حيث قال: "ومعنى الودود من أسمائه تعالى: أنه يحبّ عباده المؤمنين ويحبّونه،فهو: فعول بمعنى فاعل ومعنى مفعول"[438].

6- عود الضمير إمّا لأقرب مذكور أو لغيره بقرينة، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ**﴾ **[الأنعام 84]**،ـــ حيث قال: "يحتمل أنّ الضمير عائد إلى نوح لأنه أقرب مذكور لأن الله ذكر مع من ذكر لوطا، وهو من ذريّة نوح لا من ذريّة إبراهيم لأنّه بن أخيه، ويحتمل أن الضّمير يعود إلى إبراهيم، لأن السياق في مدحه والثناء عليه"[439] .

7- يبيّن أفعل التفضيل إذا وردت على غير بابها، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿**أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**﴾ **[المائدة:60]**، حيث قال: "(**أُوْلَئِكَ**) المذكورون بهذه الخصال القبيحة (**شَرٌّ مَكَاناً**) من المؤمنين الذين رحمة الله قريب منهم، ورضي عنهم، وأثابهم في الدنيا

---

[435]- الطباق: هو الجمع بين المتضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة ويكون ذلك إما بلفظين من نوع واحد كالاسمين كما في قوله تعالى: "وَتَحْسِبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ" (الكهف:18)، أو فعلين كما في قوله تعالى: ﴿**تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ**﴾ **[آل عمران:26]** . انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، تأليف: الخطيب القزويني، سنة 1419هـ/1998م، دار إحياء العلوم، بيروت، ج 1 ص 317.

[436]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 814 .

[437]ـــ المصدر نفسه، ص 897 .

[438]ـــ المصدر نفسه، ص 364 .

[439]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 241 .

والآخرة، لأنهم أخلصوا الدين وهذا النوع من باب استعمال أفعل التفضيل في غير بابه، وكذلك قوله (**وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**) أي: أبعد عن قصد السبيل"[440] .

8- بيان الأوجه الإعرابية في الكلمة بحسب اختلاف القراءة، كما قال في تفسير قوله تعالى: ﴿**ذُو الْعَرْشِ الْمجيدُ**﴾ **[البروج:15]**، حيث قال: "أي: صاحب العرش العظيم الذي من عظمته أنه وسع السماوات والأرض والكرسيّ...وهذا على قراءة الجّر، يكون "الْمجيدُ" نعتا للعرش، وأمّا على قراءة الرفع، فإن"المجيد" نعت لله والمجد سعة الأوصاف وعظمتها"[441] .

<u>الفرع السادس</u>: منهجه في تفسير آيات الأحكام .

إنّ المتتبع لآيات الأحكام التي فسّرها الشيخ بن سعدي يمكنه أن يلاحظ عدّة ملاحظات تصف لنا المنهج الذي اتّبعه الشيخ في تفسير آيات الأحكام، ويمكن إجمال هذه الملاحظات في النّقاط الآتية:

1- أنّه يعرّف بالمصطلحات الفقهية حتى يبني عليها الأحكام المتعلقة بها، ومثال ذلك تعريفه للفظ: "الغلول" وذلك لّما فسّر قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ **[آل عمران: 161]**، حيث قال: "الغلول: هو الكتمان من الغنيمة والخيانة في كلّ ما يتولاّه الإنسان"[442]، ومثاله أيضا تعريف الشيخ للفظة: "**وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ**"، وذلك لّما فسّر قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ**﴾ **[التوبة:60]**، حيث قال: "وهو السيّد المطاع في قومه ممّن يرجى إسلامه

أو يخشى شره أو يرجى بعطيّته قوة إيمانه أو إسلام نظيره أو جبايتها ممن لا يعطيها"[443] .

2- اعتماده على التقسيم والتفصيل في المسألة الفقهيّة، وهذا حتى يستوفي المسألة بجميع فروعها وأقسامها، ومثاله ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا**﴾ **[البقرة:275]**، حيث قال: "والربا نوعان: ربا النسيئة: كبيع الربا بما يشاركه في العلّة نسيئة،

---

[440]ـــ المصدر نفسه، ص 215 .

[441]ـــ المصدر نفسه، ص 878 .

[442]ـــ المصدر نفسه، ص 138 .

[443]ـــ المصدر نفسه، ص 318 .

ومنه جعل ما في الذمّة رأس مال سلم، وربا الفضل: وهو بيع ما يجري فيه الربا بجنسه متفاضلا"[444] .

3- استنباط القواعد الفقهية والأصولية من الآيات، ومثال ذلك القاعدة التي استنبطها من قوله تعالى: ﴿ **وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا** ﴾ **[آل عمران:167]**، حيث قال: "واستدلّ بهذه الآية على قاعدة: ارتكاب أخفّ المفسدتين لدفع أعلاهما، وفعل أدنى المصلحتين للعجز عن أعلاهما "[445] . والقاعدة التي استنبطها من قوله تعالى: ﴿ **وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ** ﴾ **[النور:31]**، حيث قال: "ويؤخذ من هذا ونحوه قاعدة سد الوسائل وأنّ الأمر إذا كان مباحا ولكنه يفضي إلى محرّم أو يخاف من وقوعه، فإنه يمنع"[446]

4- بيان الحكمة التي من أجلها شرع الله تعالى هذا الحكم وذلك للترغيب في قبوله والانقياد إليه، ومثال ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ **[البقرة:183]**، حيث قال: "يخبر تعالى بما منّ به على عباده بأنّه فرض عليهم الصيام، كما فرضه على الأمم السابقة... ثم ذكر تعالى حكمته في مشروعية الصيام فقال "لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" فإنّ الصيام من أكبر أسباب التقوى لأنّ فيه امتثال أمر الله واجتناب نهيه[447] ، ومثال ذلك أيضا ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ** ﴾ **[البقرة:228]**، حيث قال: "ولهذه العدّة حكم، منها: العلم ببراءة الرحم، إذا تكررت عليها ثلاثة الأقراء، علم أنه ليس في رحمها حمل فلا يفضي إلى اختلاط الأنساب"[448] .

5- يستطرد كثيرًا في ذكر الفوائد والأحكام المستنبطة من الآيات وهذا تكرر كثيرا في تفسيره، ومثال ذلك: آية الدّين في سورة البقرة، حيث استنبط منها خمسين فائدة ثم قال: "فهذه الأحكام مما يستنبط من هذه الآية الكريمة على حسب الحال الحاضرة والفهم القاصر،

---

[444]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 100 .

[445]ـــ المصدر نفسه، ص 139 .

[446]ـــ المصدر نفسه، ص 538 .

[447]ـــ المصدر نفسه، ص 70 .

[448]ـــ المصدر نفسه، ص 85 .

ولله في كلامه حكم وأسرار يخصّ بها من يشاء من عباده"[449] ، ومثاله أيضا: آية الوضوء، التي استنبط منها إحدى وخمسين فائدة[450] .

6- حكاية الخلاف في كثير من المسائل الفقهية التي تعرّض إليها، وهذه النقطة عرضها الشيخ السّعدي بطريقتين:

الأولى: إنه يحكي الخلاف في المسألة ثم يرجّح ما يراه صوابا: ومثال ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ** ﴾ **[البقرة:228]**، حيث قال: "أي: حيض أو أطهار على اختلاف العلماء في المراد بذلك، مع أنّ الصحيح أنّ القرء: الحيض"[451] .

الثانية: أنه يحكي الخلاف في المسألة ثم يمرّ عليها ولا يرجّح قولا على قول، ومثال ذلك ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا** ﴾ **[المجادلة: 3]**، حيث قال: "اختلف العلماء في معنى العود، فقيل: معناه العزم على جماع من ظاهر منها، وقيل معناها حقيقة الوطء... وعلى كلا القولين إذا وجد العود، صار كفارة هذا التحريم ﴿ **فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ** ﴾ "[452] .

7- ذكر الحكم الراجح مباشرة بدون الإشارة إلى أيّ خلاف في المسألة، ومثاله ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمْ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ** ﴾ **[النساء: 102]** حيث قال: "وهذه الآية تدل على أن صلاة الجماعة فرض عين"[453] ، ومثاله أيضا ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ** ﴾ **[البقرة:196]**، حيث قال: "يستدلّ بها على أمور: أحدها: وجوب الحج والعمرة وفرضيتهما"[454] .

الفرع السابع: منهجه في تفسير آيات القصص:

إنّ المتتبّع لتفسير الشيخ لهذا النوع من الآيات يلاحظ أموراً يمكن أن يقال بأنها تمثّل منهجه في تفسير هذا النوع من الآيات وأهمّ هذه الملاحظات هي:

---

[449]- تيسير الكريم الرحمان، ص 103 .

[450]- المصدر نفسه، ص 201-202 .

[451]- المصدر نفسه، ص 85 .

[452]- المصدر نفسه، ص 808 .

[453]- المصدر نفسه، ص 178 .

[454]- المصدر نفسه، ص 75 .

1-لم يخصّ هذا النوع من الآيات بطريقة خاصة في التفسير، بل جعلها كغيرها من الآيات فلم يكثر فيها من كثرة النّقول، أو نقد الروايات... إلخ .

2- **لا ينقل أخبار بني إسرائيل**، بل يكتفي بمجرد ما ذكره الله في كتابه أو ما ذكره رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ في سنته إلاّ نادرا .

3- لا يستطرد في ذكر تفاصيل القصّة القرآنية، بل يكتفي بسرد أهم الأحداث فيها إلا إذا كان في سرد تفاصيلها أمور مهمة تعين على فهم القرآن، مثل قصّة الحديبية التي ذكرها الله عزّ وجلّ في سورة الفتح، حيث نقل الشيخ كلاما مفصّلا لابن القيم في هذه القصة فقال: "ولنسق قصة الحديبية بطولها كما ساقها الإمام شمس الدّين بن القيم في "الهدي النّبوي" فإنّ فيها إعانة على فهم هذه السورة... "[455] .

4- ذكر العبر والفوائد المستنبطة من القصص القرآني وهي فوائد سلوكية تربوية، ومثال ذلك ما ذكره من فوائد بعد تفسيره للآيات التي تحدّثت عن قصة آدم مع الملائكة - في سورة البقرة - [456] ، وقصة لوط مع الملائكة[457] .

5- إذا كانت في القصة فوائد كثيرة عقد لها الشيخ فصلا كاملا في سرد فوائدها، ومن ذلك ما ذكره في آخر تفسيره لسورة يوسف حيث قال: "فصل في ذكر شيء من العبر والفوائد التي اشتملت عليها هذه القصة العظيمة..."[458] ، ثمّ شرع في ذكر فوائد كثيرة جداً، وقد طبعت هذه الفوائد في رسالة مستقلة لعظمها. ومن ذلك أيضا، الفوائد التي استنبطها من قصة موسى مع الخضر حيث قال في آخر هذه القصة: "وفي هذه القصة العجيبة الجليلة من الفوائد والأحكام، والقواعد شيء كثير ننبّه على بعضه -بعون الله- "[459] .

6- بالنسبة إلى القصص المكررة في القرآن الكريم، كان موقف الشيخ السّعدي، منها ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ**﴾ **[الزمر:23]**، حيث قال: "(**مَثَانِيَ**) أي ثنّى فيه القصص والأحكام والوعد والوعيد وصفات أهل الخير وصفات أهل الشر... فكذلك القلب يحتاج دائما إلى تكرر معاني كلام الله تعالى عليه، وأنه لو

---

[455]ـ تيسير الكريم الرحمان، ص 762 .

[456]ـ المصدر نفسه، ص 35 .

[457]ـ المصدر نفسه، ص 408 .

[458]ـ المصدر نفسه، ص 383 .

[459]ـ المصدر نفسه، ص 465 .

تكرر عليه المعنى مرّة واحدة في جميع القرآن، لم يقع منه موقعا و لم تحصل النتيجة منه، ولهذا سلكت في هذا التّفسير هذا المسلك الكريم، اقتداء بما هو تفسير له، فلا تجد فيه الحوالة على موضع من المواضع، بل كلّ موضع تجد تفسيره كامل المعنى غير مراع لما مضى ممّا يشبهه، وإن كان بعض المواضع يكون أبسط من بعض وأكثر فائدة، وهكذا ينبغي للقارئ للقرآن المتدبّر لمعانيه، ألاّ يدع التدبّر في جميع المواضع منه فإنّه يحصل له بسبب ذلك خير كثير ونفع غزير"[460] ، ومن أراد أن يعرف مدى تطبيق الشيخ لهذا الكلام فلينظر تفسيره لقصة آدم مع إبليس في سورة الأعراف[461] ، والقصة نفسها في سورة الحجر[462] ، فسيجد الشيخ لم يكتف بتفسير إحداهما عن تفسير الأخرى، بل فسّرهما مع زيادة بعض الفوائد بحسب المقتضى .

7- استنباط الأحكام الشرعية العمليّة من قصص الأمم السابقة: وذلك لأن الشيخ بن سعدي ممّن يقول بقاعدة "شرع من قبلنا شرع لنا إذا لم يأت ما يخالفه" ومثال ذلك ما استنبطه من أحكام لّما فسّر قصة موسى _عليه السلام _ حيث قال: "ومنها جواز خروج المرأة في حوائجها وتكليمها للرجال من غير محذور كما جرت لأختي موسى وابنتي صاحب مدين، ومنها أخذ الأجرة على الكفالة والرضاع والدلالة على من يفعل ذلك... إلخ[463] .

<u>الفرع الثامن</u>: موقفه من الإسرائيليات:

وسوف أتحدّث عن موقف الشيخ من الإسرائيليات من ناحيتين: الناحية النظرية والناحية التطبيقية وذلك كما يلي:

أ- <u>الناحية النظرية</u>:

لقد بين الشيخ بن سعدي موقفه صراحة من الإسرائيليات، وذلك لّما فسّر قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً** ﴾ **[البقرة:67]** حيث قال: "واعلم أنّ كثيرا من المفسّرين -رحمهم الله- قد أكثروا في حشو تفاسيرهم من قصص بني إسرائيل، ونزّلوا عليها الآيات القرآنية وجعلوها تفسيرا لكتاب الله محتجّين بقوله _صلى الله عليه وسلم_ "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"[464] والذي أرى أنّه وإن جاز نقل أحاديثهم على وجه تكون مفردة غير

---

[460]_ تيسير الكريم الرحمان، ص 689 .

[461]_ المصدر نفسه، ص 626 .

[462]_ المصدر نفسه، ص 406 .

[463]_ المصدر نفسه، ص 589 .

[464]_ سبق تخريجه، ص 61.

مقرونة، ولا متزّلة على كتاب الله، فإنّه لا يجوز جعلها تفسيرا لكتاب الله قطعا إذا لم تصح عن رسول الله ــصلى الله عليه وسلمــ ، وذلك أنّ مرتبتها كما قال ــصلى الله عليه وسلمــ " لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم"[465] فإذا كان مرتبتها أن تكون مشكوكًا فيها، وكان من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أنّ القرآن يجب الإيمان به، والقطع بألفاظه ومعانيه، فلا يجوز أن تجعل تلك القصص المنقولة بالروايات المجهولة التي يغلب على الظنّ كذبها أو كذب أكثرها، معاني لكتاب الله مقطوعا بها، ولا يستريب بهذا أحد، ولكن بسبب الغفلة عن هذا حصل ما حصل، -والله الموفق-"[466] .

ب- <u>الناحية التطبيقية:</u>

لقد أثّر موقف الشيخ بن سعدي من الإسرائيليات تأثيرا إيجابيا على تفسيره ويدلّ على ذلك ما يلي:

1- تجنّب حشو الأقوال الإسرائيلية في تفسيره: ومثال ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿**هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً**﴾ **[الأعراف:73]**، حيث قال: "واعلم أن كثيرا من المفسرين يذكرون في هذه القصة، أنّ الناقة قد خرجت من صخرة صماء ملساء، اقترحوها على صالح، وأنّها تمخّضت تمخّض الحامل، فخرجت الناقة وهم ينظرون، وأنّ لها فصيلا حين عقروها رغى ثلاث رغيات... وكلّ هذا من الإسرائيليات التي لا ينبغي نقلها في تفسير كتاب الله وليس في القرآن ما يدل على شيء منها بوجه من الوجوه، بل لو كانت صحيحة لذكرها الله تعالى، لأن فيها من العجائب والعبر والآيات ما لا يهمله تعالى، ويدع ذكره، حتى يأتي عن طريق من لا يوثق بنقله"[467] .

2- ردّ الإسرائيليات إذا ناقضت أدلّة صحيحة: ومثال ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ**﴾ **[النمل:20]**، فبعدما فسر هذه الآية على ظاهرها قال: "وهذا هو المعنى للآية، و لم يصنع شيئا من قال: إنّه تفقد الطير ينظر أين الهدهد منها ليدلّه على بعد الماء وقربه، كما زعموا عن الهدهد أنّه يبصر الماء تحت الأرض الكثيفة، فإن هذا القول لا يدل عليه دليل، بل الدليل العقلي والفطري دال على بطلانه:

---

[465]ــ سبق تخريجه، ص 61 .

[466]ــ تيسير الكريم الرحمان، ص 41 .

[467]ــ المصدر نفسه، ص 273 .

أما العقلي: فإنّه قد عرف بالعادة والتجارب والمشاهدات أنّ هذه الحيوانات كلّها ليس منهـــا شيء يبصر هذا البصر الخارق للعادة، ولو كان كذلك لذكره الله .

وأما الدليل الفطري: فلو أريد هذا المعنى لقال: "وطلب الهدهد لينظر له الماء فلمّا فقده قال ما قال... وأيضا فإنّ سليمان ـعليه السلامـ لا يحتاج ولا يضطرّ إلى الماء، بحيث يحتاج لهندســة الهدهد، فإنّ عنده من الشياطين والعفاريت ما يحفرون له الماء ولو بلغ **في** العمق ما بلغ، وسخّر الله له الرّيح، غدوّها شهر ورواحها شهر فكيف مع ذلك... يحتاج إلى الهدهد ؟ "[468] .

3- إذا رأى الشيخ بأن هذه الروايات الإسرائيلية لا تعارض ما في القرآن والسنة استشهد بها ثم توقّف في تصحيحها أو ردّها، ومثال ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى:﴿ **إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى** ﴾ **[طه:12]**، حيث قال بعد تفسيره للآية: "وقد قال الكثير من المفسرين إنّ الله أمره أن يلقي نعليه، لأنهما من جلد حمار- فالله أعلم بذلك-"[469] .

ورغم كل ما سبق ذكره من تنظير وتطبيق للشيخ بن سعدي في هذه المسألة، إلاّ أنّني وجدت له موضعا ذكر فيه تفسيرا بالإسرائيليات وهو قول جمهور المفسّرين، وهذا الموضع هو ما ذكره في تفسير قوله تعالى:﴿ **وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً** ﴾ **[ص:34]**، حيث قـــال: "أي: شـــيطانا قضى الله وقدّر أن يجلس على كرسيّ ملكه ويتصرّف في الملك في مدّة فتنة سليمان"[470] . فهذه القصّة مما اختلف في صحتها المفسرون:

فمنهم من أنكرها: ومن هؤلاء: محمد الأمين الشنقيطي حيث قال: "فما يـــذكره المفسّـــرون من... لا يخفى أنه باطل لا أصل له، وأنّه لا يليق بمقام النبوّة فهو من الإسرائيليات التي لا يخفى أنها باطلة"[471] .

ومنهم من أثبتها: ومن هؤلاء: الإمام الشوكاني حيث نقله مقرا له عن أكثر المفسّرين فقـــال: "قال أكثر المفسرين: هذا الجسد الذي ألقاه الله على كرسيّ سليمان هو شيطان اسمه: صـــخر،

---

[468]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 574 .

[469]ـــ المصدر نفسه، ص 475 .

[470]ـــ المصدر نفسه، ص 679 .

[471]ـــ أضواء البيان، ج 4 ص 77 .

وكان متمّرداً عليه غير داخل في طاعتها... "[472] ، فهذا النص يدلّ على إقرار الشوكاني لهـــذا القول . فلعلّ الشيخ بن سعدي لّما رأى كثرة القائلين به ترّجح عنده صوابه –والله أعلم– .

الفرع التاسع: منهجه في تفسير آيات العقائد:

لقد سبق بيان عقيدة الشيخ بن سعدي في ترجمته وأنها عقيدة سنّيّة، ومن المعلوم عند جميـــع المسلمين أنّ أهم المصادر التي يستدل بها أهل السنة على عقيدتهم هي القرآن الكريم، لذلك نجد أن الشيخ بن سعدي قرّر عقيدته في تفسير كثير من الآيات وكان ذلك علـــى وجهين الأول: تقرير العقيدة، والثاني: الرد على المخالفين للعقيدة الإسلامية وبيان ذلك:

أ – **تقرير العقيدة:** وذلك بأمور منها:

1 – **تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام:** توحيد الربوبيّة وتوحيد الألوهية وتوحيـــد الأسمـــاء والصفات، واستدلّ على هذا التقسيم بالآيات الواردة في سورة الفاتحة فقال: "هـــذه الســـورة على إيجازها قد احتوت على ما لم تحتو عليه سورة من سور القرآن فتضمنت أنواع التوحيـــد الثلاثة، توحيد الربوبيّة: يؤخذ من قوله: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ **[الفاتحـــة:1]**، وتوحيـــد الألوهية: وهو إفراد الله بالعبادة يؤخذ من لفظ (**لِلَّهِ**) ومن قوله: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** ﴾ **[الفاتحـــة:5]**، وتوحيد الأسماء والصفات: وهو إثبات صفات الكمال لله تعالى التي أثبتها لنفسه وأثبتهـــا لـــه رسوله من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه، وقد دل على ذلك لفظ (**الْحَمْدُ**) كما تقدم"[473] .

2– **بيان أدلة توحيد الربوبيّة وأن الله هو الخالق المالك المدبّر:** واستدل على ذلك بثلاثة أدلة هي:

– دلالة الفطرة: وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ **فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا** ﴾ **[الروم: 30]**، حيث قال: "وهذا الأمر الذي أمرناك به (**فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**) ووضـــع في عقولهم حسنها واستقباح غيرها، فإن جميع أحكام الشّرع، الظاهرة والباطنة، قد وضـــع الله في قلوب الخلق كلّهم الميل إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحقّ وإيثار الحق وهذا حقيقـــة الفطـــرة" [474] .

---

[472]ـــ فتح القدير، ج 4 ص 540 .

[473]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 26 .

[474]ـــ المصدر نفسه، ص 611 .

- دلالة النفس: وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا** ﴾ **[الشمس:7]**، حيث قال: "... وعلى كلّ فالنفس آية كبيرة من آياته التي حقيقة بالإقسام بها، فإنها في غاية اللّطف والخفّة، سريعة التنقّل والحركة والتغيّر والتأثّر والانفعالات النفسيّة من الهمّ والإرادة والقصد والحب والبغض وهي التي لولاها لكان البدن مجرّد تمثال لا فائدة فيه وتسويتها على هذا الوجه آية من آيات الله العظيمة"[475] .

- دلالة الآفاق: وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ** ﴾ **[الشورى :53]**، حيث قال: "فإن قلتم أو شككتم بصحّته وحقيقته فسيقيم الله لكم ويريكم من آياته في الآفاق كالآيات التي في السماء وفي الأرض وما يحدثه الله تعالى من الحوادث العظيمة الدّالة للمستبصر على الحق"[476] .

3- بيان استحقاق الله عز وجل للعبودية وحده دون من سواه: وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (22)** ﴾ **[البقرة:21-22]**، حيث قال: "هذا أمر عام لكلّ الناس بأمر عام، وهو العبادة الجامعة لامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه وتصديق خبره... ثم استدل على وجوب عبادته وحده بأنه ربكم الذي رباكم بأصناف النعم، فخلقكم بعد العدم وخلق الذين من قبلهم وأنعم عليكم بالنعم الظاهرة والباطنة... "[477] .

4 - **بيان عقيدة المسلمين في باب الأسماء والصفات:** حيث قرر كيفية الإيمان بالأسماء والصفات حين فسر قوله تعالى: ﴿ **الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ **[الفاتحة:3]**، من سورة الفاتحة فقال: "...واعلم أن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمّتها الإيمان بأسماء الله وصفاته، وأحكام الصّفات، فيؤمنون مثلا بأنه رحمان رحيم ذو الرحمة التي اتصف بها المتعلّقة بالمرحوم

---

[475]ـ المصدر نفسه، ص 885 .

[476]ـ تيسير الكريم الرحمان، ص 715 .

[477]ـ المصدر نفسه، ص 31 .

فالنعم كلّها أثر من آثار رحمته، وهكذا في سائر الأسماء، يقال في العليم إنه عليم ذو علم يعلم به كل شيء، قدير ذو قدرة يقدر على كل شيء"[478] .

ب – <u>الرد على المخالفين لهذه العقيدة</u>: حيث ردّ على الفرق المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة، ولنذكر بعض الأمثلة التي تبيّن ذلك:

1– **مسألة فاعل الكبيرة:** <u>فأهل السنة</u> يقولون بأنّ فاعل الكبيرة عاص لا يكفر بكبيرته[479] ، قال الشيخ بن سعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا**﴾ **[الحجرات: 9]**، قال: "... وأنّ الإيمان والأخوّة الإيمانية، لا تزول مع وجود القتال، كغيره من الذّنوب الكبار التي دون الشرك على مذهب أهل السنة"[480] .

<u>وأما الخوارج</u>: فيقولون بأنّ فاعل الكبيرة كافر خالد في جهنّم، وقد ردّ الشيخ هذا القول عندما فسر قوله تعالى: ﴿**بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ **[البقرة:81]**، حيث قال: "... وقد احتجّ بها الخوارج على كفر صاحب المعصية، وهي حجة عليهم كما ترى، فإنها ظاهرة في الشرك"[481] .

2– مسألة أفعال المكلف هل هو مخيّر فيها أو مجبر عليها: <u>فأهل السنة</u> يقولون بأنّ العبد له إرادة في الفعل لكن هذه الإرادة لا تحدث إلا بعد إرادة الله عز وجلّ ومشيئته[482] ، وقد خالف أهل السنة في هذه المسألة فرقتان: الجبرية والقدرية، وقد ردّ عليهما الشيخ بن سعدي لما فسر قوله تعالى: ﴿**وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ **[المدثر:65]**، حيث قال: "فإن مشيئته نافذة عامة، لا يخرج عنها حادث قليل ولا كثير، ففيها ردّ على القدرية الذين لا يدخلون أفعال العباد تحت مشيئة الله، والجبرية الذين يزعمون أنه ليس للعبد مشيئة ولا فعل حقيقة، وإنّما هو مجبور على أفعاله فأثبت تعالى للعباد مشيئة حقيقة وفعلا وجعل ذلك تابعا لمشيئته"[483] .

---

[478]ـــ المصدر نفسه، ص 25 .

[479]ـــ شرح العقيدة الطحاوية، ص 369 .

[480]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 766 .

[481]ـــ المصدر نفسه، ص 42 .

[482]ـــ شرح العقيدة الطحاوية، ص 249 .

[483]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 859 .

3- مسألة الإيمان بالأسماء والصفات: وذلك حين فسر قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾ **[الشورى:11]**، حيث قال: "... وفي هذه الآية ونحوها، دليل لمذاهب أهل السنة والجماعة، من إثبات الصفات، ونفي مماثلة المخلوقات وفيها رد على المشبهة في قوله (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**) وعلى المعطلة في قوله (**وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**)"[484] .

الفرع العاشر: علوم القرآن في تفسير الشيخ بن سعدي[485]:

وسأذكر في هذا المبحث أهمّ مباحث علوم القرآن في تفسير الشيخ بن سعدي، وقبل الشروع في بيان هذا المبحث يجب أن أنبّه إلى شيء مهمّ وهو أنّني لم أذكر علم المنطوق والمفهوم وعلم العام والخاص رغم أنهما مثّلا جزءا كبيرا من تفسير الشيخ بن سعدي، وذلك لأنّ كثيرا من القواعد التي ذكرها في هذا البحث تنظيرا وتطبيقا، هي قواعد تتحدّث حول هذين العلمين، فلم أُرِدِ التّكرار والإطالة، و لم أذكر أيضا علم المجاز لأنّني لم أجد كلاما للشيخ عليه، و لم أذكر علم أسباب النزول لأنّني قد ذكرته في قاعدة "العبرة بعموم اللّفظ لا بخصوص السّبب"، وأمّا عن أهمّ علوم القرآن التي أردت ذكرها فهي كالآتي:

أولا : الناسخ والمنسوخ[486]:

لقد مثّل مبحث النسخ في تفسير الشيخ بن سعدي مبحثا مهمّا، وذلك أنّ الشيخ وقف وسطا بين طرفي نقيض في هذا الباب، حيث أنّ بعض المفسّرين تساهل في ادّعاء النّسخ في كثير من آي القرآن الكريم، وفي مقابلهم قوم أنكروا النّسخ مطلقا، فاتّخذ الشيخ سبيلا وسطا بين هؤلاء وهؤلاء، فأثبت النسخ في القرآن الكريم وفي الوقت نفسه ضبطه بضوابط، وبيان ذلك وتفصيله كما يلي:

---

[484]ـــ المصدر نفسه، ص 81 .

[485]ـــ وقد اكتفيت بذكر التعريف الاصطلاحي المشهور لكل نوع منها، و لم أتعرض إلى المعاني اللغوية ولا إلى التوسع في ذكر خلاف العلماء في مدلولات هذه الأنواع، لأن ذلك يخرج عن المقصود من ذكرها، فمن أراد معرفة المزيد عن هذه الأنواع فعليه بالرجوع إلى كتب علوم القرآن وغيرها، مثل: البرهان للزركشي والإتقان للسيوطي... إلخ .

[486]ـــ النسخ: هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي . انظر: مناهل العرفان، ص 445 .

1- عرّف الشيخ النسخ لغة واصطلاحا، وذلك لّما فسّر قوله تعالى: ﴿**مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا**﴾ **[البقرة:106]**،ــ حيث قال: "النسخ هو النقل، فحقيقة النسخ: نقل المكلّفين من حكم مشروع إلى حكم آخر أو إلى إسقاطه"[487] .

2- رد الشيخ على منكري النسخ، وذلك لّما فسّر قوله تعالى: ﴿**كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ**﴾ **[آل عمران:93]**، حيث قال: "وهذا ردّ على اليهود بزعمهم الباطل أنّ النّسخ غير جائز فكفروا بعيسى ومحمد ــصلى الله عليه وسلمــ ، لأنّهما قد أتيا بما يخالف بعض أحكام التوراة بالتّحليل والتّحريم فمن تمام الإنصاف في المجادلة إلزامهم بما في كتابهم التوراة من أن جميع أنواع الأطعمة محلّلة لبني إسرائيل (**إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ**) وهو يعقوب عليه السلام (**عَلَى نَفْسِهِ**) أي: من غير تحريم الله تعالى... ثم نزل في التوراة أشياء من المحرّمات غير ما حرّم إسرائيل مما كان حلالا لهم طيبا"[488] .

3- قرّر الشيخ في تفسيره أن أصول الشرائع لا يمكن ولا يجوز أن يدّعى فيها النسخ، وذلك لّما فسّر قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً**﴾ **[البقرة:83]**، حيث قال: "وهذه الشّرائع من أصول الدين، التي أمر الله بها في كلّ شريعة، لاشتمالها على المصالح العامّة في كلّ زمان ومكان،فلا يدخلها نسخ كأصل الدين"[489] .

4- قرر الشيخ في تفسيره أنّه إن أمكن الجمع بين الآيات التي ظاهرها التّعارض فإنّه لا يجوز ادّعاء النسخ فيها، بل إنّ القول بالنّسخ يأتي في آخر مراتب الجمع: ومثال تطبيق الشيخ لهذه المسألة التي قرّرها، ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَأَنْ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ**﴾ **[المائدة: 49]**، حيث قال: "هذه الآية هي التي قيل إنّها ناسخة لقوله تعالى: ﴿**فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ**﴾ **[المائدة:42]** والصحيح أنّها ليست بناسخة وأنّ تلك الآية تدل على أنّه ــصلى الله

---

[487]ــ تيسير الكريم الرحمان، ص 47 .

[488]ــ تيسير الكريم الرحمان، ص 122 .

[489]ــ المصدر نفسه، ص 42 .

عليه وسلم_ مخيّر بين الحكم بينهم، وبين عدمه، وذلك لعدم قصدهم بالتّحاكم للحق، وهذه الآية تدل على أنّه إذا حكم فإنه يحكم بينهم بما أنزل الله من الكتاب والسنة"[490] .

5- أحيانا يذكر اختلاف العلماء في القول بالنسخ في الآية ثم يرجّح ما يراه صوابا وأحيانا لا يرجح بل يكتفي بحكاية الخلاف عن المفسّرين، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

- مثال ما لم يرجّح فيه: ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿**يَسْئَلُونَكَ عَنْ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ**﴾ **[البقرة:217]**، حيث قال: "الجمهور على أنّ تحريم القتال في الأشهر الحرم منسوخ بالأمر بقتال المشركين حيثما وجدوا، وقال بعض المفسّرين: إنّه لم ينسخ لأنّ المطلق محمول على المقيّد، وهذه الآية مقيّدة لعموم الأمر بالقتال مطلقا... وهذا إنّما هو في قتال الابتداء، وأمّا قتال الدّفع فإنّه يجوز في الأشهر الحرم كما يجوز في البلد الحرام"[491] .

- مثال ما رجّح فيه القول الذي رآه صوابًا: ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّة لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ**﴾ **[البقرة:280]** حيث قال: "واعلم أنّ جمهور المفسّرين يرون أنّ هذه الآية منسوخة بآية المواريث، وبعضهم يرى أنّها في الوالدين والأقربين غير الوارثين مع أنه لم يدلّ على التّخصيص بذلك دليل، والأحسن في هذا يقال: إنّ هذه الوصيّة للوالدين والأقربين مجملة ردّها الله تعالى إلى العرف الجاري، ثم إن الله تعالى قدّر للوالدين الوارثين وغيرهما من الأقارب الوارثين، هذا المعروف في آيات المواريث بعد أن كان مجملا، وبقي الحكم فيمن لم يرثوا من الوالدين الممنوعين من الإرث وغيرهما ممّن حجب بشخص أو وصف"[492] .

6- إذا لم يكن الجمع بين الآيات صرّح الشيخ بالنسخ، ومثاله ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى**﴾ **[النساء:43]**، حيث قال: "وهذه الآية الكريمة منسوخة بتحريم الخمر مطلقا فإنّ الخمر في أوّل الأمر كان غير محرّم... ثمّ إنّه تعالى

---

[490]ـــ المصدر نفسه، ص 213 .

[491]ـــ المصدر نفسه، ص 81 .

[492] ـــ تيسير الكريم الرحمان ، ص 70 .

حرّمه على الإطلاق في جميع الأوقات في قوله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ **[المائدة:90]**[493] .

ثانيا : العلوم المستنبطة من القرآن الكريم[494]**:**

من المعلوم أنّ القرآن الكريم قد احتوى على جميع العلوم الدينية والدنيوية، سواء بالنّص عليها أو بالحثّ على تعلّمها أو بالإشارة إليها، لذلك فإنّ كلّ مفسّر يحاول أن يستخرج أصول هذه العلوم من القرآن الكريم، فمنهم من يوفّق ومنهم من لا يوفّق، وهذا النوع من علوم القرآن قد برز في تفسر الشيخ بن سعدي بروزا واضحا، حين ذكر أنواعا كثيرة من العلوم في تفسيره واستدلّ لها بأدلّة من القرآن الكريم لا يمكن أن يدركها إلاّ رجل متضلّع متمكّن من تفسير كتاب الله، ونجمل ما ذكره حول هذا النوع في النقاط الآتية:

أ- **ذكر الشيخ عدّة علوم حثّ القرآن على تعلّمها** وهي:

1 - علم التاريخ: وذلك لإبطال الشّبه التي يتمسّك بها من يجهل تواريخ الأمم والحوادث، وذلك في قوله تعالى:﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتْ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾ **[آل عمران:65]** . حيث قال: "... وفيها أيضا حثّ على علم التاريخ وأنه طريق لردّ كثير من الأقوال الباطلة و الدعاوي التي تخالف ما علم من التاريخ"[495] .

2 - علم التسيير: للاهتداء به في الطريق ومعرفة الوقت... إلخ وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**﴾ **[الأنعام 97]**، حيث قال: "... ودلّت هذه الآية ونحوها على مشروعية تعلّم سير الكواكب ومحالّها الذي يسمّى علم التسيير، فإنه لا تتم الهداية ولا تمكن إلاّ بذلك"[496] .

---

[493]ـــ المصدر نفسه، ص 161 .

[494]ـــ وقد اعتبر الإمام السّيوطي -رحمه الله-هذه المسألة نوعا من أنواع علوم القرآن، حيث عقد لها فصلا كاملا في كتابه: "الإتقان في علوم القرآن" فقال: "النوع الخامس والستون: في العلوم المستنبطة من القرآن" ثم ذكر أدلة مشروعيّة هذا النّوع من القرآن والسنة وأقوال السلف، ثم عدد بعض العلوم المستنبطة من القرآن وذكر أدّلتها... إلخ . انظر: الإتقان في علوم القرآن، ص 96 .

[495]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 118.

[496]ـــ المصدر نفسه، ص 244 .

3 - علم الصناعة: للاستعداد لقتال الكفار وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**﴾ **[الأنفال:60]**، حيث قال: "... حتى إذا لم توجد إلاّ بتعلّم الصناعة وجب ذلك، لأنّ (ما لا يتمّ الواجب إلاّ به فهو واجب)"[497] .

4- اللغة العربيّة: لأنّه لا يفهم كتاب الله إلاّ بها، وقد بيّن الشيخ ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**﴾ **[إبراهيم:4]**، حيث قال: "... ويستدلّ بهذه الآية الكريمة على أن علوم العربية الموصلة إلى تبيين كلام الله وكلام رسوله، أمور مطلوبة، محبوبة لله، لأنه لا يتمّ معرفة ما أنزل الله على رسوله إلاّ بها"[498] .

5- علم التعبير أو الرأى: والتّحذير من التّكلّم فيه بغير علم لأنّه نوع من الفتوى لقول يوسف -عليه السلام- للمستفتيين: ﴿**قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ**﴾ **[يوسف:41]**، حيث قال: "... ومنها: أنّ فيها أصلا لتعبير الرؤيا، وإن علم التعبير من العلوم المهمّة التي يعطيها الله من يشاء من عباده"[499] .

6 - علم الأنساب: وذلك في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى**﴾ **[الحجرات:13]**، حيث قال: "... وفي هذه الآية دليل على أن معرفة الأنساب مطلوبة مشروعة، لأن الله جعلهم شعوبا وقبائل لأجل ذلك"[500] .

ب - **بين الشيخ أنّ القرآن أشار إلى كليّات وعمومات وأصول في بعض العلوم:** مثل ما يلي:

1- علم الطّب: حيث قال: "اعلم أنّ قواعد الطّبّ تدور على ثلاث قواعد: حفظ الصحة عن المؤذيات، والاستفراغ منها، والحمية عنها، وقد نبّه تعالى عليها في كتابه العزيز... "[501] .

---

[497]ـــ المصدر نفسه، ص 302 .

[498]ـــ المصدر نفسه، ص 396 .

[499]ـــ المصدر نفسه، ص 384 .

[500]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 767 .

[501]ـــ المصدر نفسه، ص 167 .

2- علم الرؤيا: حيث قال -بعد أن ساق فوائد من قصّة يوسف عليه السلام- : "ومنها أنّ فيها أصلا لتعبير الرّؤيا، وأنّ علم التّعبير من العلوم المهمّة التي يعطيها الله من يشاء من عبـــاده، وأنّ أغلب ما تبنى عليه، المناسبة والمشابهة في الاسم والصّفة... "[502] .

ج- **التحذير من العلوم التي تضرّ النّاس في دينهم أو دنياهم، كالفلسفة والمنطق اليوناني... إلخ**، وذلك لّما فسّر قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِـــنْ الْعِلْـــمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ** ﴾ **[غافر:83]**، حيث قال: "ومن المعلوم أنّ فرحهم به يدلّ على شدّة رضاهم به وتمسّكهم، ومعاداة الحقّ الذي جاءت به الرسل، وجعل باطلهم حقـــا، وهذا عام لجميع العلوم التي نوقض بها ما جاءت به الرسل، ومن أحقّها بالدّخول في هذا: علوم الفلسفة، والمنطق اليوناني الذي ردّت به كثير من آيات القرآن ونقصت قـــدره في القلـــوب، وجعلت أدلّته اليقينيّة القاطعة أدلّة لفظية لا تفيد شيئا من اليقين، ويقدّم عليها عقـــول أهـــل الشبهة والباطل، وهذا أعظم الإلحاد في آيات الله والمعارضة والمناقضة، فالله المستعان"[503] .

ثالثا : فواتح السور[504]:

وهذا النوع من أهم أنواع علوم القرآن لأنّ بداية السّورة، هي أوّل شيء يقرع الأذن، فـــإذا كانت البداية راقية جذّابة، شدّت الأذن إلى معرفة ما بعدها، وأمّا إذا كانت البداية غير جيدة، فإنّ الأذن لا تشدّ إلى سماع ما بعد المقدّمة، ومن المعلوم أنّ كلام الله تعالى في أعلـــى مراتـــب البلاغة والفصاحة لذلك كانت فواتحه كلّها كذلك . والذي يهمّنا من هذه الأنواع هو حروف الهجاء التي افتتحت بها تسع وعشرون سورة من سور القرآن، فهذا النوع من أنواع الفواتـــح، ذكر فيه الشيخ بن سعدي قولا عاما، مشى عليه في جميع تفسيره و لم يخالفه قيد أنملة، حيـــث قال في بداية تفسيره لسورة البقرة: "وأمّا الحروف المقطّعة في أوائل الســـورة فالأســـلم فيهـــا السّكوت عن التعرّض لمعناها من غير مستند شرعيّ، مع الجزم بأنّ الله تعالى لم يترّلها عبثا، بـــل لحكمة لا نعلمها"[505] . وقد تتبعت السور التي تبتدئ بحروف مقطعة في تفسير الشـــيخ بـــن سعدي فوجدت بأنّ الشيخ لا يتعرض لهذه الحروف إطلاقا ولا يتكلّم عليها بل يبدأ مباشرة في

---

[502]ـــ المصدر نفسه، ص 384 .

[503]ـــ ، المصدر نفسه ص 710 .

[504]- وقد افتتح سبحانه وتعالى كتابه العزيز بعشرة أنواع من الكلام لا يخرج شيء من السور عنها الاستفتاح . انظر لمعرفـــة هذه الأنواع: البرهان في علوم القرآن، ج 1 ص 164، والإتقان في علوم القرآن، ج 2 ص 282.

[505]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 26 .

تفسير ما بعدها إلاّ في موضع واحد وهو: في سوره "طه" حيث قال: "(طه) من جملة الحروف المقطّعة المفتتح بها كثير من السور، وليست اسما للنبي ـصلى الله عليه وسلمـ "[506] ولعلّ السّبب الذي جعل الشّيخ يعلّق على هذا الموضع بالذّات هو أنّ بعض المفسّرين ذكروا أنّ (طه) من أسماء النبي ـصلى الله عليه وسلمـ ، مما جعله يردّ هذا القول .

رابعا : المكّي والمدني[507]:

لم يكلّف الشيخ بن سعدي نفسه في بيان مكيّ القرآن من مدنيّه والاستدلال على ذلك، بل كان يكتفي بذكر نوع السّورة في البداية، أهي مكية أم مدنية ؟ ثم يمرّ بدون تعليق أو استدلال على ذلك، فيقول مثلا: "تفسير سورة النحل: وهي مكية"[508]، ثم يبدأ في تفسيرها مباشرة، ويقول: "تفسير سورة النور: وهي مدنية"[509] ، ثم يبدأ في تفسيرها وقد يذكر أحيانا بأنّ في السّورة خلافا، أهي مكية أم مدنية ؟ مثل سورة: الشعراء، الفرقان، الحج، الرعد: إلا أنّه يلاحظ على الشيخ في تطرّقه لهذا النوع في تفسيره أمران:

الأول: أنّه ذكر في سورة مريم أنّها مدنيّة، وقد حكى بن الجوزي في تفسيره الإجماع على أنّها مكيّة، قال بن الجوزي: "وهي مكية بإجماعهم من غير خلاف علمناه"[510] .

الثاني: أنّه ذكر في تفسيره لسورة النّصر أنّها مكيّة، وقد حكى بن الجوزي الإجماع على أنّها مدنية حيث قال في تفسيره: "وهي مدنيّة بإجماعهم"[511] .

هذه هي أهم الملاحظات التي تلاحظ على الشيخ في ذكره لهذا النوع من مباحث علوم القرآن .

---

[506]ـ المصدر نفسه، ص 474 .

[507]- وقد اختلف العلماء في معنى مكّيّ القرآن ومدنيّه على ثلاثة أقوال هي: أحدها: أن المكي ما نزل بمكة والمدني ما نزل بالمدينة، والثاني: -وهو المشهور-: أن المكي ما نزل قبل الهجرة وإن نزل بالمدينة والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن نزل بمكة، والثالث: أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة . انظر: البرهان في علوم القرآن، ج 1ص 187.

[508]ـ المصدر نفسه، ص 410 .

[509]ـ المصدر نفسه، ص 532 .

[510]ـ زاد المسير، ج 5 ص 204 .

[511]ـ تيسير الكريم الرحمان، ص 255 .

خامسا : المناسبة بين الآيات والسور[512]:

وهذا علم شريف، لم يتكلّم فيه إلاّ الأفذاذ من العلماء، الذين فتح الله عليهم فتوحات في كتابه يدركون بها المناسبة بين آي القرآن وسوره، وقد ظهر هذا النوع في تفسير الشيخ بن سعدي في بعض المواضع، حيث كان يربط بين الآيات والسّور ويبيّن وجه المناسبة بينها، ولنضرب على ذلك أمثلة هي:

أ- الربط بين الآيات: ولنضرب على ذلك مثالين:

- مثال 1: ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2)** ﴾ **[النجم:1-2]**، حيث قال: "وأقسم بالنّجوم على صحّة ما جاء به الرّسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ من الوحي الإلهي، لأنّ في ذلك مناسبة عجيبة، فإن الله تعالى جعل النّجوم زينة للسّماء، فكذلك الوحي وآثاره زينة للأرض، فلولا العلم الموروث عن الأنبياء، لكان النّاس في ظلمة أشدّ من الليل البهيم"[513] .

- مثال 2: ما ذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿ **فَلَوْلا كَانَ مِنْ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنْ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ** ﴾ **[هود:116]**، حيث قال: "لما ذكر تعالى إهلاك الأمم المكذّبة للرّسل، وأنّ أكثرهم منحرفون، حتى أهل الكتب الإلهية، وذلك يقضي على الأديان بالذّهاب والاضمحلال، ذكر أنّه لولا أنه جعل في القرون الماضية بقايا من أهل الخير يدعون إلى الهدى، وينهون عن الفساد والردى، فحصل من نفعهم ما بقيت به الأديان، ولكنّهم قليلون جدا"[514] .

---

[512]- وهذا النوع قد أفرده الإمام البقاعي بمصنّف خاص سماه "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" بيّن فيه المناسبة بين سور القرآن وآيه، وقد ذكر في مقدمته تعريف هذا النوع وأهميته فقال: "... الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل يدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، وإذا فعلته تبين لك -إن شاء الله- وجه النظم مفصلا بين كل آية وآية في كل سورة سورة والله الهادي" . نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تأليف: برهان الدين البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، سنة 1415هـ/1995م، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 1 ص 10 .

[513]ــ المصدر نفسه، ص 783 .

[514]ــ تيسير الكريم الرحمان ، ص 367 .

ب – **الربط بين السور**: ومن أمثلة ذلك ما يلي:

– مثال 1: قال في تفسير سورة قريش –وهي بعد سورة الفيل– : "قال كثير من المفسّرين: أن الجار والجرور متعلّق بالسّورة التي قبلها، أي: فعلنا ما فعلنا بأصحاب الفيل لأجل قريش وأمنهم واستقامة مصالحهم، وانتظام رحلتهم في الشتاء لليمن، وفي الصّيف للشّام"[515] .

– مثال 2: ما ذكره في تفسير سورة المدثر، حيث قال: "تقدّم أنّ المزمّل والمدثّر بمعنى واحد، وأنّ الله أمر رسوله ـصلى الله عليه وسلمـ بالاجتهاد في عبادة الله، القاصرة والمتعدّية، فتقدم هناك الأمر له بالعبادات الفاضلة والقاصرة والصبر على أذى قومه، وأمره هنا بإعلان الدعوة والصّدع بالإنذار"[516] .

<u>الفرع الحادي عشر</u>: القيمة التفسيرية التي أضافها تفسير السعدي إلى خزانة التفسير:

من المعلوم أنّ كلّ مفسّر يريد أن يفسّر كلام الله إلا وله أهداف ومقاصد يريد تحقيقها من خلال هذا التفسير، ولكن منهم من يوفّق إلى الوصول لهذه المقاصد ومنهم من لا يوفّق في الوصول إليها، والشيخ بن سعدي –رحمه الله– نحسبه من المفسّرين الموفّقين الذين حقّقوا أهدافهم ومقاصدهم من تفسير كتاب الله، ويتبيّن هذا من خلال عرض بعض مميّزات هذا التفسير، وأثره في واقع الناس بعد طبعه، وذلك في النقاط الآتية:

1– عرض معاني القرآن الكريم بأسلوب مختصر، سهل العبارة يفهمه المبتدئ ويستفيد منه المنتهي، وهذه الميزة لا شكّ أنّها ترغّب النّاس في الإقبال على هذا التفسير باقتنائه وقراءته، لذلك فإنّنا نجد نسبة كبيرة من بيوت المسلمين اليوم تحتوي على هذا التفسير وهذا من علامات القبول له .

2– ذكر نكت عجيبة ودرر وفوائد يندر أن تجدها في غيره من التفاسير، كما هو الحال في آية المواريث حيث استنبط منها الشيخ جميع مسائل الميراث من عول، وردّ وميراث الخنثى... إلخ .

3– التّحقيق في أقوال المفسّرين وبيان الراجح منها مباشرة، بدون التّطويل في سرد الخلاف الواقع بين المفسّرين في تفسير الآية ممّا يجعل القارئ يملّ قراءة التّفسير المتصف بذلك .

4– نصره مذهب أهل السنة والجماعة والرد على المخالفين من الفرق الإسلامية أو غيرهم من الملحدين وأهل الكتاب... إلخ .

---

[515] ـ المصدر نفسه، ص 894 .

[516] ـ المصدر نفسه، ص 856 .

5- الرّدّ على الطاعنين في القرآن الكريم من الفلاسفة وغيرهم وكشف شبهاتهم مثل كلامه في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً** ﴾ **[الفرقان:6]**[517] .

6- البعد عن رواية الإسرائيليات التي ابتليت بها كثير من التفاسير، رغم ما فيها من انتقاص أو طعن في الأنبياء والصالحين .

7- التطبيق الكثير لقواعد التفسير، مما يدرّب طالب العلم على كيفيّة تطبيقها في كتاب الله، لذلك يمكن القول إنّ تفسير الشيخ بن سعدي، يعدّ أرضيّة خصبة لتدريب طالب العلم على تطبيق قواعد التفسير على الآيات القرآنية .

8- الاستدلال ببعض الآيات على المكتشفات الحديثة، وبيان أنّ القرآن لا يعارض هذه المكتشفات، ومثال ذلك: إقراره لكروية الأرض وأن ذلك لا يتنافى مع إخبار القرآن أنّها مسّطحة وبيان وجه الجمع بين هذين الأمرين، وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ** ﴾ **[الغاشية:20]**[518] .

9- الحثّ على تعلّم العلوم الدنيوية من زراعة وصناعة وعلم الطب والهندسة والنّجوم... إلخ، وقد سبق تفصيل هذا الأمر في مبحث العلوم المستنبطة من القرآن - فارجع إليه- .

10- احتواء هذا التفسير على كثير من المواعظ المؤثرة التي ترجع الإنسان إلى الحقّ وتبعده عمّا لا يرضي الله تبارك وتعالى[519] .

هذه بعض القيم العلميّة لتفسير الشيخ بن سعدي، يعرفها النّاظر من خلال قراءته لهذا التّفسير القيّم، ولذلك قد نصح بقراءة هذا التفسير كثير من العلماء وذكروا أنّه ينبغي أن يكون أوّل تفسير يقرؤه طالب العلم كمرحلة أولى، ثمّ يغوص في كتب التفاسير الأخرى المختصرة والمطوّلة

هذه هي النقاط التي أردت أن أتحدّث عليها في التعريف بتفسير الشيخ بن سعدي، وبيان منهجه فيه وبيان القيمة العلمية التي أضافها الكتاب إلى مكتبة التفسير .

---

[517]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 549 .

[518]ـــ المصدر نفسه، ص 882 .

[519]ـــ وانظر: تيسير الكريم الرحمان، ص 444 وص 449 وص 451 وغيرها.

المبحث الثاني

دراسة تطبيقية للقواعد التي ذكرها الشيخ في كتابه " القواعد الحسان "

وسأذكر في هذا المبحث بعض المواضع التي تدل على تطبيق الشيخ للقواعد التي نظّر لها في كتابه "القواعد الحسان"، وذلك من خلال تفسيره فقط دون غيره من كتب الشيخ .

والمنهج الذي اتّبعته في ذكر هذه التطبيقات هو:

1- أنّني جعلت كلّ قاعدة في مطلب خاص بها .

2- أنّني لا أستقصي جميع المواضع التي طبّق فيها الشيخ القاعدة، بل أكتفي بذكر بعض المواضع فقط لأن استقصاء كلّ المواضع يطول جدّا .

3- إذا كان الشيخ قد طبّق القاعدة بطرق وكيفيّات مختلفة، فإنني أصنّف القواعد التي أذكرها على حسب هذه الطرق، وإلاّ فإنّني أسرد بعض المواضع سردا دون تصنيفها، إلاّ في بعض المواضع فإنّه وإن طبّق القاعدة بطرق مختلفة إلاّ أنني لم أصنّفها على حسب طرق تطبيقها وذلك لقلّتها .

4- إذا كانت القاعدة تحتوي على فروع، فإنّني أذكر بعض الأمثلة لتطبيقات الشيخ على كلّ فرع من تلك الفروع .

5- بعد ذكر تطبيقات الشيخ للقاعدة في متن الرسالة، أشير إلى مواضع أخرى في الهامش، وذلك بذكر طرف من الآية التي طبّق فيها الشيخ القاعدة والصفحة،لأن ذكر جميع التطبيقات في متن الرسالة يطول .

6- إذا ذكرت ترجيح الشيخ بن سعدي في آية اختلف فيها المفسّرون، فإنني أشير في الهامش إلى تفسير الآية في كتاب زاد المسير لابن الجوزي – غالبا- لأنه يستوفي الأقوال في الآية ويختصرها .

وقد جاءت هذه التطبيقات كالآتي:

المطلب الأول :

قاعدة : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:

سبق بيان معنى هذه القاعدة وبيان أدلّتها وغير ذلك مما يتعلق بها، وهذا كلّه من الناحية النظرية، وأمّا عن تطبيقات الشيخ بن سعدي لها، فالذي يقرأ تفسيره يلاحظ أنّه لم يكثر من التصريح بذكر أسباب نزول الآيات، وذلك لأنه كان يركّز على بيان المعنى الإجمالي للآيات، ولكنّه مع ذلك لم يهمل أسباب النّزول بالكلّيّة، بل ذكر بعضها وذكر أنّ معاني هذه الآيات تتعدّى لما شابهها من الحوادث إذا كان اللفظ عاما، وبعد التّتبع للآيات التي طبّق عليها الشيخ قاعدة "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" وجدتّ أنّ تطبيقاته لها كانت بطريقتين:

الأولى: أنّه كان يصرّح بالقاعدة فيذكر أنّ هذه الآية لها سبب نزول، ثم يذكر شمول لفظ الآية لما شابهها من الحوادث، ويذكر هذه القاعدة التي اعتمد عليها في استنباط ذلك الحكم .

الثانية: أنّه لا يصرّح بالقاعدة بل يعمم المعنى مباشرة في درج كلامه على معنى الآية وتفسيرها .

وبما أنّ الشيخ بن سعدي طبّق القاعدة بهاتين الطريقتين، فإنّني سأعتمد في ذكر تطبيقاته على هذا التقسيم وهو كالآتي:

الفرع الأول: التصريح بالقاعدة: ومن المواضع التي تدلّنا على ذلك مايلي :

1- عند قوله تعالى: ﴿ **أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً** ﴾ **[المدثر:77]** .

قال: "أي: أفلا تتعجّب من حالة هذا الكافر الذي جمع بين كفره بآيات الله ودعواه الكبيرة أنّه سيؤتى في الآخرة مالا وولدا، أي: أيكون من أهل الجنة ؟ هذا من أعجب الأمور، فلو كان مؤمنا بالله وادّعى هذه الدعوى سهل الأمر، وهذه الآية وإن كانت نازلة في كافر معين، فإنّها تشمل كلّ كافر زعم أنه على الحق، وأنّه من أهل الجنة"[520] . فهذا النّص كما ترى صرّح فيه الشيخ بأنّ الآية نزلت في كافر معين وهو العاص بن وائل السهمي[521] ، إلاّ أنه لم يصرّح باسمه إنّما ذكر مباشرة بأنّ معنى الآية يعمّ هذا الكافر الذي نزلت فيه الآية ويعمّ أيضا كلّ كافر زعم مثل زعمه، وهذا تصريح من الشيخ بإعمال قاعدة "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" .

---

[520]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 472 .

[521]ـــ أخرجه البخاري: ك/التفسير، ب/قوله: ﴿ **أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِئَايَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا...** ﴾ رقم (4732)، وأحمد في المسند، ج 34 ص 546، رقم (21068) كلاهما عن خباب بن الأرتّ -رضي الله عنه- .

2- عند قوله تعالى في أوّل آيات سورة الحشر: ﴿ **... يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ** ﴾ **[الحشر:2]** .

قال-بعد ذكره لسبب نزول هذه الآيات وتفسيره لها- ": (**فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ**) أي: البصائر النّافذة والعقول الكاملة، فإنّ في هذا معتبرا يعرف به صنع الله تعالى في المعاندين للحق، المتّبعين لأهوائهم الذين لم تنفعهم قوّتهم ولا حصّنتهم حصونهم، حين جاءهم أمر الله، ووصل إليهم النّكال بذنوبهم، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فإنّ هذه الآية تدلّ على الأمر بالاعتبار وهو اعتبار النظير بنظيره، وقياس الشيء على مثله، والتفكّر فيما تضمّنته الأحكام من المعاني والحكم التي هي محلّ العقل والفكرة، وبذلك يزداد العقل وتتنوّر البصيرة، ويزداد الإيمان ويحصل الفهم الحقيقيّ"[522] . فهذا النص ذكره الشيخ بن سعدي بعد ذكر سبب نزول هذه الآيات من سورة الحشر، وأنّها نزلت في بني النضير لمّا غدروا بالنبيّ ـصلى الله عليه وسلمـ وخانوا العهد[523] ، وقد سرد الشيخ قصة بني النظير كلّها وفسّر معاني تلك الآيات، ثمّ ذكر بأنّ الأمر بالاعتبار في هذه الآية ليس خاصّا بأهل ذلك الزمن بل هو موجّه لكلّ صاحب عقل، وهذا العموم الذي ذكره الشيخ إنما أخذه من "قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" التي صرح بذكرها كما هو واضح في النص السابق .

3- عند قوله تعالى: ﴿ **فَلا تُطِعْ الْمُكَذِّبِينَ (8) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (9) وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ (10) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (11) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (13) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (14) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (15)** ﴾ **[المدثر:8-15]** .

قال بعد تفسير الآيات: "وهذه الآيات وإن كانت نزلت في بعض المشركين كالوليد بن المغيرة أو غيره لقوله عنه (**أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**) أي: لأجل كثرة ماله وولده طغى واستكبر عن الحقّ ودفعه حين جاءه وجعله من جملة أساطير الأولين التي يمكن صدقها وكذبها، فإنّها عامة في كلّ من اتّصف بهذا الوصف، لأنّ القرآن نزل لهداية الخلق كلّهم، ويدخل فيه أوّل الأمّة وآخرهم، وربّما نزل بعض الآيات في سبب أو شخص من الأشخاص لتتّضح به القاعدة العامة، ويعرف به أمثال الجزئيات الداخلة في القضايا العامّة"[524] .

---

[522]ـ تيسير الكريم الرحمان، ص 813 .

[523]ـ رواه البخاري من حديث بن عباس-رضي الله عنهما- ، ك/ التفسير، بابٌ ، رقم الحديث (4882) .

[524]ـ تيسير الكريم الرحمان، ص 841 .

ففي هذا النص ذكر الشيخ أنّ هذه الآيات نزلت في الوليد بن المغيرة أو غيره خصوصا[525] ، ومع ذلك فإنّ معناها لا يختصّ به بل يشمله ويشمل كلّ من اتّصف، بوصفه وقد صرح الشيخ بالقاعدة كما هو واضح في النص المذكور .

نكتفي بذكر هذه النصوص التي بيّنت بوضوح تطبيق الشيخ لهذه القاعدة بطريقة التصريح بها.

الفرع الثاني: عدم التصريح بالقاعدة: ومن المواضع التي تدلّنا على ذلك مايلي:

1- عند قوله تعالى: ﴿**لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنْ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ **[آل عمران:88]** .

قال: "ويدخل في هذه الآية الكريمة أهل الكتاب الذين فرحوا بما عندهم من العلم و لم ينقادوا للرّسول وزعموا أنّهم هم المحقّون في حالهم ومقالهم، وكذلك كلّ من ابتدع بدعة قوليّة أو فعليّة وفرح بها ودعى إليها، وزعم أنّه محقّ وغيره مبطل كما هو الواقع من أهل البدع"[526] .

فهذه الآية نزلت في اليهود الذين دعاهم النبيّ ـصلى الله عليه وسلمـ ليسألهم عن شيء فكتموه إيّاه وأخبروه بغيره ثم فرحوا بفعلهم هذا واستحمدوه[527] ، لكنّ الشيخ بن سعدي لم يذكر هذا السبب بل ذكر أن هذه الآية تعمّ أهل الكتاب وغيرهم ممّن شابههم – مباشرة – لمّا فسّر معاني هذه الآية و لم يصرّح بالقاعدة التي اعتمد عليها في استنباطه لهذا الحكم .

2- عند قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ **[المائدة: 93]** .

---

[525]ـ لباب النقول في أسباب النزول، تأليف: جلال الدين السيوطي (ت:911هـ)، ط 3، سنة 1984م، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ص 306، والمحرر الوجيز لابن عطية، ج 5 ص 347، وفتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: ابن حجر العسقلاني (ت:852هـ)، ط 3، سنة 1421هـ/2000هـ، مكتبة دار السلام الرياض ومكتبة دار الفيحاء دمشق، ج 4 ص 845 .

[526]ـ تيسير الكريم الرحمان، ص 143 .

[527]ـ رواه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه-، ك/التفسير، ب/﴿**لاتَحْسِبَنَّ الذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوْا**﴾، رقم (4567) وذكره الواحدي (ت:468هـ) في أسباب النزول، ط 2، سنة 1411هـ/1991م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 78-79 .

قال: "لّما نزل تحريم الخمر والنّهي الأكيد والشّديد فيه تمنّى أناس من المؤمنين أن يعلموا حـــال إخوانهم الذين ماتوا على الإسلام قبل تحريم الخمر وهم يشربونها فأنزل الله هذه الآية وأخبر أنه **(لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ)** أي: حرج وإثم **(فِيمَا طَعِمُوا)** من الخمر والميسر قبـــل تحريمهـــا... ويدخل في هذه الآية الكريمة من طعم المحرّم أو فعل غيره بعد التحريم ثم اعترف بذنبه وتاب إلى الله، واتّقى وآمن وعمل صالحا، فإنّ الله يغفر له ويرفع عنه الإثم في ذلك"[528] . فهذا النّصّ ذكر فيه الشيخ سبب نزول هذه الآية[529] وذكر معناها، ثم بين أنّها تعمّ كلّ من طعم المحرّم أو فعله بعد تحريمه، و لم يصرّح بالقاعدة التي اعتمد عليها في استنباط هذا الحكم .

3- عند قوله: ﴿ **ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً (11) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً (12) وَبَنِينَ شُهُوداً (13) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً (14) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (15) كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً (16) سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً (17)** ﴾ **[المدثر:11-17]** .

قال: "هذه الآيات نزلت في الوليد بن المغيرة، معاند الحق، والمبارز لله ورسوله بالمحاربة والمشاقّة فذمّه الله ذمّا لم يذمّه غيره، وهذا جزاء كلّ من عاند الحقّ ونبذه أنّ له الخزي في الدّنيا ولعذاب الآخرة أخزى"[530]. فهذا النص ذكر فيه الشيخ سبب نزول الآية[531] ثم ذكر عموم الجزاء لهذا الكافر وغيره ممّن فعل أفعاله وحارب الله ورسوله، و لم يصرّح بالقاعدة التي اعتمـــد عليهـــا في أخذه بهذا العموم، ولا شكّ أنّ الشّيخ اعتمد في ذلك على قاعدة "العـــبرة بعمـــوم اللفـــظ لا بخصوص السبب" لكنّه لم يصرّح بها[532] .

---

[528]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 222 .

[529]ـــ رواه الترمذي عن البراء بن عازب-رضي الله عنه-، ك/تفسير القرآن، ب/ومن سورة المائدة، رقم (3051) وقال: هذا حديث حسن صحيح، والواحدي في أسباب النزول، ص 120. وقال الألباني عن الحديث: "صحيح الإسناد" . انظر: صحيح الترمذي، ج 7 ص 51، رقم (3051) .

[530]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 857 .

[531]ـــ أسباب النزول، ص 251، ولباب النقول، ص 238. وذكره الألباني (ت:1420هـــ) في صحيح السيرة النبوية، ط 1، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، ص 159.وهذا يدلّ على تصحيحه له لأنه اشترط صحّة الروايات التي يذكرها في الكتاب.

[532]ـــ وانظر للمزيد من تطبيقات الشيخ لهذه القاعدة: تيسير الكريم الرحمان، في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ...** ﴾ ص 208، وقوله تعالى: ﴿ **وَلاَ يَأْتَلِ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ...** ﴾ ص 536، وقوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾ ص 506، وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الذِينَ يَكْتُمُونَ مَاأَنْزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ...** ﴾ ص 62،

المطلب الثاني :

قاعدة : الألف واللام الداخلة على الأوصاف وأسماء الأجناس تفيد الاستغراق بحسب ما دخلت عليه .

سبق بيان معنى هذه القاعدة، وبيان خلاف العلماء فيها وأنّ القول الراجح هو الاعتبار بها، وذكر أدلتهم على ذلك، وهذا كلّه من الناحية النظرية لها، وأمّا عن تطبيقات الشيخ بن سعدي لها، فالقاعدة كما هو واضح تتكون من شقين، الأوّل: دخول الألف واللام على الأوصاف، والآخر: دخول الألف واللام على أسماء الأجناس، ولذلك فإنّني سأعتمد على هذا التقسيم في ذكر تطبيقاته لها وهو كالآتي:

الفرع الأول: دخول الألف واللام على الأوصاف: ومن المواضع التي تدلّنا على ذلك مايلي:

1- عند قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾ **[الأنفال:2]** .

قال: "... ولما كان الإيمان قسمين: إيمانا كاملا يترتّب عليه المدح والثناء والفوز التّام وإيمانا دون ذلك ذكر الإيمان الكامل فقال (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ**) الألف واللام للاستغراق لشرائع الإيمان"[533] . فهذا النص فيه تصريح من الشيخ أنّ الألف واللاّم لّما دخلت على وصف الإيمان استغرقت جميع شرائعه من أعمال ظاهرة وباطنة .

2- عند قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ** ﴾ **[يونس:68]** .

قال: "أي: الغنى منحصر فيه وأنواع الغنى مستغرقة فيه فهو الغنيّ الذي له الغنى التامّ بكلّ وجه واعتبار من جميع الوجوه، فإذا كان غنيّا من كلّ وجه فلأيّ شيء يتّخذ ولدا ؟ ألحاجة منه إلى الولد، فهذا مناف لغناه فلا يتّخذ أحد ولدا إلاّ لنقص في غناه"[534] . فوصف الغنى في الآية دخلت عليه "أل الاستغراقيّة" فاستغرق جميع أنواع الغنى، فهو غنيّ عن كلّ شيء ولذلك لم يصحّ عقلا أن يتّخذ ولدا .

وقوله تعالى: ﴿ **قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ** ﴾ ص 107 .

[533]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 292 .

[534]ـــ المصدر نفسه، ص 346 .

3- عند قوله تعالى: ﴿ **وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنْ الصَّابِرِينَ (85) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنْ الصَّالِحِينَ (86)** ﴾ **[الأنبياء:85-86]** .

قال: "والصّبر هو حبس النّفس ومنعها ممّا تميل بطبعها إليه، وهذا يشمل أنواع الصبر الثلاثة: الصبر على طاعة الله، والصبر على معصية الله، والصبر على أقدار الله المؤلمة، فلا يستحقّ العبد اسم الصبر التّامّ حتّى يوفي هذه الثلاثة حقّها (**كُلٌّ مِنْ الصَّابِرِينَ**) ووصفهم أيضا بالصلاح وهو يشمل صلاح القلوب بمعرفة الله ومحبته والإنابة إليه في كلّ وقت وصلاح اللّسان بأن يكون رطبًا من ذكر الله، وصلاح الجوارح باشتغالها بطاعة الله وكفّها عن المعاصي فصبرهم وصلاحهم أدخلهم الله برحمته وجعلهم مع إخوانهم المرسلين... "[535] . فهذا النّصّ ذكر فيه الشيخ أنّ الأنبياء المذكورين في الآية أثنى عليهم الله تعالى لأنّهم استغرقوا أوصاف الصّبر والصلاح بجميع أنواعها، وهذا المعنى إنما أخذه الشيخ من اقتران هذا الوصف بـ "أل الاستغراقيّة" -والله أعلم- .

4- عند قوله تعالى: ﴿ **وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ **[لقمان:9]** .

قال: "كامل العزة كامل الحكمة، من عزّته وحكمته وفّق من وفّق وخذل من خذل، بحسب ما اقتضاه علمه فيهم وحكمته"[536] . فالله عزّ وجلّ متّصف بجميع أوصاف العزّة والحكمة بدليل اقتران هذين الوصفين بالألف واللاّم التي تدلّ على الاستغراق، كما بيّن ذلك الشيخ بن سعدي دون أن يصرّح بالقاعدة .

5- عند قوله تعالى: ﴿ **وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ** ﴾ **[إبراهيم:42]** .

قال: "والظلم ههنا يشمل الظلم بين العبد وربه، وظلمه لعباد الله"[537] . فهذا النص ذكر فيه الشيخ بن سعدي أنّ الظّلم المذكور في الآية يشمل جميع أنواع الظّلم وهذا المعنى إنّما استفادة الشيخ من الآية لمّا اقترن وصف الظلم بـ "أل الاستغراقية" .

---

[535]- تيسير الكريم الرحمان، ص 510 .

[536]- المصدر نفسه، ص 617 .

[537]- المصدر نفسه، ص 403 .

الفرع الثاني: دخول الألف واللاّم على أسماء الأجناس:

وهذا الفرع من القاعدة قد طبّقه الشيخ بطريقتين فأحيانا كان يصرح بأن اللّفظ "اسم جنس" يدلّ على العموم، وأحيانا لا يصرّح بل يعمّم المعنى مباشرة، ولذلك فإنّني سأعتمد على هـــذا التّقسيم وهو كالآتي:

أولا: التصريح بأن اللفظ اسم جنس يدل على العموم: ومن المواضع التي تدلّنا علـــى ذلـــك مايلي:

1- عند قوله تعالى: ﴿**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ (89) وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (90)**﴾ **[النمل:90-89]** .

قال: "(**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ**) اسم جنس يشمل كلّ حسنة قولية أو فعلية أو قلبية... (**وَمَـــنْ جَـــاءَ بِالسَّيِّئَةِ**) اسم جنس يشمل كلّ سيّئة"[538] . فهذا النّصّ صرّح فيه الشيخ أنّ لفظـــي الحســـنة والسيّئة هما من أسماء الأجناس فاشتملا على كلّ حسنة وكلّ سيّئة قوليّة أو فعليّة أو قلبيّة وذلك لّما دخلت عليهما "أل الاستغراقية" .

2- عند قوله تعالى: ﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى**﴾ **[النجم:1]** .

قال: "يقسم تعالى بالنّجم عند هويّه أي: سقوطه في الأفق في آخر الليل عند إدبار الليل وإقبال النّهار لأنّ في ذلك من آيات الله العظيمة ما أوجب أن أقسم به، والصحيح أنّ النّجـــم اســـم جنس شامل للنّجوم كلّها وأقسم بالنّجوم على صحّة ما جاء به الرسول ـصـــلى الله عليـــه وسلمـ من الوحي الإلهيّ لأنّ في ذلك مناسبة عجيبة، فإنّ الله تعالى جعل النّجوم زينة للسّماء فكذلك الوحي وآثاره زينة للأرض فلولا العلم الموروث عن الأنبياء لكان النّاس في ظلمه الليل البهيم"[539] . فالنّجم في هذه الآية اختلف فيه العلماء على خمسة أقوال[540] ، لكنّ الشيخ بـــن سعدي رجّح أنّه اسم جنس يشمل جميع النّجوم وذلك اعتمادا على هذه القاعدة التي صرح بها في النص السابق كما هو واضح .

3- عند قوله تعالى: ﴿**رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً**﴾ **[المزمل:9]** .

---

[538]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 581 .

[539]ـــ المصدر نفسه، ص 783 .

[540]ـــ زاد المسير، ج 8 ص 62-63 .

قال: "وهذا اسم جنس يشمل المشارق والمغارب كلّها، فهو تعالى ربّ المشارق والمغارب وما يكون فيها من الأنوار وما هي مصلحة له من العالم العلويّ والسفليّ فهو ربّ كلّ شيء وخالقه ومدبّره"[541]. فهذه الآية ممّا استشكله بعض الناس لأنّ لفظ المشارق والمغارب جاء بصيغة المفرد في هذه الآية وجاء بصيغة الجمع في آيات أخرى كقوله تعالى: ﴿**فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ**﴾ **[المعارج:40]**، ولكن بتطبيق هذه القاعدة زال الإشكال المتوهّم لأنّ المعنى يصير: جنس المشارق وجنس المغارب كما تراه صريحا في النص السابق .

<u>ثانيا</u>: عدم التصريح بأنّ اللفظ اسم جنس بل يعمم المعنى مباشرة: ومن المواضع التي تدلّنا على ذلك مايلي:

1- عند قوله تعالى: ﴿**وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ**﴾ **[الرعد:20]** .

قال: "أي: العهد الذي عاهدوا عليه الله فدخل في ذلك جميع المواثيق والعهود والإيمان والنّذور التي يعقدها العباد فلا يكون العبد من أولي الألباب الذين لهم الثواب العظيم إلاّ بأدائها كاملة وعدم نقضها وبخسها"[542] . فهذا النّص عمّم فيه الشيخ بن سعدي كلمة "الميثاق" حيث جعلها تشمل جميع المواثيق، لأنّها اسم جنس حلّي بالألف واللّام .

2- عند قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ**﴾ **[الفرقان:72]** .

قال: "أي: لا يحضرون الزّور أي: القول والفعل المحرّم فيجتنبون جميع المجالس المشتملة على الأقوال المحرّمة أو الأفعال المحرّمة، كالخوض في آيات الله والجدال الباطل والغيبة والنّميمة والسبّ والقذف والاستهزاء والغناء المحرّم وشرب الخمر وفرش الحرير والصّور ونحو ذلك"[543]. فلفظ الزّور في الآية اختلف فيه المفسرون على ثمانية أقوال فقيل هو: الغناء وقيل هو: الكذب وقيل هو: الشرك وقيل هو: شهادة الزور... إلخ[544] ، والشيخ بن سعدي جعل لفظ الزور في الآية يشتمل على كلّ هذه المذكورات وذلك لأنه "اسم جنس" وقد دخلت عليه "أل" فأفاد جميع أنواع الزّور لكنّ الشيخ لم يصرّح بالقاعدة التي اعتمد عليها في استنباط هذا الحكم .

3- عند قوله تعالى: ﴿**وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ**﴾ **[الرحمان:7]** .

---

[541]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 879 .

[542]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 329 .

[543]ـــ المصدر نفسه، ص 558 .

[544]ـــ زاد المسير، ج 6 ص 109 .

قال: "أي: العدل بين العباد في الأقوال والأفعال وليس المراد به الميزان المعروف وحده بل هـــو كما ذكرنا يدخل فيه الميزان المعروف والمكيال الذي تكال به الأشياء فالمقادير والمساحات التي تضبط بها المجهولات والحقائق التي يفصل بها بين المخلوقات ويقام بها العدل بينهم"[545] . فلفظ الميزان في الآية اختلف فيه العلماء إلى ثلاثة أقوال، فقيل: هو العدل، وقيل هو الميزان المعروف، وقيل هو القرآن[546] ، وقد رجّح الشيخ بن سعدي أنّ معناه العدل ليشـــمل جميـــع الأمـــور المذكورة وذلك اعتمادا على أنّ هذا اللفظ اسم جنس فيشمل الميزان المعروف وغيره ممّا يعطى به لكلّ ذي حقّ حقّه، وقد اعتمد الشيخ في هذا الحكم على القاعدة السّابقة لكنّه لم يصـــرح بها[547] .

---

[545]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 792 .

[546]ـــ زاد المسير، ج 8 ص 107 .

[547]ـــ وانظر للمزيد من تطبيقات الشيخ للقاعدة: تيسير الكريم الرحمان، في قوله تعالى: ﴿ **أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الحَجَرَ** ﴾ ص 283، وقوله تعالى: ﴿ **وَأَحَلَّ اللهُ البَيْعَ** ﴾ ص 100، وقوله تعالى: ﴿ **وَبَشِّرِ المُحسِنِينَ** ﴾ ص 511، وقوله تعالى: ﴿ **وَاسْتعينوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ** ﴾ ص 37، وقوله تعالى: ﴿ **فَإِنَّ مَعَ العُسْرِ يَسْرًا إِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا** ﴾ ص 888 .

المطلب الثالث :

قاعدة : إذا وقعت النكرة في سياق النّفي أو النّهي أو الشّرط أو الاستفهام دلّت على العموم .

سبق بيان معنى هذه القاعدة بجميع فروعها الأربعة بالإضافة إلى الكلام على بعض المسائل المتعلقة بها وهذا من الناحية النظرية لها، وأمّا عن الناحية التطبيقية للقاعدة عند الشيخ بن سعدي فقد طبّقها الشيخ في تفسيره بجميع فروعها الأربعة، والأمثلة الآتية تدلّ على ذلك:

الفرع الأول: النكرة في سياق النفي : ومن المواضع التي تدلّنا على ذلك مايلي:

1- عند قوله تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً** ﴾ **[البقرة:48]** .

قال: "(**لا تَجْزِي**) أي لا تغني (**نَفْسٌ**) ولو كانت من النّفس الكريمة كالأنبياء والصالحين (**عَنْ نَفْسٍ**) ولو كانت من العشيرة الأقربين (**شَيْئاً**) لا كبيرا ولا صغيرا"[548] . ففي هذه الآية جاءت ثلاث نكرات هي كلمة "نَفْسٌ" وكلمة "نَفْسٍ" وكلمة "شَيْئاً" وكلّها وقعت في سياق النّفي فأفاد ذلك العموم وصار معنى الآية يشمل جميع ما يدخل في تلك المذكورات من أفراد، كما يدلّ على ذلك كلامه .

2- عند قوله تعالى: ﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِنْ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئاً** ﴾ **[النحل:73]** .

قال: "يخبر تعالى عن جهل المشركين وظلمهم وأنّهم يعبدون من دونه آلهة اتخذوها شركاء، والحال أنّهم لا يملكون لهم رزقا من السّموات والأرض فلا يتزلون مطرا ولا رزقا ولا ينبتون من نبات الأرض شيئا، ولا يملكون مثقال ذرّة في السماوات والأرض ولا يستطعون ولو أرادوا"[549] . فكلمتا"رِزْقا" و "شَيْئاً" وردتا نكرة في الآية وقد سبقهما نفي "الملك" عن المعبودات من دون الله تعالى، فأفاد ذلك نفي جميع أنواع الملك عنهم من صغير وكبير كما هو موضّح في نص الشيخ .

3- عند قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ** ﴾ **[فاطر:13]** .

---

[548]ـ تيسير الكريم الرحمان، ص 37 .

[549]ـ المصدر نفسه، ص 419 .

قال: "أي: لا يملكون شيئا لا قليلا ولا كثيرا حتى ولا قطمير الذي هو أحقر الأشياء وهذا من تنصيص النفي وعمومه، فكيف يدعون وهم غير مالكين شيئا من ملك السماوات والأرض"[550] . فهذا النص صرّح فيه الشيخ بن سعدي أنّ الآية ورد فيها نفي وهو قوله "مَا يَمْلِكُونَ" ونكرة وهي قوله "قِطْمِيرٍ" فكان معناها نفي جميع أنواع الملك الحقيقي عن المعبودات التي تعبد من دون الله .

<u>الفرع الثاني</u>: النكرة في سياق النهي: ومن المواضع التي تدلّنا على ذلك مايلي:

1- عند قوله تعالى: ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً**﴾ **[النساء:36]** .

قال: "يأمر تعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له... وينهى عن الشرك به شيئا، لا شركا أصغر ولا أكبر لا ملكا ولا نبيّا ولا وليّا ولا غيرهم من المخلوقين الذين لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا"[551] . فقوله تعالى "شَيْئاً" نكرة وقد سبقها نهي في قوله "وَلا تُشْرِكُوا" فأفادت النكرة العموم، واعتمادا من الشيخ على هذه القاعدة ذكر بأنّ الله تعالى نهى عن عبادة جميع المخلوقين ولو عظم شأنهم كالأنبياء والملائكة وغيرهم من باب أولى .

2- عند قوله تعالى: ﴿**لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ**﴾ **[الإسراء:22]** .

قال: "أي: لا تعتقد أنّ أحدا من المخلوقين يستحقّ شيئا من العبادة ولا تشرك بالله أحداً منهم فإن ذلك داع للذّمّ والخذلان"[552] . فنفي الشيخ لاستحقاق العبادة عن أيّ مخلوق كان، يدلّ على تطبيقه للقاعدة لأنّ قوله تعالى "إِلَهاً" نكرة وقد سبقها نهي في قوله "لا تَجْعَلْ" .

3- عند قوله تعالى: ﴿**فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنْ الْمُعَذَّبِينَ**﴾ **[الشعراء:213]** .

قال: "ينهى تعالى رسوله أصلا وأمّته أسوة في ذلك عن دعاء غير الله، من جميع المخلوقين وأنّ ذلك موجب للعذاب الدّائم"[553] . فقول الشيخ"من جميع المخلوقين" يدلّ على تعميمه للمعنى الذي اشتمل عليه لفظ "إِلَهاً" لأنّه نكرة وقد سبقه نهي فأفاد العموم، وهذا كلّه اعتماد من الشيخ على هذه القاعدة .

---

[550]ـــ المصدر نفسه، ص 654 .

[551]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 159 .

[552]ـــ المصدر نفسه، ص 430 .

[553]ـــ المصدر نفسه، ص 570 .

الفرع الثالث: النكرة في سياق الشرط : ومن المواضع التي تدلّنا على ذلك مايلي:

1- عند قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَنْ يَصَّدَّقُوا** ﴾ **[النساء:92]** .

قال: "... سواء كان القاتل ذكرا أو أنثى حرا أو عبدا صغيرا أو كبيرا غافلا أو مجنونا مسلما أو كافرا... وسواء كان المقتول ذكرا أو أنثى صغيرا أو كبير كما يفيده التنكير في سياق الشرط "[554] .

فهذا النّص صرّح فيه الشيخ بن سعدي أنّ لفظ "مُؤْمِناً" نكرة جاءت في سياق الشرط وذلك في قوله "وَمَنْ قَتَلَ" فعمّت كلّ مؤمن صغير أو كبيرا .

2- عند قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً** ﴾ **[الشورى:23]** .

قال: "(**وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً**) من صلاة أو صوم أو حج أو إحسان إلى الخلق (**نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً**) بأن يشرح الله صدره وييسّر أمره، ويكون سببا للتّوفيق لعمل آخر ويزداد بها عمل المؤمن، ويرتفع عند خلقه ويحصل له الثواب والآجل"[555] . ففي هذه الآية جاءت كلمة "حَسَنَةً" نكرة وقد سبقها شرط وهو قوله "وَمَنْ يَقْتَرِفْ" فجعل الشيخ كلمة حسنة تشمل على كلّ أفرادها من صلاة وصيام وحجّ وهذا بتطبيق قاعدة "النّكرة في سياق الشّرط تعمّ" .

3- عند قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ **[يس:82]** .

قال: "فإنّه تعالى الخلاّق الذي جمع المخلوقات متقدمها ومتأخّرها صغيرها وكبيرها كلّها أثر من آثار خلقه وقدرته، وأنّه لا يستعصي عليه مخلوق أراد خلقه فإعادته للأموات فرد من أفراد آثار خلقه، ولهذا قال (**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً**) نكرة في سياق الشرط فتعمّ كلّ شيء"[556] . فهذا النص صرّح فيه الشيخ ابن سعدي بالقاعدة وعمم لفظ شيئا على جميع المخلوقات لأنّه سبقها شرط .

الفرع الرابع: النكرة في سياق الاستفهام: ومن المواضع التي تدلّنا على ذلك مايلي:

1- عند قوله تعالى: ﴿ **أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ** ﴾ **[يوسف:39]** .

---

[554]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 173.

[555]ـــ المصدر نفسه، ص 724 .

[556]ـــ المصدر نفسه، ص 667 .

قال: "أي: أأرباب عاجزة ضعيفة لا تنفع ولا تضرّ ولا تعطي ولا تمنع وهي متفرّقة ما بين أشجار وأحجار وملائكة وأموات وغير ذلك من أنواع المعبودات التي يتّخذها المشركون، أتلك (**خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ**) الذي له صفات الكمال"[557] . ففي هذه الآية جاءت كلمة "أَأَرْبَابٌ" نكرة وقد سبقتها همزة استفهام فجعل الشيخ كلمة أرباب تعمّ جميع المعبودات التي تعبد من دون الله تطبيقا منه للقاعدة السابقة .

2- عند قوله تعالى: ﴿ **هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً** ﴾ **[مريم:65]** .

قال: "أي: هل تعلم لله مساميا ومشابها ومماثلا من المخلوقين، وهذا استفهام بمعنى النّفي، المعلوم بالعقل أي: لا تعلم له مساميا ولا مشابها لأنّه الرّبّ وغيره مربوب، الخالق وغيره مخلوق، الغنيّ عن جميع الوجود، وغيره ناقص ليس فيه من الكمال إلا ما أعطاه الله تعالى"[558] . فلفظ "سَمِيّاً" نكرة وقد سبقه استفهام بـ "هَلْ" فصار لفظ سميا يعمّ كلّ ما ادّعيَ أنّه مشابه ومماثل لله تعالى وهذا واضح في كلام الشيخ وهو تطبيق منه للقاعدة السابقة[559] .

---

[557]ـ المصدر نفسه، ص 374 .

[558]ـ تيسير الكريم الرحمان، ص 471 .

[559]ـ وانظر للاستزادة من تطبيقات الشيخ لهذه القاعدة: تيسير الكريم الرحمان، في قوله تعالى: ﴿ **بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً** ﴾ ص 42، وقوله تعالى: ﴿ **وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً** ﴾ ص 163، وقوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا** ﴾ ص 788، وقوله تعالى: ﴿ **أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ** ﴾ ص 572، وقوله تعالى: ﴿ **لاَتَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِه** ﴾ ص 366، وقوله تعالى: ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ** ﴾ ص 891 .

المطلب الرابع :

قاعدة : المفرد المضاف يفيد العموم كما يفيد ذلك اسم الجمع:

سبق بيان معنى القاعدة في الفصل النظري، وبيان أقوال العلماء فيها وأدلّة القائلين بها وهذا كلّه من الناحية النظرية للقاعدة، وأما عن تطبيقات الشيخ لها فالمتتبّع لتطبيقات الشيخ لها يجد بأنّه كان يطبّقها بطريقتين: فأحيانا يعمّم المعنى ويصرّح بأن اللفظ "مفرد مضاف" لذلك أفاد العموم، وأحيانا يعمّم المعنى مباشرة بدون أن يصرّح بأنّ اللفظ "مفرد مضاف"، ولذلك فإنّني سأعتمد على هذا التّقسيم في ذكر تطبيقات الشيخ للقاعدة وذلك كالآتي:

الفرع الأول: التصريح بالقاعدة: ومن المواضع التي تدلّنا على ذلك مايلي:

1- عند قوله تعالى: ﴿**وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى**﴾ **[البقرة:125]** .

قال: "يحتمل أن يكون المراد بذلك، المقام المعروف الذي قد جعل الآن مقابل باب الكعبة، وأنّ المراد بهذا: ركعتا الطواف، يستحبّ أن تكون خلف مقام إبراهيم، وعليه جمهور المفسرين، ويحتمل أن يكون المقام "مفردا مضافا" فيعمّ جميع مقامات إبراهيم في الحج، وهي المشاعر كلّها، من الطوافّ والسّعي والوقوف بعرفة ومزدلفة، ورمي الجمار، والنحر، وغير ذلك من أفعال الحج... ولعل هذا المعنى أولى لدخول المعنى الأول فيه، واحتمال اللّفظ له"[560] . هذه الآية اختلف فيها المفسّرون، فمنهم من قال بأنّ مقام إبراهيم هو مكان صلاة ركعتي الطواف، ومنهم من جعله شاملا لجميع شعائر الحجّ[561] ، والشيخ بن سعدي رجّح القول الثاني لأنّ كلمة "مَقَامِ" أضيفت إلى "إِبْرَاهِيمَ" فأفاد ذلك اشتمالها على جميع المقامات، ولأنّ القول الأوّل داخل في القول الثاني، وهذا المعنى إنّما استفاده الشيخ بتطبيقه للقاعدة كما هو مصرح بها في النّصّ السّابق .

2- عند قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُشَاقِقْ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى**﴾ **[النساء:115]** .

قال: "(**سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ**) مفرد مضاف يشمل سائر ما المؤمنون عليه من العقائد والأعمال فإذا اتّفقوا على إيجاب شيء أو استحبابه أو تحريمه أو كراهته أو إباحته فهذا سبيلهم، فمن خالفهم

---

[560]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 51 .

[561]ـــ تفسير بن كثير، ج 1 ص 413 .

في شيء من ذلك بعد انعقاد إجماعهم عليه فقد اتّبع غير سبيل المؤمنين"[562] . فكلمة (سَـــبِيلِ) مفردة وقد أضيفت إلى المؤمنين فصارت تعمّ جميع ما أجمع عليه المؤمنون من عقائد وأعمـــال، وقد صرح الشيخ بذلك كما هو واضح في النص .

3- عند قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُـــكَ** ﴾ **[الزمر:65]** .

قال: "هذا مفرد مضاف يعمّ كلّ عمل، ففي نبوّة جميع الأنبيـــاء أنّ الشـــرك محبـــط لجميـــع الأعمال... "[563] . فقوله تعالى "عَمَلُكَ" مفرد أضيف للنبي ــصلى الله عليه وسلمــ فعمّ جميع الأعمال، وأنّه إذا خالطها شرك لم تكن مقبولة، وقد ذكر الشيخ بن سعدي هذا المعنى وذلـــك اعتمادا على قاعدة "عموم المفرد المضاف"، المصرح بها في النص السابق .

<u>الفرع الثاني</u>: عدم التصريح بالقاعدة: ومن المواضع التي تدلّنا على ذلك مايلي:

1- عند قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا** ﴾ **[إبراهيم:34]** .

قال: "(**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ**) عددا مجردا عن الشكر (**لا تُحْصُوهَا**) فضلا عن كونكم تشكرونها فإنّ نعمة الله الظّاهرة والباطنة على العباد بعدد الأنفاس واللّحظات من جميع أصناف النّعم، ممّا يعرف العباد ومما لا يعرفون، وما يدفع عنهم من النّعم فأكثر من أن تحصى"[564] .

في هذا النص بيّن الشيخ أنّ المقصود بنعمة الله في هذه الآية، هي جميع نعم الله الظاهرة والباطنة وهذا المعنى إنّما استفاده من تطبيقه لقاعدة "المفرد المضاف يعم" ولكنه لم يصرح بها بل اكتفى بتطبيقها .

2- عند قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ** ﴾ **[المؤمنون:8]** .

قال: "... وكذلك العهد يشمل العهد الذي بينهم وبين ربّهم والذي بينهم وبين العباد، وهـــي الالتزامات والعقود التي يعقدها العبد، فعليه مراعاتها والوفاء بها، ويحرم عليـــه التفريـــط فيهـــا وإهمالها"[565] . فكلمة (عَهْد) مفردة وقد أضيفت إلى المؤمنين فصارت تشمل جميع العهود سواء

---

[562]ــ تيسير الكريم الرحمان، ص 182 .

[563]ــ المصدر نفسه، ص 695 .

[564]ــ المصدر نفسه، ص 412 .

[565]ــ المصدر نفسه، ص 520 .

التي بين العبد وربّه أو التي بين العبد والعبد، وهذا المعنى قد استفاده الشيخ من القاعدة السابقة لكنّه لم يصرح بها .

3- عند قوله تعالى: ﴿ **وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ** ﴾ **[لقمان:6]** .

قال: "أي: الأحاديث الملهية للقلوب الصادّة لها عن أجلّ مطلوب، فدخل في هذا كلّ كلام محرم ولغو باطل وهذيان من الأقوال المرغّبة في الكفر والفسوق والعصيان، ومن أقوال الرادّين على الحق المجادلين بالباطل ليدحضوا به الحق، ومن غيبة ونميمة وكذب وشتم وسبّ، ومن غناء ومزامير شيطان ومن الجاريات الملهية التي لا نفع فيها في دين ولا دنيا"[566] . فهذا النّصّ بيّن فيه الشيخ بن سعدي أنّ كلمة (لَهْوَ الْحَدِيثِ) تشمل جميع أنواع اللّهو القوليّة من غناء وسب ونميمة... إلخ، وذلك اعتمادا على قاعدة "عموم المفرد المضاف" مع عدم التصريح بها، وهذا المعنى أولى وأعمّ ممّن قال بأنّ المقصود بالآية هو مجرد الغناء [567] لأنّ المعنى الذي ذكره الشيخ يشمل الغناء وغيره فهو أولى بالتّرجيح[568] .

---

[566]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 616 .

[567]ـــ انظر: تفسير بن كثير، ج 6 ص 330-331 .

[568]ـــ وانظر للمزيد من تطبيقات الشيخ للقاعدة: تيسير الكريم الرحمان، في قوله تعالى: ﴿ **لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ** ﴾ ص 339، وقوله تعالى: ﴿ **وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ** ﴾ ص 510، وقوله تعالى: ﴿ **وَالذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ** ﴾ ص 33، وقوله تعالى: ﴿ **أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ ص 393، وقوله تعالى: ﴿ **بِسْمِ اللهِ** ﴾ ص 25 .

المطلب الخامس :

قاعدة : مراعاة ما دلّ عليه اللفظ مطابقة وتضمنا ولزوما:

لقد سبق بيان معنى هذه القاعدة، وبيان أدلتها، وهذا كلّه من الناحية النظريّة، وأمّا عن تطبيقات الشيخ لها، فقد كان الشيخ يطبّقها بأوجه متعددة، كما يلي:

- أمّا بالنسبة لدلالة المطابقة فهي الأصل في جميع أنواع الدلالات لذلك طبّقها الشيخ في جميع الآيات القرآنيّة ولهذا فإنّني لا أذكرها .

- وأمّا بالنّسبة لدلالة التّضمّن واللّزوم فإنّ الشيخ بن سعدي كان أحيانا يذكر دلالة التّضمّن التّي دلّت عليها الآية وأحيانا يذكر دلالة اللّزوم وأحيانا يجمع بينهما فيذكر دلالة التضمن واللزوم في نفس الآية، ولذلك فإنّني سأعتمد في بيان تطبيقاته لهذه القاعدة على هذا التّقسيم وذلك كالآتي:

الفرع الأول: دلالة التضمن : ومن المواضع التي تدلّنا على ذلك مايلي:

1- عند قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنْ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ**﴾ **[آل عمران:23]** .

قال: "... فأخبر الله عنهم أنّهم إذا دُعوا إلى حكم الكتاب تولّى فريق منهم وهم يعرضون تولّوا بأبدانهم، وأعرضوا بقلوبهم، وهذا غاية الذمّ، وفي ضمنها التحذير لنا أن نفعل كفعلهم فيصيبنا من الذمّ والعقاب ما أصابهم، بل الواجب على كلّ أحد إذا دعي إلى كتاب الله أن يسمع ويطيع وينقاد كما قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا**﴾ **[النور:51]**"[569] . فهذا النص بيّن فيه الشيخ بن سعدي دلالة التضمن التي دلّت عليها الآية، وذلك أنّ الله ذمّ أهل الكتاب لّما رفضوا التّحاكم إلى كتاب الله فاستنبط الشيخ أنّ هذا الذمّ يتضمّن تحذيرنا من اتّباعهم في ذلك والإقتداء بهم لأنّ ذلك يؤدي إلى ذمّنا كذمّهم .

2- عند قوله تعالى: ﴿**فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ **[الأنبياء:43]** .

قال: "فسئلوا أهل العلم بذلك، الذين نزلت عليهم الزّبر والبيّنات فعلموها وفهموها... وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم، حيث أمر بسؤالهم وأنّه بذلك يخرج الجاهل من التّبعة"[570]

---

[569]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 110 .

[570]ـــ المصدر نفسه، ص 416 .

. فهذا الاستنباط كما ترى من بدائع الاستنباطات في تفسير الشيخ بن سعدي حيث استنبط من أمر الله تعالى سؤال أهل العلم أنّ ذلك يتضمّن تعديلهم، لأنّهم لو لم يكونوا عدولا لما جاز سؤالهم .

3- عند قوله تعالى: ﴿ **وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ** ﴾ **[البقرة:36]** .

قال: "أي: آدم وذريته أعداء لإبليس وذريّته، ومن المعلوم أنّ العدوّ يجدّ ويجتهد في ضرر عدوّه وإيصال الشرّ إليه بكل طريق، وحرمانه الخير بكل طريق، ففي ضمن هذا تحذير بني آدم من الشيطان"[571] . فهذا النّص يبيّن أنّ الشّيخ بن سعدي استنبط تحذير الله تعالى لبني آدم من الشيطان بناءا على إخباره سبحانه بأنّ الشيطان عدوّ لنا وذلك يدلّ بدلالة التضمّن على تحذيرنا منه .

<u>الفرع الثاني</u>: دلالة اللّزوم: ومن أمثلة تطبيقات الشّيخ لهذا النوع من الدلالة ما يلي:

1- عند قوله تعالى: ﴿ **وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ** ﴾ **[البقرة:34]** .

قال: "وهو القرآن الذي أنزله على عبده ورسوله محمد ـصلى الله عليه وسلمـ ، فأمرهم بالإيمان به واتّباعه، ويستلزم ذلك الإيمان بمن أنزل عليه"[572] . فهذه الآية فيها الأمر بالإيمان بالقرآن الذي أنزل على محمد ـصلى الله عليه وسلمـ ، واعتمادا من الشيخ بن سعدي على دلالة اللزوم استنبط من هذا الأمر أنّه يجب الإيمان بالنبيّ لأنّه إذا لم يؤمن به فمن باب أولى لا يؤمن بما جاء به، ولأنّه لا يتمّ الإيمان بالقرآن إلا بالإيمان بمن جاء به وهو محمد ـصلى الله عليه وسلمـ .

2- عند قوله تعالى: ﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنْ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنْ الْفَجْرِ** ﴾ **[البقرة:187]** .

قال: "... وفيه أيضا دليل على أنّه يجوز أن يدركه الفجر وهو جنب من الجماع، قبل أن يغتسل ويصحّ صيامه لأنّ لازم إباحة الجماع إلى طلوع الفجر أن يدركه الفجر وهو جنب ولازم الحقّ حقّ "[573] . فهذه الآية فيها إباحة الأكل والشرب والجماع إلى آخر لحظة من الليل قبل طلوع الفجر، وهذا يستلزم بداهة جواز طلوع الفجر على المسلم وهو جنب من أهله لم

---

[571]ـ تيسير الكريم الرحمان، ص 35 .

[572]ـ المصدر نفسه، ص 36 .

[573]ـ المصدر نفسه، ص 72 .

يغتسل بعد، وبالتّالي صحّة صيامه إذا أصبح جنبا بدلالة اللّزوم كما هو واضح مصـــرّح بـــه النص.

3- عند قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَـــرِّ وَالْبَحْـــرِ** ﴾ **[الأنعام 97]** . قال: "حين تشتبه عليكم المسالك ويتحيّر في سيره السالك، فجعل الله النّجوم هداية للخلق إلى السبل التي يحتاجون إلى سلوكها لمصالحهم وتجارتهم وأسفارهم... ودلّت هذه الآية ونحوها على مشروعيّة تعلّم سير الكواكب ومحالّها الذي يسمّى "علم التسيير" فإنّه لا تتم الهداية ولا تمكن إلاّ بذلك"[574] . وهذا الاستنباط من الاستنباطات البديعة في تفسير الشيخ بن سعدي فالآية المذكورة امتنّ الله فيها على عباده بأنّه جعل لهم النّجوم يهتدون بها ويعرفون بهـــا الطريق سواء في البرّ أو البحر، فاستنبط الشيخ منها أنّه يشرع تعلّم علم التسيير لأنّ الاســـتفادة من النّجوم في الاهتداء يستلزم معرفة علم الفلك، وما لا يتمّ الشّيء إلاّ به فهو من لوازمه .

<u>الفرع الثالث</u>: دلالة التضمن واللزوم: ومن الأمثلة على تطبيقات الشّيخ لهاتين الدّلالتين معا، ما يلي:

1- عند قوله تعالى: ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَـــنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّـــهِ ذَوِي الْقُرْبَـــى وَالْيَتَـــامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُتَّقُونَ** ﴾ **[البقرة:177]** .

قال: "... (**وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُتَّقُونَ**) لأنّهم تركوا المحظور وفعلوا المأمور لأنّ هذه الأمور مشـــتملة على كلّ خصال الخير تضمّنا ولزوما، لأنّ الوفاء بالعهد يدخل فيه الدّين كلّه، ولأنّ العبـــادات المنصوص عليها في هذه الآية أكبر العبادات، ومن قام بها كان بما سواها أقوم، فهؤلاء الأبـــرار الصادقون المتّقون"[575] . فهذا النّصّ بيّن من خلاله الشيخ أنّ الآيات المذكورة تجمع كلّ خصال الخير تضمّنا ولزوما، تضمّنا بالوفاء بالعهد الذي يشمل جميع العهود بين العبد وربّه أو بينه وبين أخيه، ولزوما لأن العبادة المذكورة في هذه الآيات هي أشقّ وأصل العبادات فمن أتى بها فهذا

---

[574]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 244 .

[575]ـــ المصدر نفسه، ص 69 .

يستلزم أنّ غيرها سهلة عليه وأنّه قد قام بها حتّ وصل إلى هذه الأصول . وهذا الاستنباط يدل على عمق فكر الشّيخ ورسوخ قدمه في استنباط معاني كلام الله .

2- عند قوله تعالى: ﴿ **سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ** ﴾ **[الزمر:73]** .

قال: "أي: حلّت عليكم السّلامة والتحيّة من الله وحصلت لكم وذلك متضمّن لـــزوال كـــلّ مكروه ومستلزم لحصول كلّ محبوب"[576] . ففي هذه الآية أخبر تعـــالى أنّ الملائكـــة تقـــول للمؤمنين "سَلامٌ عَلَيْكُمْ" أي: أنتم في سلامة تامّة لأنّكم صبرتم، وهذه السّلامة التي بشّرت بهـــا الملائكة المؤمنين تتضمّن زوال كلّ النّقائص بدلالة التضمّن ويستلزم حصول كلّ لذّة بدلالـــــة اللزوم وقد بيّن الشيخ هاتين الدّلالتين في النّص المذكور بوضوح، وهو يدل على عمق فهمه .

3- عند قوله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ** ﴾ **[الحشر:10]** .

قال: "ووصفهم بالإقرار بالذّنوب والاستغفار منها واستغفار بعضهم لبعض واجتهادهم في إزالة الغلّ والحقد عن قلوبهم لإخوانهم المؤمنين لأنّ دعاءهم بذلك مستلزم لما ذكرنا، ومتضمّن لمحبّـــة بعضهم بعضا، وأن يحبّ أحدهم لأخيه ما يحبّ لنفسه وأن ينصح له حاضـــرا وغائبـــا حيّـــا وميّتا"[577] . هذا النّصّ بيّن فيه الشيخ بن سعدي دلالتي التّضمّن واللّزوم في الآيـــة حيـــث أنّ استغفار المؤمنين من ذنوبهم يدلّ على إقرارهم بها ومحاولتهم لإزالة الحقد والغلّ اتّجاه إخوانهم، وهذا بدلالة اللّزوم، كما تدل الآية على محبّة المؤمن لأخيه المؤمن كما يحبّ لنفسه وهذا بدلالة التّضمّن، وهذه المعاني كلّها واضحة في النص المتقدّم[578].

---

[576]ـــ المصدر نفسه، ص 392 .

[577]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 815 .

[578]ـــ وانظر للاستزادة من تطبيقات الشيخ للقاعدة: تيسير الكريم الرحمان، في قوله تعالى: ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ ﴾ ص 51، وقوله تعالى: ﴿ الحَيُّ القَيُّومُ ﴾ ص 94، وقوله تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الذينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ ص 167، وقوله تعالى: ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾ ص 249، وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَرُوا بَالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ ص 618 .

المطلب السادس :

قاعدة : الآيات القرآنيّة التي ظاهرها التعارض يجب حمل كلّ منها على حال بحسب ما يليق ويناسب المقام .

سبق بيان معنى هذه القاعدة، كما سبق ذكر بعض أسباب وقوع التّعارض بين الآيات القرآنية وبعض قواعد الجمع بين الآيات التي ظاهرها التّعارض وهذا كلّه من الناحية النّظريّة للقاعدة . وأمّا عن تطبيقات الشيخ بن سعدي لها فهي كثيرة، نذكر منها:

1- عند قوله تعالى: ﴿ **وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً** ﴾ **[النساء:42]** .

قال: "أي: بل يقرّون له بما عملوا وتشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، يومئذ يوفّيهم الله جزاءهم الحقّ ويعلمون أنّ الله هو الحقّ المبين، فأمّا ما ورد من أنّ الكفّار يكتمون كفرهم وجحودهم فإنّ ذلك يكون في بعض مواضع القيامة، حيث يظنّون أنّ جحودهم مُغنٍ عنهم من عذاب الله، فإذا عرفوا الحقائق وشهدت عليهم جوارحهم، حينئذ ينجلي الأمر ولا يبقى للكتمان موضع ولا نفع ولا فائدة"[579] ، فهذه الآية أخبرت بأنّ الكفار لا يكتمون الله تعالى حديثا بل سيُخبِرون بكلّ ما فعلوه، وقد جاءت آيات أخرى تدلّ على أنّ الكفّار سيكتمون بعض أفعالهم، فصار هناك تعارض بين ظواهر هذه الآيات، فجمع الشيخ ابن سعدي بينهما بأنّ الأولى تحمل على مواضع في يوم القيامة، والثانية تحمل على مواضع أخرى .

2- عند قوله تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي** ﴾ **[الأعراف:143]** .

قال: "أي: لن تقدر الآن على رؤيتي فإنّ الله تبارك وتعالى أنشا الخلق في هذه الدّار على نشأة لا يقدرون بها ولا يثبتون لرؤية الله، وليس في هذا دليل على أنّهم لا يرونه في الجنّة فإنه قد دلّت النصوص القرآنيّة والأحاديث النبويّة على أنّ أهل الجنّة يرون ربّهم تبارك وتعالى ويتمتعون بالنّظر إلى وجهه الكريم وأنّه ينشئهم نشأة كاملة يقدرون معها على رؤية الله تعالى"[580] . فهذه الآية أخبر فيها الله تعالى موسى ـعليه السلامـ أنّه لن يراه وهي تعارض بظاهرها آيات أخرى أثبتت رؤية المؤمنين لربّهم تبارك وتعالى، وقد جمع بينهما الشيخ بأنّ الله لا يُرى في الدنيا لأنّ الخِلقَة البشريّة لا تتحمّل رؤيته ولا تطيق ذلك في الدّنيا، وأمّا يوم القيامة فإنّ الله تعالى يجعل للعبد صفات وقدرة يطيق بها رؤية ربّه تبارك وتعالى، وبهذا الجمع يزول الإشكال .

---

[579]ـ تسير الكريم الرحمان، ص 160 .

[580]ـ المصدر نفسه، ص 280 .

3- عند قوله تعالى: ﴿ **إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ** ﴾ **[القصص:56]** .

قال: "يخبر تعالى أنّك يا محمد وغيرك أولى لا تقدر على هداية أحد ولو كان من أحبّ النـــاس إليك فإنّ هذا أمر غير مقدور للخلق هداية التوفيق وخلق الإيمان في القلب، وإنّما ذلك بيد الله سبحانه وتعالى يهدي من يشاء وهو أعلم بمن يصلح للهداية فيهديه ممّن لا يصلح فيبقيه علـــى ضلاله، وأمّا إثبات الهداية للرسول في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَـــى صِـــرَاطٍ مُسْـــتَقِيمٍ** ﴾ **[الشورى:52]** . فتلك هداية البيان والإرشاد فالرسول يبيّن الصراط المستقيم ويرغّـــب فيـــه ويبذل جهده في سلوك الخلق له وأمّا كونه يخلق في قلوبهم الإيمان ويوفّقهم بالفعـــل فحاشـــا وكلاّ"[581] . فهذا النص ذكر فيه الشّيخ بن سعدي أنّ هذه الآية التي فيها نفي الهداية عن النبيّ _صلى الله عليه وسلم_ تعارض آية أخرى أخبرت بأنّ النبيّ _صلى الله عليه وسلم_ يهدي إلى الصراط المستقيم، وقد أزال الشيخ هذا التّعارض بالتّفريق بين نوعين من الهداية، فهناك هدايـــة التوفيق وهي خلق الإيمان في قلب العبد وهذه منتفية عن النبيّ _صلى الله عليه وسلم_ لأنهـــا خاصة بالله وحده وهناك هداية الإرشاد وهي بيان الصراط المستقيم وتوضيحه للنّاس وهذه ثابتة للنبيّ _صلى الله عليه وسلم_، وبهذا التفريق بين نوعي الهداية يـــزول التعـــارض الواقـــع بين الآيات.

4- عند قوله تعالى: ﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا** ﴾ **[الزمر:42]** .

قال: "وإخباره أنّه يتوفّى الأنفس وإضافة الفعل إلى نفسه لا ينافي أنّه قد وكّل بـــذلك ملـــك الموت وأعوانه كما قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ** ﴾ **[السجدة:11]** وقوله: ﴿ **حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ** ﴾ **[الأنعام 61]** لأنّه تعالى يضيف الأشياء إلى نفسه باعتبار أنّه الخالق المدبّر ويضيفها إلى أسبابها، باعتبار أنّ مـــن ســـنّته تعـــالى وحكمته أن جعل لكلّ أمر من الأمور سببا"[582] . فهذه الآية أخبر فيها الله تعالى بأنّه هو الذي يتوفّى الأنفس فأضاف التوفّي إلى نفسه، وهذا يعارض ما أخبر به في آيات أخرى بأنّ الملائكة هي التي تتوفى الأنفس، وقد جمع الشيخ بين هذه الآيات وأزال التعارض بينها، وذلك بذكر أنّ الله تعالى قد يضيف الشيء إلى نفسه باعتبار أنّه هو خالقه ومدبّره، وقد يضيفه إلى سنته باعتبار أنّ من سنة الله في خلقه أنّه قد جعل لكل شيء سببا .

---

[581]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 591 .

[582]ـــ المصدر نفسه، ص 692 .

5- عند قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (9) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (10) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (11)** ﴾ **[فصلت:9-11]** .

قال:"... اعلم أنّ ظاهر هذه الآية مع قوله تعالى في "النازعات" لما ذكر خلق السماوات قال: ﴿ **وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا** ﴾ **[النازعات:30]** يظهر منه التّعارض مع أنّ كتاب الله لا تعارض فيه ولا اختلاف، والجواب عن ذلك ما قاله كثير من السلف، أنّ خلق الأرض وصورها متقدّم على خلق السماوات كما هنا، ودحي الأرض بأن (**أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا**) متأخر عن خلق السماوات كما في سورة النازعات ولهذا قال: ﴿ **أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (31) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (32)** ﴾ **[النازعات:31-32]** إلى أخره و لم يقل والأرض بعد ذلك خلقها"[583] . هذه الآية من الآيات التي أشكلت على كثير ممن يقرؤون القرآن، ذلك أنّ الله تعالى ذكر فيها أنه خلق الأرض قبل السماء، وفي سورة النازعات ذكر أنه دحى الأرض بعد خلق السّماء، وهذا فيه تعارض في الظاهر فأزال الشيخ هذا التّعارض كما هو مبيّن في النّصّ المتقدّم حيث ذكر في معنى الآية الأولى أنّ الله خلق الأرض فقط بلا جبال ولا ماء... إلخ ثم خلق السّماء وبعد خلق السماء دحى الأرض بأن جعل فيها الجبال والماء... إلخ، وبهذا الجمع زال الإشكال السّابق[584] .

---

[583]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 712 .

[584]ـــ وانظر للاستزادة من تطبيقات الشيخ للقاعدة: تيسير الكريم الرحمان، في قوله تعالى: ﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾ ص 94، وقوله تعالى: ﴿ **يَأَيُّهَا الذينَ آمَنُوا لاَ تَسْئَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ** ﴾ ص 424، وقوله تعالى: ﴿ **فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا** ﴾ ص 344، وقوله تعالى: ﴿ **فَيَوْمَئِذٍ لاَ يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ** ﴾ ص 794، وقوله تعالى: ﴿ **وَأَنُ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ** ﴾ ص 213 .

المطلب السابع :

قاعدة : حذف المتعلق المعمول فيه يفيد تعميم المعنى المناسب له:

تقدّم شرح ألفاظ هذه القاعدة وبيان معناها العام، كما تقدّم بيان اختلاف العلماء فيها وأدلّة من قال بها، وهذا كلّه من النّاحية النظريّة للقاعدة . وأمّا عن تطبيقات الشيخ لها، فالذي يتتبّع تطبيقاته يلاحظ أنّه كان يطبقها بطريقتين: فأحيانا يستنبط الحكم ويصرح أنّه اعتمد في استنباطه له على هذه القاعدة، وأحيانا يستنبط أحكاما اعتمادا على هذه القاعدة دون أن يصرّح بها، ولذلك فإنّني سأعتمد في ذكر تطبيقاته لها على هذا التقسيم، وهو كالآتي:

الفرع الأول: التصريح بالقاعدة: ومن المواضع التي تدلّنا على ذلك مايلي:

1- عند قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ **[البقرة:2]** .

قال: "وحذف المعمول، فلم يقل هدى للمصلحة الفلانيّة ولا للشيء الفلاني لإرادة العموم، وأنّه هدى لجميع مصالح الدّارين، فهو مرشد للعباد في المسائل الأصوليّة والفروعيّة ومبيّن للحقّ من الباطل، والصّحيح من الضّعيف ومبيّن لهم كيف يسلكون الطرق النافعة لهم في دنياهم وأخراهم"[585] . فهذه الآية استنبط منها الشيخ بن سعدي أنّ كتاب الله فيه هدايتا الدّنيا والآخرة، وقد صرّح بمستنده في هذا الاستنباط وهو قاعدة "حذف المتعلق" ذلك أن الله لم يقيّد هداية كتابه بشيء دون آخر فدلّ على إرادة عموم الهداية .

2- عند قوله تعالى: ﴿ **وَبَشِّرْ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ **[البقرة:223]** .

حيث قال: "لم يذكر ما يبشّرهم به ليعمّ جميع ما رتّب على الإيمان من ثواب الدنيا والآخرة، فالبشارة متناولة لكلّ مؤمن وأمّا مقدارها وصفتها فإنّها بحسب حال المؤمنين وإيمانهم قوة وضعفا وعملا بمقتضاه"[586] . فهذا النّص صرّح فيه الشيخ بن سعدي بقاعدة حذف المتعلق لإرادة العموم، ذلك أنّ الله عزّ وجلّ لم يخصّ بالذّكر بشارة دون أخرى فدلّ ذلك على إرادة جميع أنواع البشارات .

3- عند قوله تعالى: ﴿ **لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ** ﴾ **[الأحزاب:60]** .

---

[585]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 26 .

[586]ـــ المصدر نفسه، ص 33 .

قال: "... و لم يذكر الذي ينتهون عنه ليعمّ ذلك كلّ ما توحي به أنفسهم إليهم وتوسوس بـــه وتدعو إليه من الشر، من التعريض بسبب الإسلام وأهله والإرجاف بالمسلمين وتوهين قواهم، والتعرّض للمؤمنات بالسّوء والفاحشة وغير ذلك من المعاصي الصادرة من أمثال هؤلاء"[587] . فهذا النّصّ صرّح فيه الشيخ بالقاعدة وأن الله تعالى لم يذكر ما ينتهي عنه المنـــافقون، وذلـــك ليدلّ على انتهائهم عن جميع أعمال السّوء بدون استثناء .

<u>الفرع الثاني</u>: عدم التصريح بالقاعدة: ومن المواضع التي تدلّنا على ذلك مايلي:

1- عند قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (45) ادْخُلُوهَا بِسَـــلامٍ آمِنِينَـــ (46)**﴾ **[الحجر:45-46]** .

قال: "(**آمِنِينَ**) من الموت والنّوم والنّصب واللّغو وانقطاع شيء من النّعيم الذي هـــم فيـــه أو نقصانه، ومن المرض والحزن والهمّ وسائر المكدّرات"[588] . ففي هذه الآية ذكر الله تعـــالى أنّ المّتقين يدخلون الجنّة وهم آمنون لكنّه لم يذكر سبحانه ما يأمنون منه، فلمّا فسّر الشّيخ الآيـــة ذكر بعض ما يأمنون منه ثم قال بأنّهم يأمنون من جميع المكدّرات وقد اعتمد في هذا الاستنباط على قاعدة "حذف المتعلق يدل على العموم" التي لم يصرح بها .

2- عند قوله تعالى: ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ**﴾ **[النور:30]** .

قال: "عن الوطء الحرام في قبل أو دبر أو ما دون ذلك، وعن التّمكين من مسّها والنّظر إليها... وتأمّل كيف أمر بحفظ الفرج مطلقا لأنّه لا يباح في حالة من الأحوال"[589] . فهذه الآية أمر الله فيها المؤمنين بحفظ فروجهم و لم يذكر ممّا يحفظونها منه، فاستنبط الشيخ بن سعدي من ذلك أنّ الله أمر بحفظها بجميع أنواع الحفظ اعتمادًا منه على القاعدة السابقة، ولكنّه لم يصرّح بها، بـــل ذكر الحكم في درج تفسيره للآية و لم ينبه على مأخذه .

3- عند قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ**﴾ **[فاطر:18]** .

قال: "أي: ومن زكّى نفسه بالتّنقّي من العيوب كالرّياء والكبر والكـــذب والغـــشّ والمكـــر والخداع والنّفاق ونحو ذلك من الأخلاق الرّذيلة وتحلّى بـــالأخلاق الجميلـــة مـــن الصّـــدق والإخلاص والتواضع، ولين الجانب والنّصح للعباد، وسلامة الصّدر من الحقد والحسد وغيرها

---

[587]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 640 .

[588]ـــ المصدر نفسه، ص 407 .

[589]ـــ المصدر نفسه، ص 537-538 .

من مساوئ الأخلاق"[590] . فهذا النّصّ ذكر فيه الشّيخ أنواعا كثيرة من تزكية النّفوس وذلـــك بالإتيان بالصّفات الحميدة بجميع أنواعها وتجنب الأخلاق الذّميمة بجميع أنوعها، وسبب تعميم الشّيخ لهذه الأنواع من التّزكية هو اعتماده على قاعدة "حذف المتعلّق يدل على العموم" التي لم يصرّح بها الشيخ بل طبّقها مباشرة، لأنّ الله تعالى ذكر تزكية النّفس في الآية وأطلق ذلـــك و لم يخصّها بنوع من التزكية دون آخر فدلّ ذلك على إرادة العموم[591] .

---

[590]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 755 .

[591]ـــ وانظر للاستزادة من تطبيقات الشيخ للقاعدة: تيسير الكريم الرحمان، في قوله تعالى: ﴿ **وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ** ﴾ ص 32، وقوله تعالى: ﴿ **فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا** ﴾ ص 488، وقوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ** ﴾ ص 755، وقوله تعالى: ﴿ **أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ** ﴾ ص 893، وقوله تعالى: ﴿ **الذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلاَئِكَةُ طَيِّبِينَ** ﴾ ص 414 .

المطلب الثامن :

قاعدة : حذف جواب الشّرط يدلّ على تعظيم الأمر وشدّته في مقامات الوعيد .

لقد سبق بيان معنى هذه القاعدة، وبيان شرط حذف الجواب وهو أن يدلّ دليل عليه، وذكرنا بعض الأمثلة على ذلك، وهذا كلّه من الناحية النظريّة لهذه القاعدة . وأمّا عن تطبيقات الشيخ بن سعدي لها، فقد طبّقها في عدّة مواضع ومن الأمثلة التي تدل على ذلك، ما يلي:

1- قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذِ الْجرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ**﴾ **[السجدة:12]** .

قال: "(**وَلَوْ تَرَى إِذِ الْجرِمُونَ**) الذين أصرّوا على الذّنوب العظيمة (**نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ**) خاشعين خاضعين أذلاّء مقرِّين بجرمهم سائلين الرجعة قائلين (**رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا**) أي: بان لنا الأمر، ورأيناه عيانا فصار عين يقين (**فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ**) أي: صار عندنا الآن يقين بما كنّا نكذّب به، أي: لرأيت أمرا فظيعا وحالا مزعجة، وأقواما خاسرين، وسؤالا غير مجاب لأنّه قد مضى وقت الإهمال"[592] . فهذه الآية جاءت في مقام بيان وعيد الكفّار ومصيرهم يوم القيامة وقد صدّرها الله تعالى بيان حالهم بقوله (وَلَوْ تَرَى) وهو شرط يحتاج إلى جواب لكنّ جوابه لم يذكر في الآية، فالشيخ بن سعدي لمّا فسر هذه الآية قدّر لها جوابا للشّرط يدلّ على تعظيم الأمر وشدّته، وهذا الجواب هو: لرأيت أمرا فضيعا وحالا مزعجة وأقواما خاسرين وسؤالا غير مجاب وقد حُذِفَ هذا الجواب في الآية ليدلّ على شدّة ذلك الموقف وعِظَمه .

2- عند قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ**﴾ **[سبأ:31]** .

قال: "لمّا ذكر الله تعالى أنّ ميعاد المستعجلين بالعذاب لابدّ من وقوعه عند حلول أجله، ذكر هنا حالهم في ذلك اليوم وأنك لو رأيت حالهم إذ وقفوا عند ربّهم واجتمع الرؤساء والأتباع في الكفر والضّلال لرأيت أمرا عظيما وهولا جسيما ورأيت كيف يتراجع ويرجع بعضهم إلى بعض القول"[593] . فهذه الآية جاءت في مقام بيان وعيد الظالمين وبيان حالهم يوم القيامة، وقد حذف فيها جواب الشرط في قوله: (**وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ**) فقدّر هذا الجواب بقوله: (لرأيت

---

[592]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 624-649 .

[593]ـــ المصدر نفسه، ص 648 .

أمرا عظيما وهولا جسيما) كما هو واضح في النص، وقد حذف هذا الجواب المقدّر ليدلّ على عظم ذلك الموقف يوم القيامة وهوله، وهذا تطبيق من الشيخ لقاعدة "حذف جواب الشرط في مقام الوعيد يدلّ على تعظيم الأمر" .

3- عند قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ**﴾ **[سبأ:51]** .

قال: "(**وَلَوْ تَرَى**) أيّها الرسول ومن قام مقامك، حال هؤلاء المكذّبين (**إِذْ فَزِعُوا**) حين رأو العذاب وما أخبرتهم به الرّسل، وما كذّبوا به لرأيت أمرا هائلا ومنظرا مفظعا وحالة منكرة وشدّة شديدة، وذلك حين يحقّ عليهم العذاب فليس لهم عنه مهرب ولا فوت (**وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ**) أي: ليس بعيدا عن محلّ العذاب بل يؤخذون ثم يقذفون في النار"[594] . فهذه الآية ذكر فيها الله تعالى حال الكفّار عند الفزع وأنّ وعيدهم شديد عند ذلك الموقف، و لم يذكر الله تعالى جواب الشرط في قوله (**وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا**) والشيخ السّعدي قدّر هذا الجواب بأنّه (لرأيت أمرا هائلا ومنظرا مفظعا وحالة منكرة وشدّة شديدة) وهذا الجواب المقدّر إنّما حذف ليدلّ على عظم ذلك الموقف وشدّته على الكفار .

4- عند قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمْ**﴾ **[الأنعام 93]** .

قال: "ولمّا ذمّ الظالمين ذكر ما أعدّ لهم من العقوبة حال الاحتضار ويوم القيامة فقال (**وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ**) أي: شدائده وأهواله الفظيعة وكُرَبه الشّنيعة، لرأيت أمرا هائلا وحالة لا يقدر الواصف أن يصفها (**وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ**) إلى أولئك الظالمين المحتضرين بالضّرب والعذاب يقولون لهم عند منازعة أرواحهم وقلقها وتعظيما للخروج من الأبدان (**الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ**) أي: العذاب الشّديد الذي يهينكم ويذلّكم والجزاء من جنس العمل"[595] . فهذه الآية بيّنت مشهدا من أفظع المشاهد وأشدّها على الظّالمين وذلك عند نزع أرواحهم وتوفّي الملائكة لهم، وقد حذف الله تعالى جواب الشرط في قوله (**وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ**) فلمّا فسّر الشيخ بن سعدي هذه الآية قدّر هذا الجواب بقوله "لرأيت أمرا هائلا وحالة لا يقدر الواصف أن يصفها" وهذا الجواب المقدّر إنّما حذف و لم يذكر في الآية ليدلّ على عظم الموقف

---

[594]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 651 .

[595]ـــ المصدر نفسه، ص 243 .

وشدّته على الكفّار وقد قدّره الشيخ بهذا التقدير اعتمادا منه على قاعدة "حذف جواب الشرط في مقامات الوعيد يدل على تعظيم الأمر وشدته"[596] .

[596]ـــ وانظر للاستزادة من تطبيقات الشيخ للقاعدة: تيسير الكريم الرحمان، في قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذِ يَتَوَفَّى الذِينَ كَفَرُوا المَلاَئِكَةُ** ﴾ ص 301، وقوله تعالى: ﴿ **لَوْ يَعْلَمُ الذِينَ كَفَرُوا حِينَ لاَ يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارُ** ﴾ ص 496، وقوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الكُبْرَى** ﴾ ص 870، وقوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ** ﴾ ص 871 .

المطلب التاسع :

قاعدة : بعض الأسماء الواردة في القرآن، إذا أفرد دلّ على المعنى المناسب له وإذا قرن مع غيره دلّ على بعض المعنى ودلّ ما قرن معه على باقيه .

لقد سبق بيان معنى هذه القاعدة وذكر بعض الأمثلة عليها وهذا كلّه من النّاحية النظرية للقاعدة . وأمّا من النّاحيّة التطبيقيّة لها. فهذه القاعدة كما هو واضح تنقسم إلى قسمين فالقسم الأول: هو أن يأتي لفظ مفرد يدلّ على جميع المعنى المناسب له، والقسم الثاني: هو اقتران اسم باسم فيدلّ أحدهما على بعض المعنى ويدل الآخر على باقيه . لذلك فإنّني سأعتمد في ذكر بعض التطبيقات على هذا التقسيم وهو كالآتي:

الفرع الأول: بعض المواضع التي ذكر فيها لفظ مفرد دلّ على جميع المعنى المناسب له . ومن المواضع التي تدلّنا على ذلك مايلي:

1- عند قوله تعالى: ﴿ **لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ** ﴾ **[النساء: 114]** .

قال: "وهو الإحسان والطّاعة وكلّ ما عرف في الشّرع والعقل حسنه، وإذا أطلق الأمر بالمعروف من غير أن يقترن بالنّهي عن المنكر، دخل فيه النّهي عن المنكر، وذلك لأنّ ترك المنهيات من المعروف، وأيضا لا يتمّ فعل الخير إلاّ بترك الشّرّ وأمّا عند الاقتران فيفسّر المعروف بفعل المأمور والمنكر بترك المنهيّ"[597] . ففي هذه الآية ذُكر لفظ "المعروف" منفردا عن لفظ "المنكر" فقال الشيخ بن سعدي بأنّه يدخل فيه الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وذلك لأنّ هناك آيات أخرى اقترن فيها الأمر بالمعروف بالنّهي عن المنكر فصار "الأمر بالمعروف" يدلّ على الأمر بالخير "والنّهي عن المنكر" يدلّ على النّهي عن الشّرّ [598] ، وهذا تطبيق من الشيخ للقاعدة السابقة .

2- عند قوله تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ **[المائدة:2]** .

قال: "(**وَاتَّقُوا اللَّهَ**) أي: في جميع أموركم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ومن ذلك امتثالكم لهذه المأمورات واجتناب هذه المحظورات المذكورة في هذه الآية"[599] . فكلمة التّقوى في هذه

---

[597]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 181 .

[598]ـــ ومثل قوله تعالى: ﴿ **يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ** ﴾ **[آل عمران:114]** .

[599]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 75 .

الآية جاءت مفردة و لم تقترن بكلمة "البرّ" لذلك جعل الشيخ بن سعدي معناها: امتثال المأمورات واجتناب المنهيات، وذلك لأنّه في بعض المواضع اقترن لفظ التّقوى بلفظ البرّ فصار لفظ التقوى يدلّ على اجتناب المنهيّات، ولفظ البرّ يدلّ على امتثال المأمورات[600] .

3- عند قوله تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى** ﴾ **[النحل:97]** .

قال: "من أعمال القلوب والجوارح وأقوال اللّسان"[601] ، فالشيخ بن سعدي جعل لفظ "العمل الصالح" يشتمل على جميع أنواع الأعمال سواء كانت أعمال القلوب أو أعمال الجوارح أو أعمال اللسان، وذلك لأنّ لفظ العمل الصالح في هذه الآية ورد مفردا، ولكن هناك آيات أخرى اقترن فيها لفظ العمل الصالح بلفظ الإيمان فصار لفظ العمل الصالح دالاّ على أعمال الجوارح فقط"[602] .

<u>الفرع الثاني</u>: بعض المواضع التي اقترن فيها اسمان فدلّ أحدهما على بعض المعنى التام ودلّ الآخر على باقيه: ومن المواضع التي تدلّنا على ذلك مايلي:

1- عند قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً** ﴾ **[النساء:110]** .

حيث قال: "واعلم أنَّ عمل السّوء عند الإطلاق يشمل سائر المعاصي الصغيرة والكبيرة وسمّي سوءا لكونه يسوء عامله بعقوبته ولكونه في نفسه سيّئا غير حسن وكذلك ظلم النفس عند الإطلاق يشمل ظلمها بالشّرك فما دونه، ولكن عند اقتران أحدهما بالآخر، قد يفسّر كلّ منهما بما يناسبه، فيفسّر عمل السّوء هنا بالظّلم الذي يسوء النّاس وهو ظلمهم في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، ويفسّر ظلم النّفس بالظلم والمعاصي التي بين الله وبين عبده"[603] . ففي هذه الآية اقترن اسما "عمل السوء" و"ظلم النفس" وكلاهما ظلم لكن لما اقترنا مع بعضهما، فسّر الشيخ "عمل السوء" بأنّه الظّلم الواقع بين العباد و "ظلم النّفس" بأنه الظلم الواقع بين

---

[600]ـــ مثل قوله تعالى: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى** ﴾ **[المائدة:2]** .

[601]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 705 .

[602]ـــ مثل قوله تعالى: ﴿ **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ **[البقرة: 42]** .

[603]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 180 .

العبد وربّه، ولكن لو ذكر في آية ما لفظ السوء منفردا فإنّه يشمل جميع أنواع الذنوب الصغيرة والكبيرة[604] .

2- عند قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ** ﴾ **[التوبة:60]** .

حيث قال: "... الأول والثاني: الفقراء والمساكين وهم في هذا الموضع صنفان متفاوتان، فالفقير: أشدّ حاجة من المسكين لأنّ الله بدأ بهم ولا يبدأ إلاّ بالأهمّ ففسّر الفقير بأنّه الذي لا يجد شيئا أو يجد بعض كفايته دون نصفها، والمسكين: الذي يجد نصفها فأكثر، ولا يجد تمام كفايته لأنّه لو وجدها لكان غنيّا فيعطون من الزّكاة ما يزول به فقرهم ومسكنتهم" [605] . ففي هذه الآية اقترن لفظ الفقير بالمسكين ففرّق بينهما الشّيخ بن سعدي، حيث ذكر أنّ الفقير هو من ليس لديه شيء أو لديه أقلّ من نصف حاجته، وأمّا المسكين فهو من له أكثر من نصف حاجته لكن ليس له جميع ما يكفيه ولكن لو أفرد أحد هذين الاسمين عن الآخر لدخل الآخر في معناه لأنّهما يشتركان جميعا في الحاجة وعدم الاكتفاء .

3- عند قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ** ﴾ **[الشورى:37]** .

قال: "والفرق بين الكبائر والفواحش مع أنّ جميعها كبائر، أنّ الفواحش هي الذّنوب الكبار التي في النفوس داع إليها، كالزّنا ونحوه والكبائر ما ليس كذلك، هذا عند الاقتران، وأمّا مع إفراد كلّ منهما عن الآخر فإنّ الآخر يدخل فيه"[606] ، فهذا النّصّ بيّن فيه الشيخ بن سعدي بأن اسمي "الكبائر والفواحش" كلاهما من كبائر الذّنوب ولكن لّما اقترن أحدهما بالآخر صار اسم الفواحش يدلّ على الذّنوب الكبيرة التي تدعو إليها النفس، وأمّا الكبائر فهي ما ليس كذلك، وأما لو أفرد أحد هذين الاسمين عن الآخر فإنّ الآخر يدخل فيه، وهذا المعنى كلّه إنّما أخذه الشيخ من القاعدة السابقة[607] .

---

[604]ـــ وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ **مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ** ﴾ **[النساء:123]** .

[605]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 318 .

[606]ـــ المصدر نفسه، ص 726 .

[607]ـــ وانظر للاستزادة من تطبيقات الشيخ للقاعدة: تيسير الكريم الرحمان، في قوله تعالى: ﴿ **قُولُوا ءَامَنَّا بِاللهِ** ﴾ ص 53، وقوله تعالى: ﴿ **وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** ﴾ ص 377، وقوله تعالى: ﴿ **وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ** ﴾ ص 653، وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالفَحْشَاءِ** ﴾ ص 66 وقوله تعالى: ﴿ **وَتَنَاجَوْا بِالبِرِّ وَالتَّقْوَى** ﴾ ص 809.

المطلب العاشر:

قاعدة : ختم الآيات بأسماء الله الحسنى يدلّ على أنّ الحكم المذكور له تعلّق بذلك الاسم الكريم .

تقدّم في الدّراسة النظريّة بيان معنى هذه القاعدة وأنّ اهتمام المفسّرين بها كان قليلا، كما تقدّم ضرب بعض الأمثلة عليها، وأمّا عن تطبيقات الشيخ بن سعدي لها فقد اهتمّ الشيخ بها اهتماما كبيرا، لذلك وجدت في تفسيره كثيرا من التّطبيقات لها، أذكر منها ما يلي:

1- عند قوله تعالى: ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ **[البقرة: 173]** .

قال: "... فيجب إذًا الأكل ويأثم إن ترك الأكل حتّ مات، فيكون قاتلا لنفسه، وهذه الإباحة والتّوسعة من رحمته تعالى بعباده، فلهذا ختمها بهذين الاسمين الكريمين المناسبين غاية المناسبة فقال (**إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**) ولّما كان الحلّ مشروطا بهذين الشرطين وكان الإنسان في هذه الحالة ربّما لا يستقصي تمام الاستقصاء في تحقيقها، أخبر تعالى أنّه غفور فيغفر له ما أخطأ فيه في هذه الحال، خصوصا وقد غلبته الضّرورة وأذهبت حواسّه المشقّة"[608] . ففي هذه الآية ذكر الله تعالى المحرّمات من المطعومات ثمّ بيّن بأنّ من اضطرّ إلى أكلها فإنّ الله لايحاسبه على ذلك، وختم هذا كلّه باسمين من أسمائه وهما "الغفور، الرحيم" وقد ربط الشّيخ بين معنى هذه الآية وبين الاسمين المذكورين بأنّ الله تعالى لما عفا عنهم في أكل المحرّم فإنّ هذا من رحمة الله بهم ويدل على ذلك اسم "الرحيم" ولّما كانوا في هذه الحالة قد يتعدّوا على حدود المباح فإن الله تعالى غفر لهم ذلك، وهذا يدلّ عليه اسم "الغفور" وهذا كلّه تطبيق من الشيخ للقاعدة السابقة .

2- عند قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ **[البقرة:181]** .

قال: "(**فَمَنْ بَدَّلَهُ**) أي الإيصاء للمذكورين، أو غيرهم (**بَعْدَمَا سَمِعَهُ**) أي: بعد ما عقله، وعرف طرقه وتنفيذه (**فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ**) وإلاّ فالموصي وقع أجره على الله وإنّما الإثم على المبدّل المغيّر (**إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ**) يسمع سائر الأصوات ومنه سماعه لمقالة الموصي ووصيته، فينبغي له أن يراقب من يسمعه ويراه وأن لا يجور في وصيته (**عَلِيمٌ**) بنيّته وعليم بعمل الموصى إليه، فإذا

---

[608]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 67 .

اجتهد الموصي وعلم الله من نيّته ذلك، أثابه ولو أخطأ، وفيه التحذير للموصى إليه من التّبديل فإنّه عليم به مطلّع على فعله، فليحذر من الله"[609] . فهذا النّصّ بيّن فيه الشيخ بن سعدي مناسبة ختم الله تعالى لهذه الآية بهذين الاسمين الكريمين وذلك أنّ هذه الآية تتحدّث عن الموصي الذي يريد أن يوصي بشيء من ملكه، وقد ختمها الله تعالى باسم (السميع) ليحثّ الموصي على تقوى الله فيما يوصي به لأنّ الله تعالى يسمعه في كلّ ما يقول، وختمها كذلك باسم (العليم) ليبيّن أنّه لا يؤاخذ الموصي، إذا أخطأ في وصيّته إذا كانت نيّته حسنة لأنّ الله تعالى عليم بنيّته، وهذا الربط بين معنى الآية وختمها بهذه الاسمين الكريمين في غاية الحسن من الشيخ بن سعدي .

3- عند قوله تعالى: ﴿ **لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ **[البقرة:226]** .

قال: "(**فَإِنْ فَاءُوا**) أي: رجعوا إلى ما حلفوا على تركه وهو الوطء (**فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**) يغفر لهم ما حصل منهم بسبب رجوعهم (**رَحِيمٌ**) حيث جعل لأيمانهم كفّارة وتحلّة و لم يجعلها لازمة لهم غير قابلة للانفكاك،ورحيم بهم حيث فاءوا إلى زوجاتهم وحنّوا عليهنّ ورحموهنّ"[610] .

فهذه الآية تتحدّث عن أحكام الإيلاء وقد ختمها الله تعالى باسمين من أسمائه وهما (الغفور والرحيم) وقد ذكر الشّيخ بن سعدي في هذا النّصّ المناسبة بين هذين الاسمين وبين معنى الآية، حيث أنّ الزّوج الذي يولي من زوجته قد يرجع عن يمينه التي حلفها فغفر الله له هذه اليمين وجعل له بدلها كفّارة و لم يؤاخذه بها، وهذا يدلّ عليه اسم (الغفور) وكذلك اسم "الرحيم" يدلّ على رحمة الله بعباده، وذلك أنّ هذا الزّوج الذي يرجع لزوجته فهو قد رحمها وحنّ عليها وهذا من مظاهر رحمة الله بعباده، وهذا الجمع من الشيخ بين معنى الآية والاسمين المختومين بها إنّما هو تطبيق منه للقاعدة السابقة .

4- عند قوله تعالى: ﴿ **فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ **[الحج:52]**.

قال: "(**فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ**) أي: يزيله ويذهبه ويبطله ويبيّن أنّه سبب من آياته (**ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ**) أي: يتقنها ويحرّرها ويحفظها فتبقى خالصة من مخالطة إلقاء الشيطان (**وَاللَّهُ**

---

[609]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 70 .

[610]ـــ المصدر نفسه، ص 85 .

عَزِيزٌ)[611] أي: كامل القوّة والاقتدار، فبكمال قوتّه يحفظ وحيه ويزيل ما يلقيه الشيطان **(حَكِيمٌ)** يضع الأشياء مواضعها فمن كمال حكمته مكّن الشيطان من الإلقاء المذكور"[612] ، فالشيخ بن سعدي ذكر في هذا النّصّ المناسبة بين الآية وبين الاسمين الذين ختمت بهما، وذلك أنّ معنى هذه الآية، وما أرسلنا من قبلك- أيها الرسول – من رسول ولا نبيّ إلا إذا قرأ كتاب الله ألقى الشيطان في قراءته الوساوس والشبهات؛ ليصدَّ الناس عن اتّباع ما يقرؤه ويتلوه، لكن الله يبطل كيد الشيطان، فيزيل وساوسه، ويثبت آياته الواضحات ثمّ ختم الآية باسمي (العزيز والحكيم) فـ "العزيز" يدلّ على قوّته تعالى وكمال قدرته فلذلك حفظ وحيه، و"الحكيم" يدل كمال حكمته في كلّ شيء ومن ذلك تمكينه للشّيطان من الإلقاء في وحيه وذلك لِحِكَمٍ يعلمها الله تعالى، هذه هي المناسبة التي ذكرها الشيخ بين الآية وبين الاسمين المختومة بهما، وهي تدلّ على دقّته وسعة فكره وتأمّله في كلام الله .

5- عند قوله تعالى: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ **[المجادلة:1]** .

قال: "نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار اشتكته زوجته إلى الله وجادلته إلى رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ لما حرّمها على نفسه بعد الصحبة الطويلة والأولاد، وكان هو رجلا شيخا كبيرا... **(إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ)** لجميع الأصوات في جميع الأوقات على تفنّن الحاجات **(بَصِيرٌ)** يبصر دبيب النّملة السّوداء على الصّخرة الصّمّاء في اللّيلة الظّلماء، وهذا إخبار عن كمال سمعه وبصره وإحاطتهما بالأمور الدّقيقة والجليلة، وفي ضمن ذلك الإشارة بأنّ الله تعالى سيزيل شكواها ويرفع بلواها"[613] . فهذه الآية تتحدّث عن المجادلة التي قامت بين الصحابيّ الأنصاريّ وزوجته وقد ختمها الله تعالى باسمين من أسمائه وهما: السميع والبصير، فلمّا فسّر الشيخ هذه الآية ذكر المناسبة بين ختم الآية بهذين الاسمين وبين موضوعها، وذلك أنّ هذه المرأة المجادلة اشتكت إليه همّها، فهو تعالى بكمال سمعه وكمال بصره سمع مجادلتها ورآها فتكفّل برفع بلواها

---

[611]ـ هذه الآية مختومة في المصحف باسميْ (العَلِيمُ وَالحَكِيمِ) وليس (العَزِيزِ وَالحَكِيمُ) ولكن الشيخ فسر لفظ (العزيز) وبيّن مناسبته لبداية الآية، فلعلّ الشيخ سها في تفسيرها وجلّ من لا يخطئ .

[612]ـ تيسير الكريم الرحمان، ص 514 .

[613]ـ تيسير الكريم الرحمان، ص 807 .

وإزالة شكواها، وهذه المناسبة التي ذكرها الشيخ، إنّما هي تطبيق منه لقاعدة "ختم الآيات بالأسماء الحسنى يدل على أنّ الحكم المذكور له تعلّق بذلك الاسم الكريم"[614] .

[614]ـ وانظر للاستزادة من تطبيقات الشيخ للقاعدة: تيسير الكريم الرحمان، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآل إِبْرَاهِيمَ... ﴾ ص 112 وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ... ﴾ ص 165، وقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّبًا ﴾ ص 304، وقوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾ ص 631، وقوله تعالى: ﴿وَالذينَ جَاؤُو مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ ص 815 .

المطلب الحادي عشر :

قاعدة : الأصل أنّ الآيات التي فيها قيود لا تثبت أحكامها إلا بوجود تلك القيود إلاّ في آيات يسيرة .

سبق في الدّراسة النّظريّة بيان معنى هذه القاعدة، وأنّ مقصود الشيخ بن سعدي من عقدها هو الكلام على الآيات اليسيرة التي تثبت أحكامها ولو مع وجود القيود المقيّدة لها، لأنّها قيود لا يراد بها نفي الحكم إذ انتفت، لذلك فإنّني في ذكر التطبيقات للقاعدة أذكر أمثلة على المستثنى منها فقط، ولا أذكر أمثلة على أصل القاعدة، وهي آيات يسيرة كما ذكر الشيخ، ومنها:

1- عند قوله تعالى: ﴿ **وَرَبَائِبُكُمْ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ** ﴾ **[النساء: 23]** .

قال: "وقد قال الجمهور إن قوله: ﴿ **اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ** ﴾ قيد خرج مخرج الغالب لا مفهوم له فإنّ الرّبيبة تحرم ولو لم تكن في حجره، ولكن للتّقييد بذلك فائدتان إحداهما: فيه التّنبيه على الحكمة في تحريم الربيبة، وأنّها كانت بمنزلة البنت فمن المستقبح إباحتها، الثانية: فيه دلالة على جواز الخلوة بالرّبيبة، وأنّها بمنزلة من هي في حجره من بناته ونحوهن -والله أعلم- "[615] .

فهذه الآية جاءت في سياق بيان المحرمات من النّساء وقد ذكر الله تعالى من بينهنّ الرّبيبة وقيّدها بالرّبيبة التي في الحجر، فالأصل أن يقال بأنّ الرّبيبة لو كانت خارج الحجر لما حرم على الرجل نكاحها، ولكنّ الشيخ بن سعدي -رحمه الله- بتطبيقه للقاعدة السابقة، نقل قول الجمهور مقرّا له بأنّ هذا القيد لا يراد منه إباحة الرّبيبة التي خارج الحجر، إنّما ذُكر لفائدتين هما: بيان الحكمة من تحريم الرّبيبة وبيان جواز الخلوة بها، ولذلك فإنّ الرّبيبة تحرم على زوج أمّها مطلقا سواء كانت داخل الحجر أو خارجه إذا دخل الزّوج بأمّها .

2- عند قوله تعالى: ﴿ **بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ** ﴾ **[البقرة: 61]** .

قال: "﴿ **بِغَيْرِ الْحَقِّ** ﴾ زيادة شناعة وإلاّ فمن المعلوم أنّ قتل النبيّ لا يكون بحقّ لكن لئلاّ يظنّ جهلهم وعدم علمهم"[616] ، ففي هذا النّصّ بيّن الشّيخ بن سعدي أنّ هذه الآية لا تدلّ على

---

[615]ـ تيسير الكريم الرحمان، ص 155 .

[616]ـ المصدر نفسه، ص 59 .

جواز قتل الأنبياء بحقّ لأنّ هذا وصف ملازم، ذلك أنّ قتل الأنبياء يعتبر قتلاً بغير حق في جميع الأحوال، لذلك فإنّ هذا القيد المذكور في الآية هو وصف ملازم لقتل الأنبياء وليس المقصود منه ثبوت الحكم إذا انتفى هذا القيد .

3- عند قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تجِدُوا كَاتِباً فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ**﴾ **[البقرة:283]** .

قال: "... ولّما كان المقصود بالرّهن التوثّق، جاز حضرا وسفرا، وإنّما نصّ الله على السّفر لأنّه في مظنّة الحاجة إليه لعدم الكاتب فيه"[617] . فهذه الآية تكلّمت على أحكام الدَّين، ومن المسائل التي ذكرت فيها أنّه إذا لم يوجد كاتب يكتب هذا الدَّين، فعلى المدين أن يسلّم رهنا إلى الدّائن ليحدث به التوثّق، ولكنّ الله تعالى قيّد تسليم الرّهن بحالة السفر، فالأصل أنّ يقيّد تسليم الرّهن بحالة السّفر دون حالة الحضر، ولكنّ الشيخ بن سعدي -رحمه الله- ذكر في تفسيره لهذه الآية أنّ الرّهن يجوز تسليمه سواء في الحضر أو في السّفر وإنّما قيّد بالسّفر في الآية لأنّه مظنّة لعدم وجود الكاتب بعكس الحضر فالكاتب موجود، وهذا الحكم المذكور إنّما هو تطبيق من الشيخ للقاعدة السابقة .

4- عند قوله تعالى: ﴿**وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ**﴾ **[الأنعام 151]** .

قال: "أي: بسبب الفقر وضيقكم من رزقهم، كما كان ذلك موجودا في الجاهلية القاسية الظالمة، وإذا كانوا منهيين عن قلتهم في هذه الحال وهم أولادهم، فنهيهم عن قتلهم بغير موجب أو قتل أولاد غيرهم من باب أولى وأحرى"[618] . فهذه الآية قيّدت تحريم قتل الأولاد على الآباء بخشية الفقر، والأصل أن يقال بأنّ الوالد إذا لم يخش الفقر وقتل ولده لسبب آخر فهذا يجوز، ولكنّ الشيخ بن سعدي -رحمه الله- ردّ هذا المعنى وقال بأنّ الآية لم تقصد تقريره، وإنّما ذكر فيها لأنّ أهل الجاهليّة كانوا يقتلون أولادهم بسبب خشية الفقر فتحدّثت عن غالب أحوالهم، وإلاّ فإنّه يحرم قتل الأولاد مطلقا في هذه الحالة وفي غيرها من باب أولى .

5- عند قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ**﴾ **[المؤمنون:117]** .

قال: "أي: ومن دعى مع الله آلهة غيره، بلا بيّنة من أمره ولا برهان يدلّ على ما ذهب إليه وهذا قيد ملازم، فكلّ من دعا غير الله فليس له برهان على ذلك، بل دلّت البراهين على بطلان

---

[617]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 103 .

[618]ـــ المصدر نفسه، ص 257 .

ما ذهب إليه، فأعرض عنها ظلما وعنادا، فهذا سيقدم على ربّه، فيجازيه بأعماله، ولا ينيله من الفلاح شيئا لأنّه كافر"[619] . فالأصل في هذه الآية أن يقال بأنّ من دعا إلها غير الله ببرهان فإنّه يجوز له ذلك ولكن الشيخ بن سعدي –رحمه الله– بيّن بأنّه ليس هذا هو المقصود من الآية، لأنّ قيد عدم البرهان بالنّسبة للآلهة التي تعبد من دون الله هو قيد ملازم في جميع الأحوال فكلّ من عبد غير الله فإنّه لا برهان له وهذا المعنى إنّما استنبطه الشيخ اعتمادا على القاعدة السابقة، وهي أنّ هناك آيات قيّدت أحكامها بقيود،ولكن هذه الأحكام قد تثبت ولو انتفت تلك القيود[620].

---

[619]ـــ المصدر نفسه، ص 532 .

[620]ـــ وانظر للاستزادة من تطبيقات الشيخ للقاعدة: تيسير الكريم الرحمان، في قوله تعالى: ﴿ **إِنْ أَرَادُوا إِصْلاَحًا** ﴾ ص 85، وقوله تعالى: ﴿ **بِغَيْرِ حَقٍّ** ﴾ ص 141، وقوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ...** ﴾ ص 161، وقوله تعالى: ﴿ **فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ** ﴾ ص 177، وقوله تعالى: ﴿ **وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ** ﴾ ص 202 .

المطلب الثاني عشر :

قاعدة : المحترزات في القرآن تقع في كلّ المواضع في أشد الحاجة إليها .

تقدّم بيان معنى القاعدة في الدراسة النظرية وأنّ هذه القاعدة تدلّ على سعة علم الله تعالى ورحمته، وتقدّم أيضا ضرب بعض الأمثلة عليها، وأمّا عن تطبيقات الشيخ بن سعدي لها فهي كثيرة جدا نذكر منها:

1- عند قوله تعالى: ﴿ **مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ **[البقرة:245]** .

قال: "ولما كان الإنسان ربّما توهّم أنّه إذا أنفق افتقر، دفع تعالى هذا الوهم بقوله: ﴿ **وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ** ﴾ أي: يوسع الرّزق على من يشاء ويقبضه عمن يشاء فالتّصرّف كلّه بيديه ومدار الأمور راجع إليه فالإمساك لا يبسط الرزق، والإنفاق لا يقبضة، ومع ذلك فالإنفاق غير ضائع على أهله بل لهم يوم يجدون ما قدّموه كاملا موفّرا مضاعفا"[621] . فهذه الآية ذكر فيها أنّ الله تعالى يضاعف للمنفق أمواله ما أنفق أضعافا كثيرة، والشّيخ بن سعدي ذكر في تفسير هذه الآية أنّ قوله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ** ﴾ هو دفع للإيهام الذي يقع في بعض النّفوس من أنّ المنفق سينقص ماله، ذلك أن الله تعالى هو الذي يوسّع رزقه على من يشاء ويمسكه عمّن يشاء .

2- عند قوله تعالى: ﴿ **لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَ الأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً** ﴾ **[النساء:7]** .

قال: "فكأنّه قيل: هل ذلك النصيب راجع إلى العرف والعادة، وأن يرضخوا لهم ما يشاءون ؟ أو شيئا مقدّرا فقال الله تعالى: ﴿ **نَصِيباً مَفْرُوضاً** ﴾ أي: قدره العليم الحكيم، وأيضا فههنا توهّم آخر لعلّ أحدا يتوهّم أنّ النّساء والولدان ليس لهم نصيب إلاّ من المال الكثير فأزال ذلك بقوله ﴿ **مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ** ﴾ فتبارك الله أحسن الحاكمين"[622] . فهذه الآية تضمّنت الإخبار بأنّ كلّ واحد من الورثة سواء كانوا رجالا أو نساء فإنّ له حقًّا في الميراث، والشيخ بن سعدي

---

[621]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 90 .

[622]ـــ المصدر نفسه، ص 147 .

-رحمه الله- لمّا فسّر هذه الآية ذكر بأنّ فيها محترزين: الأول: في قوله تعالى "نَصِيباً مَفْرُوضـــاً" وهو رفع للإيهام الذي قد يطرح، وهو هل قسمة الميراث محددة شرعا أم أنها ترجع إلى العرف، فأجابت الآية بأن ذلك مفروض من عند الله، والثاني: في قوله تعالى: ﴿**مِمَّا قَلَّ مِنْـــهُ أَوْ كَثُـــرَ** ﴾وهو رفع للإيهام الذي قد يطرح وهو أنّ الميراث إذا كان قليلا فإنّ النّساء والولدان ليـــس لهم فيه حقّ فدفعته الآية وأخبرت أنّهم يأخذون نصيبهم قلّ الميراث أو كثر .

3- عند قوله تعالى: ﴿**وَالْقَوَاعِدُ مِنْ النِّسَاءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ**﴾ **[النور:60]** .

قال: "﴿**وَالْقَوَاعِدُ مِنْ النِّسَاءِ**﴾ أي: اللاّتي قعدن عن الاستمتاع والشّهوة ﴿**اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحاً**﴾ أي: لا يطمعن في النّكاح، ولا يطمع فيهن وذلك لكونها عجوزا لا تُشتهى أو ذميمة الخِلقَة لا تَشتهي ولا تُشتهى﴿**فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ**﴾ أي: حرج وإثم ﴿**أَنْ يَضَـــعْنَ ثِيَـــابَهُنَّ**﴾ أي: الثياب الظاهرة كالخمار ونحو... ولمّا كان نفي الحرج عنهنّ في وضع الثّياب ربّما يـــوهم منه جواز استعمالها لكلّ شيء دفع هذا الاحتراز بقوله:﴿**غَيْرَ مُتَبَرِّجَـــاتٍ بِزِينَـــةٍ**﴾ أي: غير مظهرات للنّاس زينة... "[623] . فالشيخ بن سعدي لما فسّر هذه الآية بيّن أنّ فيها احترازا دُفع به ما يمكن توهُّمُهُ في الآية، وهو أنّ الله تعالى لمّا أباح للقواعد من النّساء وضع ثيابهنّ ربما تُوُهِّمَ أنّه يجوز لهنّ وضع جميع الثّياب، فدفع تعالى هذا الوهم بتقييد جواز وضع الثّياب بعـــدم التـــبرّج وإظهار الزّينة فزال الوهم الذي وقع أوّلا .

4- عند قوله تعالى: ﴿**وَلا تُطِعْ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ**﴾ **[الأحزاب:48]** .

قال: "ولمّا كان طائفة من النّاس، مستعدّة للقيام بصدّ الدّاعين إلى الله من الرّسل وأتباعهم، وهم المنافقون... نهى رسوله عن طاعتهم وحذّره ذلك فقال:﴿**وَلا تُطِعْ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ**﴾ أي: في كلّ أمر يصدّ عن سبيل الله ولكن لا يقتضي هذا أذاهم بل لا تطعهم ﴿**وَدَعْ أَذَاهُمْ**﴾ فإنّ ذلك جالب لهم، وداع إلى قبول الإسلام، وإلى كفّ كثير من أذيّتهم له ولأهله"[624] ، فهـــذه الآية تضمّنت تحذير الله تعالى لنبيّه ــصلى الله عليه وسلمــ من الكافرين والمنافقين، والشيخ بن

---

[623]ــ تيسير الكريم الرحمان، ص 546 .

[624]ــ المصدر نفسه، ص 637 .

سعدي –رحمه الله– لّما فسّرها ذكر بأنّها تضمّنت احترازا في قوله: ﴿ **وَدَعْ أَذَاهُمْ** ﴾ وذلك أنّه قد يتوهّم من التّحذير منهم إباحة أذيّتهم فأتى الله تعالى بهذا الاحتراز ليدفع هذا التوهّم .

5– عند قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ** ﴾ **[الطور:21]** .

قال: "ولّما كان ربّما توهّم متوهّم أنّ أهل النّار كذلك، يُلْحِقُ الله بهم أبناءهم وذريّتهم، أخبر أنّه ليس حكم الدّارين حكما واحدا، فإنّ النّار دار العدل، ومن عدله تعالى أنّه لا يعذّب أحدا إلاّ بذنب، ولهذا قال: ﴿ **كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ** ﴾ أي: مرتهن بعمله فلا تزر وازرة وزر أخرى، ولا يحمل أحد ذنب أحد، هذا اعتراض من فوائده إزالة الوهم المذكور"[625] . فالشيخ بن السعدي–رحمه الله– ذكر في هذا النّصّ بأنّ الله تعالى لّما أخبر بأنّ أهل الإيمان إذا اتّبعهم ذريّتهم بالإيمان فإنّهم سيلحقون بهم في الجنّة، ربّما توهّم متوهّم بأنّ أهل النّار كذلك، فأزال الله تعالى هذا الوهم حيث أخبر بأنّ كلّ واحد مرتهن بعمله ولا يؤاخذ أحد بذنب[626] .

---

[625]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 780 .

[626]ـــ وانظر للاستزادة من تطبيقات الشيخ للقاعدة: تيسير الكريم الرحمان، في قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْكُمْ** ﴾ ص 43، وقوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ** ﴾ ص 77، وقوله تعالى: ﴿ **فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلاَّ كَبِيرًا لَهُمْ** ﴾ ص 673، وقوله تعالى: ﴿ **وَمَالَهُ مِّنْهُم مِّنْ ظَهِيرٍ** ﴾ ص 646، وقوله تعالى: ﴿ **لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ** ﴾ ص 787 .

المطلب الثالث عشر :

قاعدة : أركان الإيمان بالأسماء الحسنى ثلاثة، إيماننا بالاسم وبما دلّ عليه من المعنى وبما تعلّق به من الآثار .

تقدّم بيان معنى هذه القاعدة كما تقدّم أيضا بيان انقسام أسماء الله عزّ وجلّ إلى قسمين: متعديّة وغير متعدّية، وأنّ الشيخ إنّما قصد بهذه القاعدة الأسماء المتعدّية، وتقدّم أيضا بيان ضرب بعض الأمثلة عليها، وهذا كلّه من النّاحية النظريّة للقاعدة . وأمّا من النّاحية التطبيقيّة لها، فإنّ المتتبّع لتطبيقات الشّيخ لها يجدها كثيرة جدا لذلك فإنّنا سنذكر بعض الأمثلة فقط، وهي كالآتي:

1- عند قوله تعالى: ﴿ **فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً** ﴾ **[النساء:43]** .

قال: "أي: كثير العفو والمغفرة لعباده المؤمنين بتيسير ما أمرهم به وتسهيله غاية التسهيل بحيث لا يشقّ على العبد امتثاله فيحرج بذلك، ومن عفوه ومغفرته أن رحم هذه الأمّة بشرع طهارة التّراب بدل الماء عند تعذّر استعماله، ومن عفوه ومغفرته أن فتح للمذنبين باب التوبة والإنابة ودعاهم إليه ووعدهم بمغفرة ذنوبهم، ومن عفوه ومغفرته أنّ المؤمن لو أتاه بقراب الأرض خطايا ثم لقيه لا يشرك به شيئا لأتاه بقرابها مغفرة"[627] ، فهذه الآية ختمها الله تعالى باسمين من أسمائه هما "العفوّ والغفور" فلمّا فسّرهما الشيخ بن سعدي طبّق القاعدة السابقة، حيث أثبت أن من أسماء الله تعالى "العفوّ والغفور" ثمّ ذكر الصّفتين المتضمّنتين في هذين الاسمين وهما أنّه تعالى متّصف بكثرة العفو والمغفرة لعباده المؤمنين، ثمّ ذكر آثارا لهذين الاسمين، والتي منها تشريعه تعالى لطهارة التّراب بدل الماء للعاجز عنه، ومنها فتحه لباب التّوبة للمذنبين .

2- عند قوله تعالى: ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ **[المائدة:98]** .

قال: "أي: ليكن هذان العلمان موجودين في قلوبكم على وجه الجزم واليقين، تعلمون أنه شديد العقاب –العاجل والآجل- على من عصاه، وأنّه غفور رحيم لمن تاب إليه وأطاعه، فيثمر لكم هذا العلم، الخوف من عقابه، والرّجاء لمغفرته وثوابه، وتعملون على ما يقتضيه الخوف والرجاء"[628] ، هذه الآية ذكر فيها الله تعالى اسمين من أسمائه وهما "الغفور والرحيم"

---

[627]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 161 .

[628]ـــ المصدر نفسه، ص 223 .

فلمّا فسّرهما الشيخ بن سعدي ذكر الأركان الثلاثة للإيمان بأسماء الله تعالى، حيث ذكر أنّ من أسمائه تعالى "الغفور والرحيم" ثمّ ذكر الصّفتين اللّتين ضمّنتا في هذين الاسمين وهما المغفرة والرّحمة للتّائب ثمّ ذكر الأثر الذي يدل عليه هذان الاسمان، وهو الرّجاء لمغفرته وثوابه، وهذه المعاني كلّها إنّما استنبطها الشيخ اعتمادا على القاعدة السابقة .

3- عند قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ** ﴾ **[لقمان:16]** .

قال: " (اللَّطِيفُ) الذي يدرك بواطن الأشياء وخفيّاتها وسرائرها الذي يسوق إلى عبده الخير ويدفع عنه الشّرّ، بطرق لطيفة تخفى على العباد، ومن لطفه أنّه يري عبده عزّته في انتقامه وكمال اقتداره، ثمّ يظهر لطفه بعد أن أشرف العبد على الهلاك"[629] ، فهذه الآية تضمّنت اسمين لله تعالى هما "اللطيف والخبير" وبتطبيق بن سعدي للقاعدة السّابقة أثبت هذين الاسمين لله تعالى، كما أثبت الصّفتين المتضمّنتين فيهما وهما أنّه سبحانه لطيف بعباده وأنّه خبير بهم يعلم بواطن الأشياء وسرائرها، كما أثبت الأثر المترتّب عليهما وهو أنّه تعالى يري عبده عزّته في انتقامه وكمال اقتداره ثم يظهر لطفه لعبده بعد أن أشرف على الهلاك .

4- عند قوله تعالى: ﴿ **وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَلِيماً** ﴾ **[الأحزاب:51]** .

قال: "أي: واسع العلم كثير الحلم، ومن علمه أن شرع لكم ما هو أصلح لأموركم وأكثر لأجوركم، ومن حلمه أن لم يعاقبكم بما صدر منكم، وما أصرّت به قلوبكم من الشر"[630] ، هذه الآية تضمّنت اسمين كريمين لله تعالى، هما: العليم والحليم، وتطبيقا من الشيخ للقاعدة السّابقة أثبت هذين الاسمين لله تعالى، وذكر الصّفتين اللّتين اشتملا عليهما وهما أنّه تعالى واسع العلم كثير الحلم، ثمّ ذكر الأثر المترتّب عليهما وهو أنّه من آثار علمه تعالى أنّه لا يشرّع إلاّ ما هو أصلح للعباد ومن آثار حلمه تعالى أنّه لا يعاقبهم على ما أصرّت به قلوبهم من الشر .

5- عند قوله تعالى: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ **[الزمر:53]** .

قال: "أي: وصفه المغفرة والرحمة وصفان لازمان ذاتيّان لا تنفكّ ذاته عنهما، و لم تزل أثارهما سارية في الوجود مالئة للموجود، تسحّ يداه من الخير آناء الليل والنّهار ويوالي النّعم على العباد

---

[629]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 516 .

[630]ـــ المصدر نفسه، ص 638 .

والفواصل في السر والجهار، والعطاء أحبّ إليه من المنع والرّحمة سبقت الغضب وغلبته"[631] . فهذه الآية تضمّنت اسمين لله تعالى هما: "الْغَفُورُ والرَّحِيمُ" والشيخ بن سعدي -رحمه الله- لمّا فسّرهما طبّق عليهما القاعدة السابقة، فأثبت هذين الاسمين لله تعالى ثم ذكر ما اشتملا عليه من أوصاف، وهما أنّه تعالى متّصف بالمغفرة ومتّصف بالرّحمة ثم ذكر الآثار المترتّبة عليهما، وهي جميع نعم الله تعالى على العباد باللّيل والنهار في السرّ والجهار، فهذه النّعم كلّها أثر من آثار معرفته ورحمته تعالى، وهذه المعاني التي استنبطها الشيخ من هذين الاسمين إنما جاءت اعتمادا من الشيخ على القاعدة السابقة، وهي أنّ أركان الإيمان بأسماء الله ثلاثة هي: إثبات الاسم، وإثبات الصفة التي تضمنها، والأثر المترتب عليها[632] .

---

[631]ـ المصدر نفسه، ص 694 .

[632]ـ وانظر للاستزادة من تطبيقات الشيخ للقاعدة: تيسير الكريم الرحمان، في قوله تعالى: ﴿ **الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ** ﴾ ص 25، وقوله تعالى: ﴿ **عَلِيًّا كَبِيرًا** ﴾ ص 158، وقوله تعالى: ﴿ **عَفُوًّا قَدِيرًا** ﴾ ص 191 وقوله تعالى: ﴿ **العَزِيزُ الحَكِيمُ** ﴾ ص 568، وقوله تعالى: ﴿ **سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴾ ص 516، وقوله تعالى: ﴿ **التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ ص 62 .

المطلب الرابع عشر :

قاعدة : إذا أمر الله بالشّيء كان ناهيا عن ضدّه، وإذا عفا عن شيء كان آمرا بضدّه، وإذا أثنى على نفسه أو على أوليائه بنفي شيء من النّقائص كان ذلك إثباتا للكمال .

سبق بيان معنى هذه القاعدة وأنّها تنقسم إلى ثلاثة فروع كما هو واضح من سَردِ الشيخ لها، كما سبق بيان اختلاف العلماء في بعض هذه الفروع، وذكرنا مثالاً على كل فرع منها، وهذا كلّه في الدراسة النظرية للقاعدة، وأمّا عن تطبيقات الشيخ بن سعدي لها في تفسيره فقد تقدّم تقسيم القاعدة إلى ثلاثة فروع، لذلك فإنّني سأعتمد في ذكر تطبيقات الشيخ لهذه القاعدة على هذا التقسيم وهو كالآتي:

الفرع الأول: الأمر بالشيء نهي عن ضده: ومن المواضع التي تدلّنا على ذلك مايلي:

1- عند قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً**﴾ **[البقرة:83]** .

قال: "أي: أحسنوا بالوالدين إحسانا، وهذا يعمّ كلّ إحسان قوليّ أو فعليّ، مما هو إحسان إليهم، وفيه نهي عن الإساءة إلى الوالدين أو عدم الإحسان والإساءة، لأنّ الواجب الإحسان، والأمر بالشيء نهي عن ضدّه وللإحسان ضدّان، الإساءة: وهي أعظم جرما، وترك الإحسان بدون إساءة وهذا محرّم، ولكن لا يجب أن يُلحق بالأوّل، وكذا يقال في صلة الأقارب واليتامى والمساكين"[633] ، فهذه الآية أمر الله تعالى فيها بالإحسان للوالدين، وهذا الأمر يستلزم حتما عدم فعل ما هو ضدّ الإحسان، وقد ذكر الشيخ بن سعدي ضدّين للإحسان وهما، الإساءة: وهي جرم كبير، وعدم الإحسان: وهو محرّم، وكلاهما منهيّ عنه، وهذه المعاني كلّها إنّما استنبطها الشيخ اعتمادا على قاعدة "الأمر بالشيء نهي عن ضده" .

2- عند قوله تعالى: ﴿**فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ **[الأنبياء:43]** .

قال: "وفي تخصيص السّؤال بأهل الذّكر والعلم نهي عن سؤال المعروف بالجهل وعدم العلم، ونهي له أن يتصدّى لذلك"[634] . فالشيخ بن سعدي استنبط من أمر الله تعالى عباده سؤال أهل

---

[633]ـــ تسير الكريم الرحمان، ص 43 .

[634]ـــ المصدر نفسه، ص 491 .

العلم أنّه تعالى ينهى عن سؤال غيرهم وهذا الاستنباط البديع إنّما استنبطه اعتمادا على القاعدة السابقة .

3- عند قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا** ﴾ **[النساء:86]** . قال: "فأمر تعالى المؤمنين أنّهم إذا حيّوا بأيّ تحية كانت أن يردوها بأحسن منها لفظا وبشاشة أو مثلها في ذلك، ومفهوم ذلك النّهي عن عدم الرد بالكلية أو ردّها بدونها"[635] . فالشيخ بن سعدي -رحمه الله- استنبط من أمر الله تعالى للمؤمنين أن يردّوا التّحيّة بمثلها أو أفضل منها، أنّه تعالى ينهى عن عدم رد التّحيّة كليّة أو الردّ بتحيّة أدنى ممّا حيّي به،وهذا المعنى إنما استنبطه اعتمادا على قاعدة "الأمر بالشيء نهي عن ضدّه" -والله أعلم-.

<u>الفرع الثاني</u>: النّهي عن الشيء أمر بضده: ومن المواضع التي تدلّنا على ذلك مايلي:

1- عند قوله تعالى: ﴿ **وَلا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ** ﴾ **[هود:84]** .

قال: "بل أوفوا الكيل والميزان بالقسط"[636] . فهذه الآية نهى الله تعالى فيها الناس أن ينقصوا في كيل ووزن الأشياء، فاستنبط الشيخ بن سعدي من هذا النّهي أنّ الله تعالى أمر عباده بتوفية كيل الأشياء وأوزانها، وهذا اعتمادا على القاعدة السابقة .

2- عند قوله تعالى: ﴿ **فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ** ﴾ **[النساء:89]** .

قال: "وهذا يستلزم عدم محبّتهم، لأنّ الولاية فرع المحبّة، ويستلزم أيضا بغضهم وعداوتهم لأنّ النّهي عن الشّيء أمرٌ بضدّه، وهذا الأمر مؤقّت بهجرتهم فإذا هاجروا جرى عليهم ما جرى على المسلمين... "[637] . فهذه الآية نهى الله تعالى فيها المؤمنين عن اتّخاذ الكفار أولياء، فاستنبط الشيخ بن سعدي من هذا النّهي أنّ الله تعالى يأمر عباده بعدم محبّتهم بل وأمر ببغضهم وعداوتهم وهذا اعتمادا على قاعدة "النّهي عن الشّيء أمر بضدّه" .

3- عند قوله تعالى: ﴿ **فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنْ الْمُعَذَّبِينَ** ﴾ **[الشعراء:213]** .

قال: "ينهى تعالى رسوله أصلا وأمّته أسوة له في ذلك، عن دعاء غير الله، من جميع المخلوقين، وأنّ ذلك موجب للعذاب الدّائم والعقاب السّرمديّ لكونه شركا... والنهي عن الشّيء أمر بضدّه، فالنّهي عن الشّرك أمرٌ بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له محبة وخوفا ورجاء وذلاّ

---

[635]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 171 .

[636]ـــ المصدر نفسه، ص 363 .

[637]ـــ المصدر نفسه، ص 172 .

وإنابة إليه في جميع الأوقات"[638] . فهذه الآية نهى الله تعالى فيها عباده أن يدعوا إلها آخر غير الله أو يعبدوه، والشيخ بن سعدي لّما فسّر هذه الآية ذكر بأنّ هذا النّهي عن عبادة غير الله يستنبط منه أنّ الله تعالى يأمر بعبادته وحده في جميع أنواع العبادات من خوف أو رجاء... إلخ، وهذا المعنى إنّما استنبطه اعتمادا على قاعدة "النّهي عن الشّيء أمر بضده" -والله أعلم- .

<u>الفرع الثالث</u>: إذا أثنى تعالى عن نفسه أو على أوليائه بنفي شيء من النّقائص ، كان ذلك إثباتا للكمال: ومن المواضع التي تدلّنا على ذلك مايلي:

1- عند قوله تعالى: ﴿**لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ**﴾ **[النساء:172]**.

قال: "لّما ذكر تعالى غلوّ النّصارى في عيسى عليه السلام، وذكر أنّه عبده ورسوله، ذكر هنا أنّه لا يستنكف عن عبادة ربّه أي: لا يمتنع عنها رغبة عنها، لا هو ولا الملائكة المقربون، فتزّههم عن الاستنكاف، وتنزيههم عن الاستكبار من باب أولى، ونفي الشّيء فيه إثبات ضدّه، أي: فعيسى والملائكة المقرّبون رغبوا في عبادة ربّهم وأحبّوها وسعوا فيها بما يليق بأحوالهم، فأوجب لهم ذلك الشّرف العظيم، والفوز العظيم، فلم يستنكفوا أن يكونوا عبيدا لربوبيّته، ولا لإلهيته بل يرون افتقارهم فوق كلّ افتقار"[639] . فهذه الآية أثنى الله تعالى فيها على وليّين من أوليائه وهما: عيسى بن مريم -عليه السلام- والملائكة، وهذا الثناء جاء بنفي استكبارهما عن عبادة الله، فالشيخ بن سعدي -رحمه الله- بتطبيقه للقاعدة السّابقة استنبط بأنّ هذا الثّناء بنفي هذا النّقص عنهما يسلتزم إثبات ضدّه، وهو أنّ عيسى -عليه السّلام- والملائكة المقرّبون رغبوا في عبادة ربّهم وأحبّوها وسعوا فيها .

2- عند قوله تعالى: ﴿**يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ**﴾ **[المائدة:54]** .

قال: "بل يقدّمون رضا ربّهم والخوف من لومه على لوم المخلوقين وهذا يدلّ على قوة هممهم وعزائمهم فإنّ ضعيف القلب ضعيف الهمّة، تنقص عزيمته عند لوم اللاّئمين وتفتقر قوّته عند عذل العاذلين، وفي قلوبهم تعبّد لغير الله، بحسب ما فيها من مراعاة الخلق، وتقديم رضاهم ولومهم على أمر الله، فلا يسلم القلب من التعبّد لغير الله، حتى لا يخاف في الله لومة لائم"[640] . فالشيخ بن سعدي استنبط من ثناء الله تعالى على عباده المؤمنين -وهم من أوليائه- بنفي

---

[638]ـ المصدر نفسه، ص 570 .

[639]ـ تيسير الكريم الرحمان، ص 196 .

[640]ـ المصدر نفسه، ص 214 .

الخوف عنهم من غير الله أنّه يثبت لهم ضدّ هذا النّقص وهو أنّهم يقدّمون رضا ربّهم والخوف من لومه على لوم المخلوقين، وهذا الاستنباط إنّما استنبطه الشيخ بالاعتماد على القاعدة السابقة .

3- عند قوله تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ (16) لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ (17)** ﴾ **[الأنبياء:16-17]** .

قال: "يخبر تعالى أنّه ما خلق السموات والأرض عبثا ولا لعبا من غير فائدة بل خلقهما بالحقّ وللحقّ ليستدل بها العباد على أنّه الخالق العظيم المدبّر الحكيم، الرّحمان الرّحيم الذي له الكمال كلّه والحمد كلّه والعزّة كلّها الصّادق في قيله، الصادقة رسله فيما تخبر عنه، وأنّ القادر على خلقهما مع سعتهما وعظمهما قادر على إعادة الأجساد بعد موتها ليجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته"[641] . فهذه الآية أثنى فيها الله تعالى على نفسه بنفي خلق السماوات والأرض لعبا ولهوا، فاستنبط الشيخ بن سعدي من هذا الثّناء منه أنّه يثبُت له ضدّه وهو أنّه خلق السّماوات بالحقّ وللحقّ ليعرف بهما العباد ربّهم تعالى فيدركون قدرته وكماله وعظمته وأنّه كما خلق السماوات والأرض فإنّه قادر على إعادة الرّوح إلى الجسد بعد موته ليجزي كلّ واحد بعمله، وهذا الاستنباط البديع إنّما استنبطه الشيخ اعتمادا على قاعدة "إذ أثنى تعالى على نفسه بنفي شيء من النقائص فإنّ ذلك يتضمّن إثباتا للكمال"[642] .

---

[641]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 492 .

[642]ـــ وانظر للاستزادة من تطبيقات الشيخ للقاعدة: تيسير الكريم الرحمان، في قوله تعالى: ﴿ **لاَ رَيْبَ فِيهِ** ﴾ ص 26، وقوله تعالى: ﴿ **وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا** ﴾ ص 43، وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَانِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا** ﴾ ص 473، وقوله تعالى: ﴿ **لاَ لَغْوٌ فِيهَا وَلاَ تَأْثِيمٌ** ﴾ ص 780، وقوله تعالى: ﴿ **وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ** ﴾ ص 89 .

المطلب الخامس عشر :

قاعدة : ما أمر الله به في كتابه إمّا أن يوجّه إلى من لم يدخل فيه، فهذا أمر له بالدخول فيه، وإمّا أن يوجّه لمن دخل فيه فهذا أمره به ليصحّح ما وجد منه ويسعى في تكميل ما لم يوجد منه .

سبق بيان معنى هذه القاعدة وأنّها تنقسم إلى فرعين هما: من أمر بأمر لم يدخل فيه فهو أمر له بالدّخول فيه، ومن أمر بأمر دخل فيه فهو أمر به بتصحيحه وتكميل ما لم يوجد منه . وقد ذكرنا بعض الأمثلة عليها وهذا كلّه من الناحية النّظريّة للقاعدة، وأمّا من ناحية تطبيقات الشيخ بن سعدي لها فإنّني سأعتمد في ذكر بعض تطبيقاته لها على التقسيم الآتي:

الفرع الأول: من أُمر بأمر قد دخل فيه: ومن المواضع التي تدلّنا على ذلك مايلي:

1- عند قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ**﴾ **[النساء:136]** .

قال: "... ومنه ما ذكره تعالى في هذه الآية من أمر المؤمنين بالإيمان فإنّ ذلك يقتضي أمرهم بما يصحّح به إيمانهم، من الإخلاص والصّدق وتجنّب المفسدات والتوبة من جميع المنقصات، وأمر هنا بالإيمان به وبرسوله وبالقرآن وبالكتب المتقدّمة، فهذا كلّه من الإيمان الواجب الذي لا يكون العبد مؤمنا إلاّ به، إجمالا فيما لم يصل إليه تفصيله، وتفصيلا فيما علم من ذلك بالتفصيل"[643] . فهذه الآية أمر الله تعالى فيها المؤمنين أن يؤمنوا بالله ورسوله وجميع الكتب، ولاشك أنّ المؤمنين قد آمنوا بالله ورسوله والكتب وإلاّ لم يسمّوا مؤمنين، ولذلك استنبط الشيخ بن سعدي اعتمادا على القاعدة السابقة أنّ الله تعالى إنّما أمر المؤمنين بتكميل إيمانهم وتصحيح ما وجد منه بالإخلاص وتجنّب المفسدات .

2- عند قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ**﴾ **[المائدة:1]** .

قال: "هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان بالوفاء بالعقود، أي: بإكمالها وإتمامها وعدم نقضها، وهذا شامل للعقود التي بينه وبين الرّسول بطاعته واتّباعه، والتي بينه وبين الأقارب ببرّهم وصلتهم وعدم قطيعتهم، والتي بينه وبين أصحابه من القيام بحقوق الصحبة في الغنى والفقر واليسر والعسر، والتي بينه وبين الخلق من عقود المعاملات كالبيع والإجارة ونحوهما وعقود التبرعات كالهبة ونحوها بل والقيام بحقوق المسلمين التي عقدها الله بينهم في

---

[643]ـ تيسير الكريم الرحمان، ص 188 .

قوله: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ **[الحجرات:10]** بالتّناصر على الحقّ والتّعاون عليه والتآلف بين المسلمين وعدم التقاطع"[644] . فهذه الآية أمر الله تعالى فيها المؤمنين أن يوفوا بالعقود، ولا شكّ أنّ كلّ مسلم لمّا أسلم فإنّه قد دخل في عقد، سواء مع الله تعالى أو مع العباد، لذلك استنبط الشيخ بن سعدي من هذا الأمر أنّ الله تعالى إنما أمر المؤمنين أن يكمّلوا هذه العقود التي دخلوا فيها بجميع أنواعها، وأن لا يبطلوها ولا يؤدوها على غير وجهها، وهذا الاستنباط إنّما استنبطه الشيخ اعتمادا على القاعدة السابقة .

3- عند قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ**﴾ **[آل عمران:102]** .

قال: "هذا أمر من الله لعباده المؤمنين أن يتّقوه حقّ تقواه وأن يستمرّوا على ذلك ويثبتوا عليه ويستقرّوا إلى الممات، فإنّ من عاش على شيء مات عليه، فمن كان في حال صحّته ونشاطه وإمكانه مداوما لتقوى ربّه وطاعته ومنيبا إليه على الدوام، ثبّته الله عند موته ورزقه حسن الخاتمة"[645] . فهذه الآية أمر الله تعالى فيها المؤمنين بتقواه سبحانه وتعالى، ولا شكّ أنّ كلّ مؤمن له نصيب من التّقوى وإلاّ فإنّه لم يدخل في مسمّى الإيمان أصلا وعليه فإنّ المؤمنين عندهم نصيب من التقوى بلا شكّ، تطبيقا من الشّيخ ابن سعدي للقاعدة السابقة، استنبط بأنّ الأمر بالتّقوى في هذه الآية، إنّما هو أمر بالاستقرار عليها والثّبات عليها حتى الممات .

<u>الفرع الثاني</u>: من أمر بأمر لم يدخل فيه: ومن المواضع التي تدلّنا على ذلك مايلي:

1- عند قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ**﴾ **[النساء: 47]** .

قال: "يأمر تعالى أهل الكتاب من اليهود والنّصارى أن يؤمنوا بالرسول محمد ـصلى الله عليه وسلمـ وما أنزل عليه من القرآن العظيم المهيمن على غيره من الكتب السابقة الذي قد صدّقها فإنها أخبرت به، فلمّا وقع المخبر به كان تصديقا لذلك الخبر"[646] . فالشيخ بن سعدي واعتمادا منه على القاعدة السابقة، استنبط أنّ الله تعالى أمر في هذه الآية أهل الكتاب من يهود ونصارى أن يؤمنوا بالنبي محمد ـصلى الله عليه وسلمـ وبالقرآن العظيم، ذلك أنّه لما بُعث النبي ـصلى الله عليه وسلمـ صار الإيمان به هو الإيمان الصائب، فمن لم يؤمن به فلا يسمّى مؤمنا، لذلك

---

[644]ـ تيسير الكريم الرحمان، ص 197 .

[645]ـ المصدر نفسه، ص 125 .

[646]ـ المصدر نفسه، ص 162.

أمرهم الله تعالى بأمر لم يدخلوا فيه بعد وهو الإيمان بالنبي ـصلى الله عليه وسلمـ وبـــالقرآن الكريم .

2- عند قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ**﴾ **[البقرة:21]** .

قال: "هذا أمر عامّ لكلّ النّاس بأمر عامّ وهو العبادة الجامعة لامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه وتصديق خبره، فأمرهم تعالى بما خلقهم له"[647] . ففي هذه الآية أمر الله تعالى جميـــع النـــاس بعبادته سبحانه ولا شكّ أنّ هؤلاء الناس منهم من دخل في عبادة ومنهم من لم يـــدخل فيهـــا بعد، فأمرهم الله تعالى أن يدخلوا في عبادته بإتيان أوامره واجتناب نواهيه .

3- عند قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ**﴾ **[الحديد:28]** .

قال: "وهذا الخطاب يحتمل أنّه خطاب لأهل الكتاب الذين آمنوا بموسى وعيســـى ـعليهمـــا السّلامـ يأمرهم أن يعملوا بمقتضى إيمانهم بأن يتّقوا الله فيتركوا معاصيه ويؤمنوا برسوله محمدا ـصلى الله عليه وسلمـ وأنّهم إن فعلوا ذلك أعطاهم الله (**كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ**) أي: نصيبين من الأجر نصيب على إيمانهم بالأنبياء الأقدمين ونصيب على إيمانهم بمحمد ـصلى الله عليه وسلمـ "[648] . فهذا الاحتمال الأول في الآية مفاده أنّ الله تعالى أمر أهل الكتاب أن يؤمنوا بالنبيّ محمّد ـصلى الله عليه وسلمـ وهم لم يؤمنوا به بعد فأخبرهم الله تعالى أنّ مقتضى إيمانهم بعيســـى- عليه السلام- أن يؤمنوا بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو أمر لم يدخلو فيه بعد، وهـــذا المعنى إنما استفاده الشيخ من الآية بتطبيقه للقاعدة السابقة[649] .

---

[647]ـ تيسير الكريم الرحمان، ص 30 .

[648]ـ المصدر نفسه، ص 807 .

[649]ـ وانظر للاستزادة من تطبيقات القاعدة: تيسير الكريم الرحمان، في قوله تعالى: ﴿**يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَئَامِنُو خَيْراً لَّكُمْ**﴾ ص 195، وقوله تعالى: ﴿**يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُو رَبّكُمْ...** ﴾ ص 30، وقوله تعالى: ﴿**يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُو رَبَّكُمْ...** ﴾

ص 505، وقوله تعالى: ﴿**يَأَيُّهَا الذينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولُ...** ﴾ ص 755، وقوله تعالى: ﴿**يَأَيُّهَا الذينَ ءَامَنُوا ادْخُلُو فِي السَّلْمِ كَآفَّةً**﴾ ص 78، وقوله تعالى: ﴿**فَلَهُ أَسْلِمُو...** ﴾ ص 510، وقوله تعالى: ﴿**اسْتَجِيبُو لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يِأْتِيَ يَوْمٌ...** ﴾ ص 728 .

المطلب السادس عشر :

قاعدة : إذا كان سياق الآيات في أمور خاصّة وأراد الله أن يحكم عليها وذلك الحكم لا يختصّ بها بل يشملها ويشمل غيرها جاء الله بالحكم العام .

تقدم بيان معنى هذه القاعدة وأنّها تدل على أنّ القرآن الكريم من جوامع الكلم كما تقدم بيان بعض الأمثلة عليها، وهذا كلّه من الناحية النظرية لها . وأمّا عن تطبيقات الشيخ بن سعدي لهذه القاعدة في تفسيره فهي كثيرة نذكر منها الأمثلة الآتية:

1- عند قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ** ﴾ **[آل عمران:161]** .

قال: "(**وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) أي: يأت به حامله على ظهره، حيوانا كان أو متاعا أو غير ذلك، ليعذّب به يوم القيامة (**ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ**) الغالّ وغيره، كلّ يوفّى أجره ووزره على مقدرا كسبه (**وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**) أي: لا يزداد في سيّئاتهم، ولا يهضمون شيئا من حسناتهم، وتأمّل حسن هذا الاحتراز في هذه الآية الكريمة لّما ذكر عقوبة الغالّ وأنّه يأتي يوم القيامة بما غلّه، ولّما أراد أن يذكر توفيته وجزاءه كان الاقتصار على الغالّ يوهم بالمفهوم أنّ غيره من أنواع العاملين قد لا يوفّون، أتى بلفظ عامّ جامع له ولغيره"[650] . فالشّيخ بن سعدي صرح بالقاعدة في هذا النص وأنّ الله تعالى لّما ذكر وعيد الغالّ يوم القيامة وأنّ الله تعالى سوف يحاسبه على فعله ذلك، عمّم سبحانه هذا الحكم على جميع الخلق وأنّهم كلّهم سوف يحاسبهم الله تعالى، وهذا التّعميم إنّما جاء حتى لا يتوهّم متوهّم أنّ الوعيد المذكور خاص بالغالّ فقط .

2- عند قوله تعالى: ﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً** ﴾ **[النساء:146]** .

قال: "وتأمّل كيف لما ذكر أنّ هؤلاء مع المؤمنين لم يقل: وسوف يؤتيهم الله أجرا عظيما، مع أنّ السّياق فيهم بل قال (**وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً**) لأنّ هذه القاعدة الشّريفة لم يزل الله يبدئ فيها ويعيد، إذا كان السياق في بعض الجزئيات وأراد أن يرتّب عليها ثوابا أو عقابا وكان ذلك مشتركا بينه وبين الجنس الداخل فيه، رتّب الثواب في مقابلة الحكم العامّ الذي تندرج تحته تلك القضية وغيرها، ولئلاّ يتوهّم اختصاص الحكم بالأمر الجزئيّ، فهذا من

---

[650]ـ تيسير الكريم الرحمان، ص 183 .

أسرار القرآن البديعة فالتّائب من المنافقين مع المؤمنين وله ثوابهم"[651] . هذا النّصّ كما هو واضح صرّح فيه الشيخ بن سعدي بالقاعدة ثم طبّقها على الآية فازدادت القاعدة وضوحا حيث ذكر بأنّ الله تعالى أخبر في هذه الآية بأنّ المنافق إذا تاب وأناب إلى ربّه سبحانه فإنّه يصير مع المؤمنين، ثمّ ذكر الله تعالى حكما عامّا للتّائب من النّفاق وللمؤمن الخالص، ثمّ لما أراد تعالى أن يذكر ثواب المؤمنين يوم القيامة لم يخصّ المؤمنين الخلّص فقط بالذكر، بل ذكر ما يفيد دخول هؤلاء ودخول المنافق التّائب وأنّ الله تعالى سيؤتي الجميع أجرا عظيما .

3- عند قوله تعالى: ﴿ **فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ (157) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً (158)** ﴾ **[الأعراف:157-158]** .

قال: "(**أُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ**) الظافرون بخيري الدنيا والآخرة والنّاجون من شرّهما لأنّهم أتوا بأكبر أسباب الفلاح، وأمّا من لم يؤمن بهذا النبيّ الأميّ ويعزّره وينصره و لم يتّبع النّور الذي أنزل معه فأولئك هم الخاسرون، ولمّا دعى أهل التوراة من بني إسرائيل إلى اتّباعه وكان ربّما توهّم متوهّم أنّ الحكم مقصور عليهم، أتى بما يدل على العموم فقال: (**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً**)، أي: عربيّكم وعجميّكم أهل الكتاب منكم وغيرهم"[652] . ففي هذه الآية أخبر الله تعالى بأنّ الذين اتّبعوا النبيّ ـصلى الله عليه وسلمـ ونصروه وعزّروه أنّهم هم المفلحون، والشيخ بن سعدي ـرحمه اللهـ لما فسّر هذه الآية ذكر هذا المعنى ثم ذكر توهّما قد يتوهّمه الإنسان وهو أنّ هذا الخطاب لما كان موجّها لأهل الكتاب ربّما توهّموا بأنّ هذا الحكم خاصّ بهم فأتى الله تعالى بما يدلّ على أنّ هذا الحكم عامّ يشملهم ويشمل غيرهم، وهو أنّ الرسول قد بعثه الله تعالى للناس جميعا أهل الكتاب وغيرهم، وهذا الاستنباط إنّما استنبطه الشيخ اعتمادا على القاعدة السابقة .

4- عند قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ **[لقمان:34]** .

قال: "(**إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ**) أي: يعلم متى مرساها... (**وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ**) أي: وهو المنفرد بإنزاله، وعلم وقت نزوله (**وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ**) فهو الذي أنشأ ما فيها وعلم ما هو، هل هو

---

[651]ـ تيسير الكريم الرحمان، ص 191 .

[652]ـ المصدر نفسه، ص 283 .

ذكر أم أنثى (**وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً**) من كسب دينها و دنياها (**وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ**) بل هو تعالى المختصّ بعلم ذلك جميعه، ولما خصّص هذه الأشياء عمّم علمه بجميع الأشياء فقال: (**إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**) محيط بالظّواهر والبواطن والخفايا والخبايا والسّرائر، ومن حكمته التّامّة أن أخفى علم هذه الخمسة عن العباد، لأنّ في ذلك من المصالح ما لا يخفى على من تدبّر ذلك)"[653] . فالشيخ بن سعدي ــرحمه اللهــ بتطبيق القاعدة السابقة استنبط بأنّ قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ إنّما جاء بعد ذكر أفراد من علم الله تعالى كعلمه بوقت السّاعة وبنزول الغيث وعلمه بما في الأرحام وكسب النفس وموتها ليدلّ على أنّ الله تعالى يعلم كلّ شيء، فعلمه لا ينحصر في المذكورات فقط بل يتعدّاها إلى ما لا يتوقّعه عقل بشر .

5- عند قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (80) بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (81)** ﴾ **[البقرة:80-81]** .

قال: "... فأخبر تعالى أنّ صدق دعواهم متوقّفة على أحد هذين الأمرين الذين لا ثالث لهما، إمّا أن يكونوا قد اتخذوا عند الله عهدا فتكون دعواهم صحيحة، وإمّا أن يكونوا متقوّلين عليه فتكون كاذبة، فيكون أبلغ لخزيهم وعذابهم... ثم ذكر تعالى حكما عامّا لكلّ أحد يدخل فيه بنوا إسرائيل وغيرهم، وهو الحكم الذي لا حكم غيره لا أمانيّهم ودعاواهم بصفة المالكين والناجحين فقال: ﴿**بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً**﴾ وهو نكرة في سياق الشرط فيعمّ المشرك فما دونه"[654] . فهذه الآية جاءت في سياق بيان دعاوى أهل الكتاب وافتراءاتهم والتي منها أنّ النّار لن تمسّهم إلاّ أيّاما معدودة ثم ينجّون منها، والشيخ بن سعدي لّما فسّر هذه الآية ذكر هذا المعنى ثم ذكر بأنّ الله تعالى لّما أراد أن يبطل هذه الدعوى والافتراء، وأنّ مثل هذه الدعاوى باطلة من أيّ أحد كانت بل إنّ كلّ من فعل سيّئة فإنّه سيحاسب عليها قال تعالى: ﴿**بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً**﴾ ليدلّ على هذا المعنى السابق ذكره، ولذلك جاء بصيغة العموم، وهذا المعنى إنّما استنبطه الشيخ بن سعدي اعتمادا على القاعدة السّابقة .

---

[653]ــ تيسير الكريم الرحمان، ص 622 .

[654]ــ المصدر نفسه، ص 42 .

المطلب السابع عشر :

قاعدة : كثيرا ما ينفي الله الشيء لانتفاء فائدته وثمرته والمقصود منه وإن كانت صورته موجودة .

سبق بيان معنى هذه القاعدة وأنّ النّفي في القرآن بأتي لأغراض عدّة منها نفي الشّيء لانتفاء ثمرته ومقصوده وهذا من الناحية النظرية، وأمّا من النّاحية التطبيقية فهناك تطبيقات كثيرة لها نذكر منها ما يلي:

1- عند قوله تعالى: ﴿ **لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ** ﴾ **[النساء:114]** .

قال: "لا خير في كثير مما يتناجى به النّاس ويتخاطبون، وإذا لم يكن فيه خير فإمّا لا فائدة فيه كمفضول الكلام المباح، وإمّا شرّ ومضرّة محضة كالكلام المحرّم بجميع أنواعه"[655] . فهذه الآية نفى الله تعالى فيها الخير عن النّجوى، والشيخ بن سعدي لما فسّر هذه الآية ذكر بأنّ هذا الخير الذي نفاه الله تعالى عن كلامهم إنّما نفاه عنه لأنّه لم يحقّق المقصود من الكلام بل ربّما حقّق ضدّ المقصود منه وهو المضرّة وذلك بالكلام المحرّم، وهذا الاستنباط إنّما استنبطه الشيخ اعتمادا منه على القاعدة السابقة .

2- عند قوله تعالى: ﴿ **وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ** ﴾ **[الأعراف:100]** .

قال: "أي: إذا نبّههم الله فلم ينتبهوا وذكّرهم فلم يتذكّروا وهداهم بالآيات والعبر فلم يهتدوا، فإنّ الله تعالى يعاقبهم ويطبع على قلوبهم، فيعلوها الرّان والدّنس حتى يختم عليها فلا يدخلها حق، ولا يصل إليها خير،ولا يسمعون ما ينفعهم وإنّما يسمعون ما به تقوم الحجّة عليهم"[656]. فهذه الآية نفى الله تعالى فيها السّمع عن الكفّار رغم أنّ لهم آذانا يسمعون بها الأصوات، وقد استنبط الشيخ بن سعدي اعتمادا على القاعدة السابقة أنّ المقصود من نفي السّمع في هذه الآية هو أنّهم لا يسمعون ما ينفعهم، وأمّا سماع الأصوات فهذا ثابت لهم .

3- عند قوله تعالى: ﴿ **مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ** ﴾ **[هود:20]** .

قال: "﴿ **مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ** ﴾ أي: من بغضهم للحقّ ونفورهم عنه، ما كانوا يستطيعون أن يسمعوا آيات الله سماعا ينتفعون به ﴿ **وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ** ﴾ أي: ينظرون نظر

---

[655]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 181 .

[656]ـــ المصدر نفسه، ص 276 .

عبرة وتفكّر فيما ينفعهم وإنّما هم كالصمّ والبكم الذين لا يعقلون"[657] . فالشيخ بن سعدي وجّه نفي السمع والبصر في هذه الآية إلى نفي الانتفاع بهما لأنّهم يسمعون ويبصرون ولكنّهم لا ينتفعون بهما، وهذا الاستنباط إنّما استنبطه الشيخ اعتمادا على القاعدة السابقة .

4- عند قوله تعالى: ﴿ **لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا لَهُمْ قُلُوبٌ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ** ﴾ **[الأعراف:179]** .

قال: "(**لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا**) أي: لا يصل إليها فقه ولا علم إلاّ جرّد قيام الحجة (**وَلَهُمْ أَعْيُنٌ** لا يُبْصِرُونَ بِهَا) ما ينفعهم بل فقدوا منفعتها وفائدتها (**وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا**) سماعا يصل معناه إلى قلوبهم (**أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ**) الذين غفلوا عن أنفع الأشياء، غفلوا عن الإيمان بالله وطاعته وذكره، خلقت لهم الأفئدة والأسماع والأبصار لتكون عونا لهم على القيام بأوامر الله وحقوقه فاستعانوا بها على ضدّ هذا المقصود... وأما من استعمل هذه الجوارح في عبادة الله وانصبغ قلبه بالإيمان بالله ومحبّته و لم يغفل عن الله، فهؤلاء أهل الجنّة وبأعمال أهل الجنّة يعملون"[658] . فهذه الآية نفى الله تعالى فيها ثلاثة أشياء عن الكفّار وهي نفي الفقه عن قلوبهم ونفي البصر عن أعينهم ونفي السّمع عن آذانهم، والشيخ بن سعدي لمّا فسّر هذه الآية، ذكر بأنّ المقصود من نفي هذه الأشياء عن الكفّار إنّما هو نفي الانتفاع بها، لأنّ الله تعالى خلقها لتكون عونا لهم على القيام بأوامر الله وحقوقه، فلمّا استعانوا بها على ضدّ هذا المقصود نفاها الله تعالى عنهم، وهذا الاستنباط من الشّيخ إنّما استنبطه بالاعتماد على القاعدة السابقة .

5- عند قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ** ﴾ **[الأنفال:22]** .

قال: "(**الصُّمُّ**) عن استماع الحقّ (**الْبُكْمُ**) عن النطق به (**الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ**) ما ينفعهم ويؤثرونه على ما يضرّهم فهؤلاء شرّ عند الله من جميع الدّوابّ لأنّ الله أعطاهم أسماعا وأبصارا وأفئدة ليستعملوها في طاعة الله، فاستعملوها في معاصيه وعدموا -بذلك- الخير الكثير، فإنّهم كانوا بصدد أن يكونوا من خيار البريّة فأبوا هذا الطريق واختاروا لأنفسهم أن يكونوا من شرّ البريّة"[659] . فالشيخ بن سعدي كما هو واضح في هذا النّص استنبط من نفي الله تعالى عن

---

[657]ـ تيسير الكريم الرحمان، ص 356 .

[658]ـ المصدر نفسه، ص 287 .

[659]ـ المصدر نفسه، ص 529 .

الكفار السمع والكلام والعقل أنّ المقصود بهذا النّفي هو نفي الانتفاع بهذه الحواسّ وعدم أدائها لمقصودها الذي خلقت لهم من أجله فإنّها خلقت لهم ليستعملوها في طاعة الله، فلمّا استعملوها في معصيته صارت كالمنفيّة عنهم وكأنّهم لم يتّصفوا بها، وهذا الاستنباط إنّما استنبطه الشـــيخ اعتماداً على القاعدة السّابقة وهي أنّ الله تعالى حين ينفي الشّيء مع وجود صورته فإنّ المقصود بهذا النّفي هو نفي الانتفاع به وحصول ثمرته ومقصوده[660] .

---

[660]ـــ وانظر للاستزادة من تطبيقات الشيخ للقاعدة : تيسير الكريم الرحمان، في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ** ﴾ ص 271، وقوله تعالى: ﴿ **وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ** ﴾ ص 920، وقوله تعالى: ﴿ **الذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لاَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا** ﴾ ص 640، وقوله تعالى: ﴿ **أُولَئِكَ الذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ** ﴾ص 754، وقوله تعالى: ﴿ **فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ** ﴾ ص 711.

المطلب الثامن عشر :

قاعدة : إذا أراد الله إظهار شرف أنبيائه وأصفيائه بالصّفات الكاملة أراهم نقصها في غيرهم من المستعدّين للكمال .

سبق بيان معنى هذه القاعدة وضرب أمثلة عليها، وهذا كلّه من الناحية النظرية لها . وأمّا من النّاحية التطبيقيّة لهذه القاعدة فهناك تطبيقات كثيرة لها نذكر من ذلك ما يلي:

1- عند قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً (142) مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلْ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً (143)**﴾ **[النساء:142-143]** .

قال: "أي: متردّدين بين فريق المؤمنين وفريق الكافرين فلا من المؤمنين ظاهرا وباطنا، ولا من الكافرين ظاهرا وباطنا،أعطوا باطنهم للكافرين وظاهرهم للمؤمنين وهذا أعظم ضلال يقدّر... فهذه الأوصاف المذمومة تدلّ بتنبيهها على أنّ المؤمنين متصّفين بضدّها من الصدق ظاهرا وباطنا والإخلاص، وأنّهم لا يجهل ما عندهم ونشاطهم في صلاتهم وعباداتهم وكثرة ذكرهم لله تعالى وأنهم قد هداهم الله ووفّقهم للصّراط المستقيم"[661] . فالشّيخ بن سعدي لمّا فسّر الآية السابقة، استنبط من ذكر الله تعالى لصفات المنافقين وذمّهم بها، أنّه تعالى أراد إظهار شرف أوليائه من المؤمنين، لذلك ذكر الشيخ بعض الصّفات الحميدة للمؤمنين وهذا الاستنباط إنّما هو تطبيق منه للقاعدة السّابقة .

2- عند قوله تعالى: ﴿**قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾ **[المائدة:24]** .

قال: "فما أشنع هذا الكلام منهم ومواجهتهم لنبيّهم فيه في هذا المقام الحرج الضّيق الذي قد دعت الحاجة والضّرورة إلى نصرة نبيّهم وإعزاز أنفسهم، وبهذا وأمثاله يظهر التّقارب بين سائر الأمم وأمّة محمد ـصلى الله عليه وسلمـ حيث قال الصحابة لرسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ حين شاورهم في القتال يوم "بدر" مع أنّه لم يحتّم عليهم "يا رسول الله لو خضت بنا البحر لخضناه معك ولو بلغت بنا برك الغماد ما تخلّف عنك أحد ولا نقول كما قال قوم موسى لموسى: (**فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**) ولكن نقول: (اذهب أنت وربّك

---

[661]ـ تيسير الكريم الرحمان، ص 190 .

فقاتلا إنّا معكما مقاتلون، من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن يسارك"[662] [663] .

فهذه الآية قص فيها الله تعالى علينا موقفا من الموافق المخزية لبني إسرائيل مع موسى ـعليه السلامـ والشيخ بن سعدي لما فسّر هذه الآية، ذكر بأنّ الله تعالى يذكر مثل هذه المواقف ليبيّن شرف أوليائه وأصفيائه ففي مقابل ذلك الموقف المخزي لبني إسرائيل ذكر الشيخ موقفا شجاعا وإيمانيا للصّحابة مع النبي ـصلى الله علية وسلمـ في غزوة بدر فتبيّن به شرف الصحابة ومكانتهم وأنّهم من أولياء الله تعالى .

3- عند قوله تعالى: ﴿ **وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ** ﴾ **[إبراهيم:3]** .

حيث قال: "(**أُوْلَئِكَ**) الذين ذكر وصفهم (**فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ**) لأنّهم ضلّوا وشاقّوا الله ورسوله، وحاربوهما، فأيّ ضلال أبعد من هذا ؟! وأمّا أهل الإيمان فبعكس هؤلاء يؤمنون بالله وآياته، ويستحبّون الآخرة على الدنيا ويدعون إلى سبيل الله، ويحسنونها مهما أمكنهم ويبيّنون استقامتها"[664] . ففي هذه الآية ذكر تعالى صفة من صفات الكفّار وهي أنهم يقبّحون ويشوّهون سبيل الله تعالى لينفر الناس عنها، والشيخ بن سعدي لّما فسّر هذه الآية استنبط من ذمّ الله تعالى للكفّار بهذه الصفة أنّ أهل الإيمان الذين هم أولياء الله بعكس تلك الصفة الذّميمة للكفّار بل هؤلاء يؤمنون بآيات الله وينقادون لشرعه ويبيّنون محاسن الدّين مهما أمكنهم، وهذا الاستنباط من الشّيخ إنّما استنبطه بالاعتماد على القاعدة السابقة .

4- عند قوله تعالى: ﴿ **قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ **[يونس:81]** .

قال: "فإنّهم يريدون بذلك نصر الباطل على الحق وأيّ فساد أعظم من هذا، وهكذا كلّ مفسد عملا، واحتال كيدا، أو أتى بمكر، فإنّ مآله الاضمحلال والمحق، وأمّا المصلحون الذين قصدهم بأعمالهم وجه الله تعالى، وهي أعمال ووسائل نافعة مأمور بها، فإن الله سيصلح أعمالهم ويرقّيها وينمّيها على الدّوام"[665] . فهذه الآية ذكر الله تعالى فيها إبطاله لعمل المفسدين من السّحرة وغيرهم ممّن يدّعي الكمال في الأمور، فاستنبط الشيخ بن سعدي من هذا أنّ الله تعالى لّما أراد

---

[662]ـ رواه أحمد: مسند أنس بن مالك-رضي الله عنه-، ج 29 ص 193، رقم(17645) وصححه الألباني في الصحيحة ج 9 ص 120 .

[663]ـ تيسير الكريم الرحمان، ص 206 .

[664]ـ المصدر نفسه، ص 396 .

[665]ـ المصدر نفسه، ص 348 .

بيان كمال نبّيه موسى ـعليه السلامـ وغيره من المصلحين الذين قصدهم وجه الله تعالى، ذكر إبطاله لأعمال المفسدين فتبيّن شرف هؤلاء المصلحين وقدرهم، وهذا الاستنباط من الشّيخ إنّما هو تطبيق للقاعدة السابقة .

5- عند قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمْ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمْ اللاَّعِنُونَ**﴾ **[البقرة:159]** .

قال: "(**وَيَلْعَنُهُمْ اللاَّعِنُونَ**) وهم جميع الخليقة، لسعيهم في غشّ الخلق وفساد أديانهم وإبعادهم من رحمة الله، فجُوزوا من جنس عملهم كما أنّ معلّم النّاس الخير يصلّي الله عليه وملائكته حتى الحوت في جوف الماء، لسعيه في مصلحة الخلق وإصلاح أديانهم وقربهم من رحمة الله فجوزي من جنس عمله"[666] . فالشيخ بن سعدي استنبط من هذه الآية التي ذكر الله تعالى فيها لعنته ولعنة اللاّعنين للذين يكتمون ما أنزل الله تعالى من البيّنات والهدى أنّه ظهر شرف أهل العلم الذين يعلّمون النّاس الخير ولا يكتمون ما أنزل الله فإنّ لهم فضلا وشرفا عظيما، وهذا الاستنباط إنّما استنبطه الشّيخ اعتمادا على قاعدة "إذا أراد الله تعالى إظهار شرف أنبيائه وأصفيائه بالصفات الكاملة أراهم نقصا في غيرهم من المستعدين للكمال"[667] .

---

[666]ـ تيسير الكريم الرحمان، ص 62 .

[667]ـ وانظر للاستزادة من تطبيقات الشيخ للقاعدة: تيسير الكريم الرحمان، في قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ**﴾ ص 210 وقوله تعالى: ﴿**يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَفْقَهُونَ**﴾ ص 303 وقوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ ص 838 وقوله تعالى: ﴿**إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ**﴾ ص 773 وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ**﴾ ص 595 .

المطلب التاسع عشر :

قاعدة : ذكر الأوصاف المتقابلات يغني عن التّصريح بالمفاضلة إذا كان الفرق معلوما .

تقدم بيان معنى هذه القاعدة وأنّها تدلّ على بلاغة القرآن وعظمته، كما تقدّم ضرب بعض الأمثلة عليها وهذا كله من الناحية النظريّة للقاعدة . وأمّا عن تطبيقات الشيخ بن سعدي لها فهي كثيرة نذكر منها:

1- عند قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلا تَذَكَّرُونَ**﴾ **[هود:24]** .

قال: "(**مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ**) أي: فريق الأشقياء وفريق السعداء (**كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ**) هؤلاء الأشقياء (وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ) مثل السعداء (**هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً**) لا يستوون بل بينهما من الفرق ما لا يأتي عليه الوصف (**أَفَلا تَذَكَّرُونَ**) الأعمال التي تنفعكم فتفعلوها، والتي تضرّكم فتتركوها"[668] .

فهذه الآية عقدت فيها مقابلة بين فريق السّعداء وفريق الأشقياء ثم ختمت بسؤال عن تساوي الفريقين أو عدمه، و لم يذكر الجواب عن هذا السؤال، فالشيخ بن سعدي لّما فسّر هذه الآية، ذكر الجواب المحذوف وهو أنّهما لا يستويان وأشار إلى سبب عدم تصريح الله تعالى للمفاصلة بينهما، وهو أنّ بينهما من الفرق ما لا يأتي عليه وصف،

وما دام التّفاضل واضحا بينهما فإنّه لم يُصرَّح به في الآية لانعدام الفائدة من ذكره ، وهذا الاستنباط من الشّيخ إنّما هو تطبيق للقاعدة السابقة .

2- عند قوله تعالى: ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾ **[يوسف:39]** .

قال: "أي: أأرباب عاجزة ضعيفة لا تنفع ولا تضرّ ولا تعطي ولا تمنع، وهي متفرّقة ما بين أشجار وأحجار وملائكة وأموات وغير ذلك من أنواع المعبودات التي يتّخذها المشركون أتلك (**خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ**) الذي له صفات الكمال (**الْوَاحِدُ**) في ذاته وأفعاله فلا شريك له في شيء من ذلك (**الْقَهَّارُ**) الذي انقادت الأشياء لقهره وسلطانه فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ومن المعلوم أنّ من هذا شأنه ووصفه خير من الآلهة المتفرّقة التي هي مجرّد أسماء لا كمال لها ولا أفعال

---

[668]ـ تيسير الكريم الرحمان، ص 365 .

لديها"[669] . فالشيخ بن سعدي كما هو موضّح في هذا النّص قدّر جواب الاستفهام الذي ورد في هذه الآية، وهو استفهام عن المفاضلة بين الله الواحد وبين الأرباب المتفرّقة من أشجار وأحجار وغيرها وتقديره أنّهما لا يستويان وهو فرق معلوم واضح لذلك لم يصرّح به في الآية، وهذا تطبيق من الشيخ للقاعدة السابقة .

3- عند قوله تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾ **[الرعد:19]** .

قال: "(**أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ**) ففهم ذلك وعمل به (**كَمَنْ هُوَ أَعْمَى**) لا يعلم الحقّ ولا يعمل به، فبينهما من الفرق كما بين السماء والأرض، فحقيق بالعبد أن يتذكّر ويتفكّر أيّ الفريقين أحسن حالا وخير مآلا فيؤثر طريقهما ويسلك خلف فريقهما، ولكن ما كلّ أحد يتذكّر ما ينفعه ويضرّه"[670] . فهذه الآية ذُكرت فيها مفاضلة بين صنفين من الناس، العالم بآيات الله والأعمى الذي لا يعلمها و لم يُصرَّح فيها بالأفضل منهما، فالشيخ بن سعدي لما فسّر هذه الآية ذكر المفاضلة بينهما وأنّ الفرق بينهما كما بين السماء والأرض، وهو فرق واضح لذلك لم يذكر في الآية و لم يصرح به، وهذا تطبيق منه للقاعدة السابقة .

4- عند قوله تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ **[الملك:22]** .

قال: "أي: أيّ الرّجلين أهدى ؟ من كان تائها في الضلال، غارقا في الكفر قد انعكس قلبه فصار الحق عنده باطلا والباطل حقا ؟ ومن كان عالما بالحقّ مؤثرا له عاملا به يمشي على الصراط المستقيم في أقواله وأعماله وجميع أحواله ؟ فمجرّد النّظر إلى حال هذين الرّجلين يعلم الفرق بينهما، والمهتدي من الضالّ منهما والأحوال أكبر شاهد من الأقوال"[671] . فالشيخ بن سعدي لما فسّر هذه الآية التي ذُكرت فيها المفاضلة بين الماشي على نور وعلم وبين الماشي في ظلام وجهل، ذكر بأنّ الفرق بينهما معلوم لا يحتاج إلى تصريح، لأنّه فرق كما بين السماء والأرض وهو يعلم بمجرّد أدنى نظر لذلك لم يذكر، وهذا تطبيق من الشيخ للقاعدة .

5- عند قوله تعالى: ﴿ **أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ** ﴾ **[البقرة:140]** .

---

[669]ـــ المصدر نفسه، ص 374 .

[670]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 392 .

[671]ـــ المصدر نفسه، ص 839 .

قال: "... فإمّا أن يكونوا هم الصادقين العاملين، أو يكون الله تعالى هو الصادق العالم بذلك، فأحد الأمرين متعيّن لا محالة وصورة الجواب مبهم، وهو في غاية الوضوح والبيان، حتى إنّه من وضوحه لم يحتج أن يقول: بل الله أعلم وهو أصدق ونحو ذلك لانجلائه لكلّ أحد، كما إذا قيل الليل أنور أم النهار؟ والنار أحرّ أم الماء ؟ والشّرك أحسن أم التوحيد ؟ ونحو ذلك"[672] . فهذا النّص صرّح فيه الشيخ بن سعدي بالقاعدة تصريحا واضحا، حيث ذكر بأنّ الله تعالى لّما ذكر في الآية: هل الله أعلم أم أهل الكتاب؟ لم يحتج هذا الاستفهام لذكر الجواب والتصريح به، لأنّ الفرق في غاية الوضوح والبيان وهو منجل لكلّ أحد، فكان ذكره والتّصريح به لا فائدة فيه، وهذا الاستنباط البديع من الشيخ إنّما هو تطبيق منه لقاعدة" ذكر الأوصاف المتقابلات يغني عن التصريح بالمفاصلة إذا كان الفرق معلوما"[673] .

هذه هي أهم التطبيقات التي يمكن ذكرها مما جمعته من تفسير الشيخ بن سعدي، وهي تدل على أن الشيخ قد طبق في تفسيره جميع القواعد التي نظّر لها –والله أعلم– .

وفي ختام هذا الفصل يمكن أن نصل إلى النتائج الآتية:

1– أن تفسير الشيخ بن سعدي تفسير جيّد يفهمه غالب المسلمين لسهولة عبارته وسلاسة ألفاظه، وهو يصلح أن يكون أرضيّة ينطلق منها طالب العلم ليلج ويغوص في كتب التفسير المطوّلة .

2– أن الشيخ طبّق في تفسيره جميع القواعد التي نظّر لها بجميع فروعها التي اشتملت عليها وذلك في المواضع المناسبة لها، كما سبق بيان ذلك بالتفصيل .

3– أن الشيخ كان ينوّع في طريقة تطبيقه للقواعد حيث كان أحيانا يصرّح بالقاعدة وأحيانا يطبّقها بدون تصريح .

---

[672]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 55 .

[673]ـــ وانظر للاستزادة من تطبيقات الشيخ للقاعدة: تيسير الكريم الرحمان، في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ لاَ يَسْتَوِي الخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ** ﴾ ص 224، وقوله تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الذِينَ يَعْلَمُونَ وَالذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾ ص 687، وقوله تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمَّن يَّأْتِي آمِنًا يَّوْمَ القِيَامَةِ** ﴾ ص 717، وقوله تعالى: ﴿ **أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ** ﴾ ص 138، وقوله تعالى: ﴿ **أَمْ نَجْعَلُ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ** ﴾ ص 679 .

4- أن قواعد التفسير إذا غلب ذكرها في تفسير معين، فإنها تزيده قوة وصلابة ويقل طعن العلماء فيه .

5- أن تطبيقات الشيخ لهذه القواعد كانت تختلف قلة وكثرة على حسب طبيعة القاعدة وما تشتمل عليه من فروع .

هذه هي أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال رحلتي مع هذا الفصل التطبيقي للبحث .

الخاتمة

الخاتمة:

أحمد الله تعالى الذي أعانني على إنجاز هذا البحث الموسوم بـــ : "قواعد التفسير بين التنظير والتطبيق عند الشيخ عبد الرحمان بن سعدي" ، وبعد الرحلة العلمية الشّاقّة والطّويلة التي عشتها مع هذا البحث توصلت إلى النتائج الآتية:

1- إن علم قواعد التفسير مازال لم ينضج بعد كباقي العلوم الشرعية، بل إنه مازال في بدايـــة نشأته لذلك فإن مصطلحاته ومفاهيمه لم تتحدّد بعد و لم يفصل العلماء في معانيها .

2 - إن مفهوم مصطلح "قواعد التفسير" واسع عند الشيخ بن سعدي لأنه يشمل حتى الكليات القرآنية وبعض القواعد الفقهية وغيرها كما سبق ذكر ذلك في الكلام على كتاب "القواعـــد الحسان" .

3- إن غالب القواعد التي ذكرها الشيخ بن سعدي في كتابه "القواعد الحسان" قد وافق فيهـــا جمهور العلماء .

4- إن كتاب "القواعد الحسان" يعدّ من الكتب المهمة في علم قواعد التفسير وذلك لاشتماله على قواعد مهمة لا يستغني عنها كلّ من أراد الكلام في تفسير كتاب الله تعالى .

5- إن تفسير الشيخ ابن سعدي تفسير جيّد يفهمه غالب المسلمين لسهولة عبارته وسلاســـة ألفاظه، وهو يصلح أن يكون أرضية ينطلق منها طالب العلم ليلج ويغوص في كتب التفســـير المطولة .

6- إن تفسير الشيخ ابن سعدي يصلح أن يكون أرضية يتدرب عليها المبتدئ في علم "قواعد التفسير" ليعرف مواضع تطبيق القواعد وكيفيّات تطبيقها فلا يقع في الأخطاء .

7- إن الشيخ بن سعدي طبّق في تفسيره جميع القواعد التي نظّر لها بجميع فروعها التي اشتملت عليها، وذلك في المواضع المناسبة لها .

8- إن الشيخ كان ينوّع في طريقة تطبيقه للقواعد حيث كان أحيانا يصرّح بالقاعدة وأحيانـــا يطبّقها بدون تصريح .

9- إن تطبيقات الشيخ لهذه القواعد كانت تختلف قلّة وكثرة على حسب طبيعة القاعدة ومـــا تشتمل عليه من فروع .

10- إن هناك بعض القواعد التي اعتمد عليها الشيخ في تفسيره و لم ينظّر لها وقد جعلتها على شكل ملحق في آخر البحث .

وفي الأخير أوجه طلبا والتماسا إلى طلبة الدراسات العليا -تخصص تفسير وعلوم القـــرآن- أن يتوجهوا في بحوثهم الأكاديمية إلى الكتابة في علم "قواعد التفسير" حتى يستفيدوا لأنفسهم أولا، ثم يفيدوا أمتهم ويغنوا مكتبة التفسير التي مازالت تعاني نقصا كبيرا من قلة البحـــوث في هـــذا العلم. -وفق الله الجميع-

الملحق

الملحق :

وهو يتضمن القواعد التي طبقها الشيخ بن سعدي في تفسيره و لم ينظّر لها في كتابه "القواعد الحسان"، وهي كثيرة قمت بجمعها أثناء قراءتي لتفسير الشيخ، وجعلتها على شكل ملحق في آخر البحث إتماما للفائدة المرجوّة منه، إلا أنّني ذكرت في هذا الملحق بعض القواعد فقط و لم أستوف ذكر جميعها، كما أنني لم أتعرض لشرحها بل اكتفيت بذكرها وضرب مثال واحد عليها وهي كالآتي:

– **القاعدة الأولى**: "تقديم المعمول يفيد الحصر" ومن المواضع التي طبّق فيها الشيخ هذه القاعدة ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ **[الفاتحة:5]** .

حيث قال: "أي: نخصّك وحدك بالعبادة والاستعانة، لأن تقديم المعمول يفيد الحصر، وهو إثبات الحكم المذكور ونفيه عمّا عداه فكأنه يقول: نعبدك ولا نعبد غيرك ونستعين بك ولا نستعين بغيرك"[674] .

– **القاعدة الثانية**: "ذكر الخاص بعد العام يدل على أهمية ذلك الخاص" ومن المواضع التي طبّق فيها الشيخ هذه القاعدة ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ** ﴾ **[البقرة:30]** .

حيث قال: "وهذا تخصيص بعد تعميم لبيان شدة مفسدة القتل"[675] .

– **القاعدة الثالثة**: "ذكر العام بعد الخاص يدل على شرف ذلك الخاص" ومن المواضع التي طبّق فيها الشيخ هذه القاعدة ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً (66) وَإِذاً لآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْراً عَظِيماً (67) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً (68)** ﴾ **[النساء:66–68]** .

حيث قال: "(الرابع) الهداية إلى صراط مستقيم، وهذا عموم بعد خصوص، لشرف الهداية إلى الصراط المستقيم من كونها متضمّنة للعلم بالحقّ ومحبته وإيثاره به والعمل به، وتوقف السعادة والفلاح على ذلك، فمن هدي إلى صراط مستقيم، فقد وفق لكل خير واندفع عنه كل شر وضير"[676] .

---

[674]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 25 .

[675]ـــ المصدر نفسه، ص 34 .

[676]ـــ المصدر نفسه، ص 166 .

- **القاعدة الرابعة:** "ثبوت الشيء يستلزم نفي ضده" ومن المواضع التي طبّق فيها الشيخ هذه القاعدة ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً**﴾ **[النساء:66]** .

حيث قال: "أي: لكانوا من الأخيار المتّصفين بأوصافهم من أفعال الخير التي أمروا بها، أي: وانتفى عنهم بذلك صفة الأشرار لأن ثبوت الشيء يستلزم نفي ضده"[677] .

- **القاعدة الخامسة:** "الضمير في القرآن الكريم يحتمل أنه يعود إلى أقرب مذكور، ويحتمل أنه يعود على غيره إذا دلّت قرينة على ذلك" ومن المواضع التي طبّق فيها الشيخ هذه القاعدة ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنْ الصَّالِحِينَ (85) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (86)**﴾ **[الأنعام 84-86]** .

حيث قال: "يحتمل أنّ الضمير عائد إلى نوح لأنه أقرب مذكور، لأنّ الله ذكر مع من ذكر لوطا وهو من ذرية نوح، لا من ذرية إبراهيم لأنه ابن أخيه، ويحتمل أن الضمير يعود إلى إبراهيم، لأن السياق في مدحه والثناء عليه"[678] .

- **القاعدة السادسة:** "المضاف إلى الله تعالى في القرآن، إذا لم يكن ذاتا قائمة بنفسها فهو مضاف إلى الله تعالى إضافة تشريف" ومن المواضع التي طبّق فيها الشيخ هذه القاعدة ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَطَهِّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾ **[البقرة:26]** . حيث قال: "أي: من الشرك والمعاصي ومن الأنجاس والأدناس، وأضافه الرحمان إلى نفسه لشرفه وفضله ولتعظيم محبته في القلوب، وتنصبّ إليه الأفئدة من كلّ جانب، وليكون أعظم لتطهيره وتعظيمه لكونه بيت الرّب"[679] .

- **القاعدة: السابعة:** "إذا أمر الله تعالى نبيه ـصلى الله عليه وسلمـ بأمر فإن أمته تبع له في ذلك لأنه هو الأسوة الحسنة" ومن المواضع التي طبّق فيها الشيخ هذه القاعدة ما ذكره في تفسير

---

[677]ـ تيسير الكريم الرحمان، ص 166 .

[678]ـ المصدر نفسه، ص 241 .

[679]ـ المصدر نفسه، ص 509 .

قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ أَحَدٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَـــأْمَنَهُ** ﴾ **[التوبة:6]** .

حيث قال: "... ثم إن أسلم فذاك وإلاّ فأبلغه مأمنه أي: المحلّ الذي يأمن فيه، والسبب في ذلك أن الكفار قوم لا يعلمون، فربّما كان استمرارهم على كفرهم بجهل منهم، إذا زال اختـــــاروا عليه الإسلام، فلذلك أمر الله رسوله، وأمته أسوته في الأحكام: أن يجيروا من طلب أن يســـمع كلام الله"[680] .

- **القاعدة الثامنة:** "إذا اقترن اسمان من أسماء الله تعالى الحسنى، فإن ذلك الاقتران يدل على معنى زائد على ذكر أحدهما منفردا عن الآخر" ومن المواضع التي طبّق فيها الشيخ هذه القاعدة ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيّاً حَمِيداً** ﴾ **[النساء:131]** .

حيث قال: "... وما أحسن اقتران هذين الاسمين (الغني الحميد) فإنه غني محمود، فله كمال من غناه وكمال من حمده وكمال إذا اقترن أحدهما بالآخر"[681] .

- **القاعدة التاسعة:** "كل فعل مدح الله تعالى فاعله في القرآن فهو مما يحبه وإذا كان يحبه فهو مما أمر به" ومن المواضع التي طبّق فيها الشيخ هذه القاعدة ما ذكره في تفســـير قـــوله تعـــالى: ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ** ﴾ **[الكهف:28]**.

حيث قال: "وفي الآية استحباب الذكر والدعاء والعبادة طرفي النهار، لأن الله مدحهم بفعلـــه، وكلّ فعل مدح الله فاعله، دل ذلك على أنه يحبه، وإذا كان يحبّه فإنه يأمر به ويرغّب فيه"[682] .

- **القاعدة العاشرة:** "الجمع المضاف يفيد العموم" ومن المواضع التي طبّق فيها الشيخ هـــذه القاعدة ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـــاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً** ﴾ **[الكهف:107]** .

---

[680]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 306 .

[681]ـــ المصدر نفسه، ص 187.

[682]ـــ المصدر نفسه، ص 449.

حيث قال: "... يحتمل أن المراد بجنات الفردوس أعلى الجنة وأوسطها وأفضلها... ويحتمل أن يراد جميع منازل الجنان... وهذا المعنى أولى المعنيين لعمومه ولذكر الجنة بلفظ الجمع المضـــاف إلى الفردوس..."[683] .

- **القاعدة الحادية عشر**: "المعنى الذي يدل عليه المضاف، يكون بحسب ما أضيف إليه" ومن المواضع التي طبّق فيها الشيخ هذه القاعدة ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ** ﴾ **[الشورى:22]** .

حيث قال: "أي: الروضات المضافة إلى الجنات، والمضاف يكون بحسب المضاف إليه، فلا تسأل عن بهجة تلك الرياض المونقة، وما فيها من الأنهار المتدفّقة، والفياض المعشّبة، والمناظر الحسنة، والأشجار المثمرة، والطيور المغردة، والأصوات الشجية المطربة، والاجتمـــاع بكـــلّ حـــبيب، والأخذ من المعاشرة والمنادمة بأكمل نصيب"[684] .

- **القاعدة الثانية عشر**: "تقديم الظرف يفيد الحصر" ومن المواضع التي طبّق فيها الشيخ هذه القاعدة ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ** ﴾ **[الزخرف:85]** .

حيث قال: "قدّم الظرف ليفيد الحصر، أي: لا يعلم متى تجيء الساعة إلاّ هو"[685] .

- **القاعدة الثالثة عشر**: "اختلا ف السلف في التفسير هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد" ومن المواضع التي طبّق فيها الشيخ هذه القاعدة ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ **[الجمعة:3]** .

حيث قال: "أي: من غير الأمّيين، ممّن يأتي بعدهم، ومن أهل الكتاب لما يلحقوا بهم، أي: فيمن باشر دعوة الرسول، ويحتمل أنهم لّما يلحقوا بهم في الفضل، ويحتمل أن يكونوا لّما يلحقوا بهم في الزمان، وعلى كلّ فكلا المعنيين صحيح"[686] .

- **القاعدة الرابعة عشر**: "التّنكير يدلّ على التعظيم في بعض المواضع" ومن المواضع التي طبّق فيها الشيخ هذه القاعدة ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ **أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ** ﴾ **[البقرة: 5]** .

---

[683]ـــ المصدر نفسه، ص 361 .

[684]ـــ تيسير الكريم الرحمان، ص 724 .

[685]ـــ المصدر نفسه، ص 737.

[686]ـــ المصدر نفسه، ص 824 .

حيث قال: "أي: على هدى عظيم، لأن التنكير للتعظيم، وأيّ هداية أعظم من تلك الصـــفات المذكورة المتضمنة للعقيدة الصحيحة والأعمال المستقيمة"[687] .

هذه هي أهم القواعد التي طبقها الشيخ بن سعدي في تفسيره و لم ينظّر لها في كتابه "القواعد الحسان"، اجتهدت في جمعها أثناء قراءتي لتفسيره وذلك مما يزيد دلالة على أن الشيخ اعتمـــد في تفسيره للقرآن على قواعد كثيرة جدا، لذلك جاء تفسيرا مؤصّلا مقعّدا .

أسأل الله تعالى أن ينفعني بمعرفة هذه القواعد وينفع قارئها وييسر لنا حسن استعمالها وتطبيقها في كتابه، – والحمد لله رب العالمين– .

---

[687]ـــ المصدر نفسه، ص 27 .

ملخص البحث

ملخص البحث:

هذا البحث هو عبارة عن دراسة في قواعد التفسير عند علم من الأعلام المعاصرين وهو الشيخ عبد الرحمان بن ناصر السعدي، حيث ألّف هذا العَلَمُ كتابين عظيمين في هذا المجال هما: كتاب "القواعد الحسان" وهو عبارة عما يقارب سبعين قاعدة في التفسير كما ذكر ذلك المؤلف، والكتاب الثاني هو كتاب "تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان" وهو عبارة عن تفسير كامل للقرآن الكريم، فبحث عن العلاقة بين الكتابين من حيث تطبيق الشيخ بن سعدي للقواعد التي نظّر لها أو عدم تطبيقه لها، وأَتْبَعْتُ هذا البحث بملحق ذكرت فيه بعض القواعد التي اعتمدها الشيخ في تفسيره ولكنه لم يذكرها في كتابه "القواعد الحسان" . ولتحقيق هذا الغرض قسّمت البحث إلى: **فصل تمهيديّ**: تحدثت فيه عن حياة الشيخ بن سعدي الشخصية والعلمية، و**فصل أول**: هو الفصل النظري للبحث، حيث تضمّن مدخلا لعلم قواعد التفسير عموما، ودراسة لكتاب "القواعد الحسان" ودراسة تفصيلية لقواعد التفسير التي ذكرها فيه، و**فصلٍ ثانٍ**: هو الفصل التطبيقي للبحث حيث تضمّن دراسة تفصيلية لتفسير الشيخ، وذكر بعض التطبيقات للقواعد التي نظّر لها الشيخ . كما احتوى البحث على: **ملحق**، **وفهرس**: للآيات والأحاديث النبوية والأعلام المترجم لهم وموضوعات البحث، وقائمة لمصادر البحث ومراجعه .

Summary

This research is a study in interpretation and rules at the consent of the contemporary media, Sheikh Abdul Rahman Bin Nasser Al-Saadi, where he wrote this great science books in this area are: the book "Rules of the beautiful," a Base for almost seventy, in the interpretation as stated the author, the second book is a book "Tayseer al-Kareem Rahman Manan in the interpretation of words" which is an interpretation of the Holy Quran in full, I wanted write this and I know the translation of the interpreter, and then study the two books mentioned by the study, known as a statement of their content and approach which the author ... Etc., then look for the relationship between the two books in terms of application, Sheikh ibn Sa'di of the rules considered by it, or not to apply them, and followed with an extension of this research, stating some of the rules adopted by the Sheikh explained, but did not mention in his book "Rules of the beautiful." Search for this came to an introductory chapter including: talking about the life of Sheikh ibn Sa'di personal and scientific, the first chapter: The chapter of the theoretical research, ensuring access for the information of the rules of interpretation in general, and review of the book "Rules beautiful" and a detailed study of rules of interpretation mentioned therein, and a second chapter: chapter is applied to search and included a detailed study to explain the Sheikh, and some of the applications of the rules considered by Sheikh. It also contains research on extension and indexes of the verses and hadith, and compiler flags to them and research topics, and a list of sources of research and review.

الفهـــــارس

1فهـــرس الآيـــات الكريمة .

2 - فهـــرس الأحاديـــث النبوية الشريفة .

3- فهـــــس الأعـــــلام المـــــترجم

4- فهـــرس المـــــصادر والمـــــرا

5- فهـــرس المـــــواضيـــع .

فهرس الآيات القرآنية الكريمة [688]

طرف الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	[الفاتحة:1]	(150)
﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾	[الفاتحة:3]	(151)
﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾	[الفاتحة:5]	(136)
﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ... ﴾	[البقرة:2]	(186،229)
﴿ أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ﴾	[البقرة:5]	(232)
﴿ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا... ﴾	[البقرة:8]	(123)
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ... ﴾	[البقرة:21–22]	(151،213)
﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ... ﴾	[البقرة:26]	(230)
﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا... ﴾	[البقرة:30]	(229)
﴿ وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ ﴾	[البقرة:34]	(180)
﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾	[البقرة:36]	(180)
﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾	[البقرة:37]	(133)
﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا... ﴾	[البقرة:42]	(193،هامش 3)
﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ... ﴾	[البقرة:48]	(172)
﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ ﴾	[البقرة 49]	(51)

[688]ــ وقد رتبت الآيات القرآنية على حسب ترتيبها في المصحف الشريف، والآية المكررة في الرسالة أكتفي بذكر الصفحة التي تكررت فيها فقط .

﴿ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ... ﴾	[البقرة:61]	(198)
﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ... ﴾	[البقرة:67]	(147)
﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً... ﴾	[البقرة:80–81]	(216)
﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً... ﴾	[البقرة:81]	(152)
﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ... ﴾	[البقرة:83]	(154،207)
﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا... ﴾	[البقرة:106]	(153)
﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾	[البقرة:125]	(176)
﴿ وَإِذ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ ﴾	[البقرة:126]	(49)
﴿ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ ﴾	[البقرة:140]	(224)
﴿ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾	[البقرة:142]	(134)
﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا... ﴾	[البقرة:143]	(133)
﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا... ﴾	[البقرة:159]	(222)
﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ... ﴾	[البقرة:173]	(195)
﴿ وَلا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾	[البقرة:174]	(94)
﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ... ﴾	[البقرة:177]	(181)
﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ﴾	[البقرة:178]	(95)
﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ... ﴾	[البقرة:181]	(195)
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ... ﴾	[البقرة:183]	(144)
﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ... ﴾	[البقرة:187]	(180)
﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾	[البقرة:196]	(95،145)

﴿ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ... ﴾	[البقرة:209]	(105)
﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمْ اللَّه ﴾	[البقرة:210]	(83)
﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ... ﴾	[البقرة:217]	(140،154)
﴿ وَبَشِّرْ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	[البقرة:223]	(92،186)
﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ... ﴾	[البقرة:226]	(196)
﴿ ...وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ... ﴾	[البقرة:228]	(107)
﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ... ﴾	[البقرة:228]	(144،145)
﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ... ﴾	[البقرة:233]	(134)
﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ... ﴾	[البقرة:245]	(201)
﴿ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ ﴾	[البقرة:255]	(117)
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ... ﴾	[البقرة:258]	(140)
﴿ وَأَحَلّ اللَّهُ الْبَيْعَ ﴾	[البقرة:275]	(95،144)
﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ... ﴾	[البقرة:280]	(155)
﴿ وَإِنْ كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ... ﴾	[البقرة:283]	(199)
﴿ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ ﴾	[البقرة:285]	(82)
﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾	[آل عمران: 7]	(60،139)
﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ ﴾	[آل عمران: 17]	(139)
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً... ﴾	[آل عمران:23]	(177)
﴿ تُؤْتِي الْمُلكَ مَنْ تَشَاءُ... ﴾	[آل عمران:26]	(ص 142،هامش 3)
﴿ مِنْ تُرَابٍ ﴾	[آل عمران:59]	(94)

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ... ﴾	[آل عمران:65]	(156)
﴿ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ... ﴾	[آل عمران:88]	(165)
﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ... ﴾	[آل عمران:93]	(153)
﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً ﴾	[آل عمران:97]	(94)
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ... ﴾	[آل عمران:102]	(138،212)
﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ... ﴾	[آل عمران:114]	(192،هامش 2)
﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّه ﴾	[آل عمران:119]	(82)
﴿ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ... ﴾	[آل عمران:161]	(143،214)
﴿ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا... ﴾	[آل عمران:167]	(144)
﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾	[آل عمران:180]	(137)
﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ... ﴾	[النساء:7]	(201)
﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾	[النساء:10]	(140)
﴿ ...وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ ﴾	[النساء:23]	(95)
﴿ وَرَبَائِبُكُمْ اللاَّتِي فِي... ﴾	[النساء:23]	(198)
﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾	[النساء:36]	(95)
﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا... ﴾	[النساء:36]	(87،173)
﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ... ﴾	[النساء:41]	(133)
﴿ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً ﴾	[النساء:42]	(183)
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا... ﴾	[النساء:43]	(155)
﴿ ...فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا... ﴾	[النساء:43]	(204)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ... ﴾	[النساء:47]	(119،212)
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا ﴾	[النساء:58]	(92)
﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ... ﴾	[النساء:66-68]	(229،230)
﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ... ﴾	[النساء:82]	(93)
﴿ وَحَرِّضْ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	[النساء:84]	(92)
﴿ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا... ﴾	[النساء:86]	(207)
﴿ فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾	[النساء:89]	(208)
﴿ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئًا... ﴾	[النساء:92]	(173)
﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمْ... ﴾	[النساء:102]	(145)
﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ... ﴾	[النساء:110]	(193)
﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ... ﴾	[النساء:114]	(201،217)
﴿ وَمَنْ يُشَاقِقْ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ... ﴾	[النساء:115]	(176)
﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ ﴾	[النساء:123]	(193،هامش 5)
﴿ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ... ﴾	[النساء:131]	(131)
﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا... ﴾	[النساء:136]	(119،211)
﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ... ﴾	[النساء:142-143]	(220)
﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ... ﴾	[النساء:146]	(120)
﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا... ﴾	[النساء:146]	(214)
﴿ لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ... ﴾	[النساء:172]	(209)
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾	[المائدة:1]	(211)
﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾	[المائدة:2]	(192)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا... ﴾	[المائدة:2]	(134)
﴿ الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾	[المائدة:2]	(103)
﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾	[المائدة:2]	(193،هامش 1)
﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ... ﴾	[المائدة:16]	(134)
﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا... ﴾	[المائدة:24]	(220)
﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ... ﴾	[المائدة:34]	(112)
﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا ﴾	[المائدة:38]	(82)
﴿ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾	[المائدة:42]	(154)
﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ... ﴾	[المائدة:45]	(138)
﴿ وَأَنْ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾	[المائدة:49]	(154)
﴿ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ... ﴾	[المائدة:54]	(209)
﴿ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ... ﴾	[المائدة:60]	(143)
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ... ﴾	[المائدة:90]	(99،155)
﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا... ﴾	[المائدة:93]	(165)
﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ... ﴾	[المائدة:98]	(204)
﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ ﴾	[الأنعام 30]	(101)
﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ... ﴾	[الأنعام 46]	(124)
﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ... ﴾	[الأنعام 61]	(184)
﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ... ﴾	[الأنعام 68]	(121)
﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ ﴾	[الأنعام 84]	(142)

﴿ وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ... ﴾	[الأنعام 84–86]	(230)
﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾	[الأنعام 90]	(90)
﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ ﴾	[الأنعام 91]	(85)
﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ... ﴾	[الأنعام 93]	(190)
﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ... ﴾	[الأنعام 97]	(156،180)
﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ... ﴾	[الأنعام 143–144]	(134)
﴿ ...وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ ﴾	[الأنعام 151]	(108،199)
﴿ ...وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ... ﴾	[الأنعام 151]	(136)
﴿ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾	[الأنعام 164]	(96)
﴿ قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ﴾	[الأعراف: 23]	(133)
﴿ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ﴾	[الأعراف:73]	(148)
﴿ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ ﴾	[الأعراف:100]	(217)
﴿ وَقَالَ الْمَلأ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ... ﴾	[الأعراف:127]	(94)
﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ... ﴾	[الأعراف:143]	(183)
﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ... ﴾	[الأعراف:157–158]	(215)
﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ... ﴾	[الأعراف:170]	(103)
﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا... ﴾	[الأعراف:179]	(218)
﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ... ﴾	[الأنفال:2]	(167)
﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾	[الأنفال:17]	(94)
﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ... ﴾	[الأنفال:22]	(218)

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال:60] (156)

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ... ﴾ [التوبة:6] (230)

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة:6] (87)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا... ﴾ [التوبة:28] (128،134)

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ... ﴾ [التوبة:60] (143،194)

﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ... ﴾ [يونس:68] (167)

﴿ قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ... ﴾ [يونس:81] (221)

﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ... ﴾ [هود:20] (217)

﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ... ﴾ [هود:24] (223)

﴿ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ جيبٌ ﴾ [هود:61] (133)

﴿ وَلا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ﴾ [هود:84] (208)

﴿ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [هود:90] (142)

﴿ فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاءِ ﴾ [هود:109] (70،111)

﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴾ [هود:110] (111)

﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ [هود:114] (135)

﴿ فَلَوْلا كَانَ مِنْ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ... ﴾ [هود:116] (159)

﴿ وَأَقِمْ الصَّلاةَ طَرَفِي النَّهَارِ ﴾ [هود:144] (77)

﴿ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ ﴾ [يوسف 23] (51)

﴿ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ... ﴾ [يوسف:39] (174،223)

﴿ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ [يوسف:41] (156)

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ... ﴾ [الرعد:6] (133)

﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ... ﴾	[الرعد:19]	(224)
﴿ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾	[الرعد:20]	(170)
﴿ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُوْلَئِكَ... ﴾	[إبراهيم:3]	(221)
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ... ﴾	[إبراهيم:4]	(156)
﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾	[إبراهيم:34]	(177)
﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً... ﴾	[إبراهيم:42]	(168)
﴿ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾	[الحجر:26]	(94)
﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ... ﴾	[الحجر:45–46]	(187)
﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ... ﴾	[الحجر:92–93]	(94)
﴿ لَحْماً طَرِيّاً ﴾	[النحل:14]	(109)
﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً... ﴾	[النحل:25]	(95)
﴿ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ﴾	[النحل:26]	(49)
﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ... ﴾	[النحل:73]	(172)
﴿ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاءِ ﴾	[النحل:89]	(133)
﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ... ﴾	[النحل:97]	(193)
﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ... ﴾	[النحل:123]	(90)
﴿ لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ ﴾	[الإسراء:22]	(173)
﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ... ﴾	[الإسراء:31]	(108)
﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ ﴾	[الإسراء:35]	(117)
﴿ تُؤْتِي الْمُلكَ مَنْ تَشَاءُ... ﴾	[آل عمران:26]	(142، هامش 3)
﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ... ﴾	[الكهف:28]	(231)

﴿ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾ [الكهف:54] (78)
﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا... ﴾ [الكهف:107] (231)
﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً ﴾ [مريم:5–6] (29)
﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً ﴾ [مريم:65] (87،174)
﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا... ﴾ [مريم:96] (135)
﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه:5] (139)
﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ... ﴾ [طه:12] (142)
﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ... ﴾ [الأنبياء:16–17] (209)
﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ... ﴾ [الأنبياء:43] (179،207)
﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ... ﴾ [الأنبياء:85–86] (167)
﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى... ﴾ [الحج:2] (94)
﴿ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ... ﴾ [الحج:52] (196)
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ... ﴾ [الحج:63–65] (105)
﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ... ﴾ [المؤمنون:8] (177)
﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ﴾ [المؤمنون:96] (37)
﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ... ﴾ [المؤمنون:117] (199)
﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا ﴾ [النور:2] (82)
﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ... ﴾ [النور:10] (142)
﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾ [النور:23] (79)
﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا... ﴾ [النور:30] (187)
﴿ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ ... ﴾ [النور:31] (144)

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ... ﴾	[النور:51]	(179)
﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنْ النِّسَاءِ ﴾	[النور:60]	(49،202)
﴿ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ... ﴾	[الفرقان:6]	(161)
﴿ فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾	[الفرقان:71]	(136)
﴿ وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾	[الفرقان:72]	(170)
﴿ أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ﴾	[الفرقان:75]	(82)
﴿ فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ... ﴾	[الشعراء:213]	(173،208)
﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ ﴾	[النمل:91]	(91،109،120)
﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ ﴾	[النمل:20]	(148)
﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا... ﴾	[النمل:89–90]	(169)
﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ... ﴾	[القصص:56]	(184)
﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ... ﴾	[القصص:71]	(124)
﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ الْكِتَابِ... ﴾	[العنكبوت:35]	(102)
﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾	[الروم:30]	(136،150)
﴿ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي... ﴾	[لقمان:6]	(177)
﴿ وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	[لقمان:9]	(168)
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾	[لقمان:16]	(205)
﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ... ﴾	[لقمان:34]	(215)
﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ... ﴾	[السجدة:11]	(184)
﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْجرِمُونَ نَاكِسُوا... ﴾	[السجدة:12]	(189)
﴿ ورَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾	[الأحزاب:25]	(35)

﴿ وَلا تُطِعْ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ... ﴾ [الأحزاب:48] (202)

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَلِيماً ﴾ [الأحزاب:51] (205)

﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ... ﴾ [الأحزاب:60] (186)

﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ... ﴾ [سبأ:31] (189)

﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ... ﴾ [سبأ:51] (190)

﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ... ﴾ [فاطر:13] (172)

﴿ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا... ﴾ [فاطر:18] (96)

﴿ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى... ﴾ [فاطر:18] (187)

﴿ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ﴾ [يس:42] (22)

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً... ﴾ [يس:82] (174)

﴿ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ﴾ [ص:34] (149)

﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ... ﴾ [الزمر:6] (133)

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ... ﴾ [الزمر:9] (127)

﴿ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ ﴾ [الزمر:20] (82)

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ... ﴾ [الزمر:23] (146)

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً... ﴾ [الزمر:29] (126)

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [الزمر:42] (184)

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا... ﴾ [الزمر:53] (133،205)

﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ... ﴾ [الزمر:65] (177)

﴿ سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ ﴾ [الزمر:73] (181)

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ... ﴾ [غافر:83] (157)

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ...﴾	[فصلت:9-11]	(185)
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ...﴾	[الشورى:11]	(152)
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا...﴾	[الشورى:22]	(232)
﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً...﴾	[الشورى:23]	(174)
﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ...﴾	[الشورى:37]	(194)
﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾	[الشورى:52]	(184)
﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ﴾	[الشورى :53]	(151)
﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾	[الجاثية:29]	(90)
﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾	[الزخرف:85]	(232)
﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾	[الأحقاف:15]	(134)
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	[الحجرات:1]	(124)
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا...﴾	[الحجرات:1]	(140)
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ...﴾	[الحجرات:3]	(141)
﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾	[الحجرات:9]	(151،195)
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾	[الحجرات:10]	(137،212)
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ...﴾	[الحجرات:13]	(157)
﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾	[ق:16]	(133)
﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾	[ق:38]	(117)
﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾	[النجم:1]	(169)
﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾	[النجم:1-2]	(159)

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾	[القمر:17]	(أ،140)
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ...﴾	[الطور:21]	(203)
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾	[الحديد:28]	(119،213)
﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾	[الرحمان:7]	(170)
﴿مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾	[الرحمان:14]	(94)
﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ...﴾	[المجادلة:1]	(197)
﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ...﴾	[المجادلة:3]	(145)
﴿... يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ...﴾	[الحشر:2]	(164)
﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ...﴾	[الحشر:9]	(142)
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا...﴾	[الحشر:10]	(182)
﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا...﴾	[الجمعة:3]	(232)
﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾	[الجمعة:9]	(819)
﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا﴾	[الملك:2]	(139)
﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ...﴾	[الملك:22]	(224)
﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ﴾	[الحاقة:9–10]	(90)
﴿فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ...﴾	[المعارج:40]	(169)
﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ...﴾	[المزمل:9]	(169)
﴿فَلا تُطِعْ الْمُكَذِّبِينَ وَدُّوا...﴾	[المدثر:8–15]	(164)
﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً...﴾	[المدثر:11–17]	(166)
﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾	[المدثر:65]	(152)
﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا...﴾	[المدثر:77]	(163)

﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾	[القيامة:1]	(142)
﴿ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾	[النازعات:30]	(185)
﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا... ﴾	[النازعات:31-32]	(185)
﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمْ الأَعْلَى ﴾	[عبس:24]	(94)
﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾	[التكوير:1]	(140)
﴿ يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً ﴾	[الإنفطار:19]	(72)
﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمجيدُ ﴾	[البروج:15]	(143)
﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتْ الذِّكْرَى ﴾	[الأعلى:9]	(107)
﴿ ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَا ﴾	[الأعلى:13]	(109،123)
﴿ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾	[الغاشية:20]	(161)
﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً ﴾	[الفجر:22]	(83)
﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾	[الشمس:7]	(135)
﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾	[العلق:19]	(133)
﴿ أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ ﴾	[التكاثر:1]	(99)
﴿ وَالْعَصْرِ، إِنَّ الإِنسَانَ ﴾	[العصر:1-3]	(82)
﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾	[الكوثر:1]	(137)
﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾	[الناس:4]	(142)

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة [689]

طرف الحديث	الصحابي	الصفحة
[... **ألا تصليان؟...**]	علي بن أبي طالب	(78)
[...**النفس بالنفس والزاني...**]	عبد الله بن مسعود	(136)
[...**إن البخيل يمثّل له ماله...**]	أبو هريرة	(137)
[...**أن رجلا أصاب من امرأة...**]	حذيفة بن اليمان	(77)
[...**أنّ الله إذا أحب عبدا نادى...**]	أبو هريرة	(135)
[...**حدّثوا عن بني إسرائيل...**]	عبد الله بن عمرو	(61)
[...**الصلوات الخمس...**]	أبو هريرة	(135)
[...**فإنّكم إذا قلتم ذلك سلمتم...**]	عبد الله بن مسعود	(82)
[...**كلّ مولود يولد على الفطرة...**]	أبو هريرة	(136)
[...**لا تحاسدوا ولا تناجشوا...**]	أبو هريرة	(137)
[...**لا تصدّقوا أهل الكتاب...**]	أبو هريرة	(51)
[...**ورجل دعته امرأة...**]	أبو هريرة	(136)
[...**يا أبا ذرّ لا عقل كالتّدبير...**]	أبو ذر الغفاري	(21)
[...**يا رسول الله لو خضت بنا...**]	أنس بن مالك	(221)

[689]ــ وقد رتبته ترتيبا ألفبائيا على حسب حروف المعجم .

فهرس الأعلام المترجم لهم[690]

اسم العلم المترجم له	الصفحة
عليّ بن أبي طالب–رضي الله عنه–	(89)
ابن عباس–رضي الله عنه–	(89)
عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه–	(138)
أوس بن الصامت –رضي الله عنه–	(78)
هلال بن أمية –رضي الله عنه–	(78)
(أ)	
إبراهيم بن حمد بن محمد بن جاسر	(32)
إبراهيم بن صالح القحطاني	(32)
ابن الجوزي= عبد الرحمان بن علي أبو الفرج	(117)
ابن الوزير= محمد بن إبراهيم أبو عبد الله عز الدين	(66)
ابن تيمية= أحمد بن عبد الحليم الحراني	(33)
ابن جزي= محمد بن أحمد بن جزي الكلبي	(52)
ابن حزم= علي بن أحمد بن حزم	(63)
ابن رجب= عبد الرحمان بن أحمد بن رجب	(65)
ابن عثيمين= محمد بن صالح العثيمين	(39)
ابن عاشور= محمد الطاهر بن عاشور	(53)
ابن عطية= عبد الحق بن غالب بن عطية الغرناطي	(64)
ابن فارس= أحمد بن فارس بن زكريا	(48)
ابن قتيبة= عبد الله بن مسلم	(63)
ابن قيم الجوزية= محمد بن أبي بكر بن أيوب	(33)
ابن منظور= جمال الدين بن منظور الإفريقي	(51)
أبو حيان= محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي	(65)

[690]ــ وقد رتبته ترتيبا ألفبائيا على حسب حروف المعجم، وذلك بذكر الاسم الذي اشتهر به العلم ثم اسمه الأصلي، إلا أسماء الصحابة فإنني قدمتهم لشرفهم .

ابن الحاجب= أبو عمر بن أبي بكر بن يونس (98)
أبو علي الجبائي= محمد بن عبد الوهاب بن سلام (81)
أبو النجم= الفضل بن قدامة العجلي (122)
أحمد بن حنبل= أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (89)
الأزهري= أبو منصور محمد بن أحمد الزهري الشافعي (38)
الآلوسي= محمود بن عبد الله الحسيني شهاب الدين (59)
الأبياري= أبو الحسن الصنهاجي الأبياري (115)

(ب)

الباقلاني= محمد بن الطيب بن محمد البصري الباقلاني (115)
البيضاوي= عبد الله بن عمر بن علي البيضاوي (90)

(ت)

التفتازاني= مسعود بن عمر التفتازاني (50)

(ج)

الجرجاني= علي بن محمد الجرجاني (49)
الجصاص = أحمد بن علي الرازي الحنفي (63)
الجويني = عبد الملك بن عبد الله أبو المعالي (63)

(ح)

محمد حامد الفقي (38)
الحسن بن يسار البصري (139)

(خ)

خالد السبت= خالد بن عثمان بن علي السبت (54)

(ز)

الزبيدي= محمد بن محمد الحسيني الزبيدي (52)
الزرقاني= محمد عبد العظيم الزرقاني (53)
الزركشي= محمد بن بهادر عبد الله المصري (52)

(س)

السيوطي= عبد الرحمان بن أبي بكر جلال الدين (57)

(ش)

الشافعي= محمد بن إدريس (141)
شمس الدين بن الصائغ= محمد بن عبد الرحمان (66)
الشوكاني= محمد بن علي الشوكاني (58)
الشيرازي= إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (84)

(ص)

صالح بن عثمان القاضي (32)
صعب بن عبد الله التّوبجري (31)

(ط)

الطبري= محمد بن جرير (63)
الطحاوي= أحمد بن سلامة الأزدي المصري (63)
طلق بن حبيب= طلق بن حبيب العنزي (139)
الطوفي= سليمان بن عبد القوي (64)

(ع)

عبد الرزاق عفيفي (38)
عبد العزيز بن باز (38)
عبد العزيز بن محمد بن عبد الله بن مانع (33)
عبد الله بن عبدالعزيز بن عقيل (38)
عبد الله القصيمي (24)
عبد الله بن عائض العويضي الحربي (33)
علي بن محمد بن إبراهيم السّناني (32)
علي بن ناصر بن محمد بن أبو وادي (33)

(غ)

الغزالي= محمد بن محمد أبو حامد الغزّالي (64)

(ف)

فخر الدين الرازي= أبو عبد الله (81)
الفضيل بن عياض (139)

(ق)

القرطبي= محمد بن أبي بكر أبو عبد الله القرطبي (57)

(ك)

الكفوي= أيوب بن موسى أبو البقاء الكفوي (49)
الكافيجي= محمد بن سليمان أبو عبد الله الكافيجي (66)

(م)

مالك بن أنس= مالك بن أنس الأصبحي (89)
محمد الأمين الشنقيطي (62)
محمد بن رشيد (15)
محمد بن عبد الكريم الشبل (32)
محمد بن عبد الله بن سليم (31)
مصطفى الزرقاء (50)

قائمة المصادر والمراجع [691]

- القرآن الكريم –برواية حفص عن عاصم- .

(أ)

- إبهاج المؤمنين بشرح منهاج السالكين وتوضيح الفقه في الدين، تأليف:عبد الله الجبرين، ط 1، سنة 1466هـ/2001م، دار الوطن، الرياض .

- الإبهاج شرح المنهاج، تأليف: علي بن عبد الكافي السبكي وولده تاج الدين السبكي، دراسة وتحقيق: الدكتور: أحمد جمال الزمزمي و الدكتور: نور الدين صغيري، ط 1، سنة 1414هـ/ 2004م،

دار البحوث للدراسات الإسلامية و إحياء التراث، الإمارات العربية المتحدة .

- إتحاف النبلاء بسير العلماء، تأليف راشد بن عثمان الزهراني، ط 2، سنة 1418هـ/ 1997م،

دار الصميعي، الرياض .

- الإتقان في علوم القرآن، تأليف: جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت .

- أثر علامة القصيم الشيخ عبد الرحمان السعدي على الحركة العلمية المعاصرة، تأليف: الدكتور:

عبد الله الطيار، ط 1، سنة 1413هـ/1996م، دار بن الجوزي، المملكة العربية السعودية .

- الإحكام في أصول الأحكام، تأليف: سيف الدين علي الآمدي، راجعها وحققها جماعة من العلماء بإشراف الناشر،سنة 1403هـ/1983م، دار الكتب العلمية، بيروت .

- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تأليف: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: أبي معصب محمد سعيد، ط 2، سنة 1413هـ/1993م، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان .

- أسباب النزول، تأليف: علي بن أحمد الواحدي، ط 2، سنة 1411هـ/1991م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان .

[691]ـ وقد رتبته ترتيبا ألفبائيا على حسب حروف المعجم، إلا القرآن الكريم فقد قدمته لشرفه عظمته .

- الإستيعاب في معرفة الأصحاب، تأليف: ابن عبد البر، تحقيق: محمد علي بجاوي، ط 1، سنة (1412هـ/1992م)، دار الجيل، بيروت .
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تأليف: ابن الأثير، تحقيق: محمد بن إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور ومحمود عبد الوهاب فايد، دار الشعب، القاهرة .
- الإسرائيليات والموضوعات في التفسير، تأليف: الدكتور: محمد أبو شبهة، ط 4، مكتبة السنة
- الإصابة في تمييز الصحابة، تأليف: ابن حجر العسقلاني، ط 1، سنة 1328هـ، مؤسسة التاريخ العربي ودار إحياء التراث العربي .
- أصول التفسير وقواعده، تأليف: خالد العك، ط 3، سنة 1406هـ/1986م، دار النفائس، بيروت .
- أصول السرخسي، تأليف: أبي بكر السرخسي، تحقيق:أبي الوفاء الأفغاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان .
- أصول الفقه الإسلامي، تأليف: وهبة الزحيلي، ط 14، سنة 1427هـ/2006م، دار - الفكر، دمشق .
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف: محمد الأمين الشنقيطي، طبع وتوزيع: الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض المملكة العربية السعودية .
- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين،تأليف: خير الدين الزركلي، ط 1، سنة 1490هـ ، دار الملايين، بيروت لبنان .
- إيضاح المحصول من برهان الأصول، تأليف: علي بن محمد المازري، تحقيق: عمار طالبي، ط 1، سنة 2001م، دار الغرب الإسلامي .
- الإيضاح في علوم البلاغة، تأليف: الخطيب القزويني، سنة 1419هـ/1998م، دار إحياء العلوم، بيروت .

(ب)

- البحر المحيط، تأليف: الزركشي، حققه:وخرج أحاديثه: لجنة من علماء الأزهر، ط 1، سنة 1414هـ/1994م، دار الكتب العلمية .
- البحر المحيط، تأليف: أبي حيان الأندلسي، ط 2، 1403هـ/1983م،دار الفكر .
- بدائع الفوائد، تأليف: ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي .

- البدر الطالع، بمحاسن من بعد القرن السابع، تأليف: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، ط 1، سنة 1419هـ/ 1998م، دار الفكر دمشق، سورية .
- البرهان في علوم القرآن، تأليف:بدر الدين الزركشي، ط 3، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 3، دار الفكر .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تأليف: جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا .
- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تأليف: محمد الفيروز آبادي، تحقيق: محمد المصري، ط 1، سنة 1407هـ ، دار جمعية التراث الإسلامي، الكويت .
- بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار شرح جوامع الأخبار، تأليف: عبد الرحمان بن ناصر السعدي، ط 1، سنة 1425هـ/2004م، دار الشريعة، القاهرة .

(ت)

- تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف:مرتضى الزبيدي، تحقيق: علي شبري، دار الفكر، 1414هـ/1994م .
- تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، تأليف:الدكتورة: مديحة درويش، ط، سنة 1400هـ/1980م، دار الشروق .
- تاريخ مدينة دمشق: تأليف: ابن عساكر، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
- التحرير والتنوير، تأليف: الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، تونس، 1984م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر .
- تخريج الفروع على الأصول، تأليف: شهاب الدين الزنجاني، حققه وعلق على حواشيه: الدكتور: محمد أديب صالح، ط 5، سنة 1404هـ/1984م مؤسسة الرسالة، بيروت .
- التسهيل لعلوم التنزيل، تأليف: ابن جزي الغرناطي، تحقيق: محمد عبد المنعم اليونسي وإبراهيم عطوة عوض، أم القرى للطباعة والنشر، القاهرة، مصر .
- التعريفات معجم فلسفي منطقي صوفي فقهي لغوي نحوي، تأليف: الشريف الجرجاني، تحقيق: عبد المنعم الحنفي، دار الرشد، القاهرة .
- تفسير القرآن العظيم، تأليف: أبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط 2، سنة 1420هـ/1999م، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية،الرياض .

- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب،تأليف:فخر الدين الرازي،ط 3،سنة 1405هـ/1985م، دار الفكر، بيروت، لبنان .
- تلقيح الفهوم في تنقيح صيغ العموم، تأليف: خليل بن كيكلدي العلائي، حققه وعلق عليه: الدكتور: عبد الله بن محمد آل الشيخ، ط 1، سنة 1403هـ/1983م .
- التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، تأليف: جمال الدين الإسنوي، حققه وعلق عليه: محمد حسين هيتو، ط 4، سنة 1407هـ/1987م، مؤسسة الرسالة .
- تهذيب اللغة، تأليف: الأزهري، تحقيق: عبد العليم البردوني، الدار المصرية للتأليف والترجمة .
- تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تأليف: عبد الرحمان بن ناصر السعدي، اعتنى به تحقيقا ومقابلة: عبد الرحمان بن معلى اللويحق، ط 1، سنة 1424هـ/2003م، دار بن حزم، بيروت، لبنان.

(ج)

- جامع البيان في تأويل القرآن، تأليف: محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط 1، سنة 1420هـ/2000م، مؤسسة الرسالة .
- جامع الدروس العربية، تأليف: مصطفى الغلاييني، ط 2، سنة 1413هـ/1993م، المكتبة العصرية، بيروت .
- جامع العلوم والحكم شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، تأليف: ابن رجب، تحقيق: معروف رزيق، ط 1، سنة 1417هـ/1996م، دار الجيل، بيروت .
- الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبو عبد الله القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، سنة 1423هـ/2003م، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، الرياض .
- الجواهر المضية على طبقات الحنفية، تأليف: عبد القادر بن أبي الوفاء القرشي، تحقيق: مير محمد خانة، كراتشي .

(ح)

- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، تأليف: ابن قيم الجوزية، اعتنى بها: محمد بن عيادي خاطر، ط 1، دار الآثار، جمهورية مصر العربية .
- الحلل الذهبية على التحفة السنية، تأليف: محمد الصغير بن قايد العبادلي المقطري، ط 1، سنة 1422هـ/2002م، دار الآثار، صنعاء .

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تأليف: أبو نعيم الأصبهاني، ط 1، سنة 1409هـ/ 1988م،
دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

(خ)

- الخلاف اللفظي عند الأصوليين، تأليف: الدكتور: عبد الكريم النملة، ط 1، سنة 1424هـ/1996م، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية .

(د)

- والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تأليف:بن حجر العسقلاني، 1414هـ/1993م، دار الجيل، بيروت .

- دفع إيهام الإضطراب عن آيات الكتاب، تأليف: محمد الأمين الشنقيطي، طبع وتوزيع الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والإرشاد، الرياض، سنة 1403هـ/1983م، طبع مع أضواء البيان .

- الديباج المذهب في أعيان علماء المذهب، تأليف: ابن فرحون، تحقيق: علي عمر، ط 1، 1423هـ/2003م، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة .

(ذ)

- ذيل طبقات الحفاظ، تأليف: عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية .

- الذيل على طبقات الحنابلة، تأليف: بن رجب الحنبلي، تحقيق وتعليق: عبد الرحمان بن سليمان العثيمين، ط 1، سنة 1425هـ/2005م، مكتبة العبيكان، الرياض .

(ر)

- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، تأليف: محمد الآلوسي، دار إحياء التراث العربي،بيروت.

- الروح، تأليف: بن قيم الجوزية، سنة 1395هـ/1975م، دار الكتب العلمية، بيروت .

(ز)

- زاد المسير في علم التفسير، تأليف: أبو الفرج بن الجوزي، ط 2، سنة 1404هـ/ 1984م، المكتب الإسلامي، بيروت .

(س)

- السلسلة الصحيحة، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض .

- السلسلة الضعيفة، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض .
- سير أعلام النبلاء، تأليف شمس الدين الذهبي، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: شعيب الأرناؤوط، ط 3، سنة 1405هـ/1985م، مؤسسة الرسالة، سوريا، بيروت .

(ش)

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تأليف: ابن العماد الحنبلي، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، ط 1, 1406هـ/1986م، دار بن كثير، دمشق، بيروت .
- شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، اعتنى به وحققه: عادل بن سعد، ط 1، سنة 1426هـ/ 2005م، دار بن الهيثم، القاهرة .
- شرح بن عقيل، تأليف: ابن عقيل، تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد، ط 2، سنة 1985م، دار الفكر، دمشق .
- شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح، تأليف: التفتزاني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- شرح الرسالة التدمرية، تأليف:عبد الرحمان بن ناصر البراك، ط 1, 1425هـ/2004م، كنوز إشبيلية.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تأليف: ابن هشام، تحقيق: عبد الغني الدقر، ط 1، سنة 1984م، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق .
- شرح العقيدة الطحاوية، تأليف: ابن أبي العز، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي و شعيب الأرناؤوط، ط 3، سنة 1412هـ/1991م، مؤسسة الرسالة، بيروت .
- شرح القواعد الحسان في تفسير القرآن، تأليف: محمد بن صالح العثيمين، ط 1, 1426هـ/ 2005م، دار الغد الجديد، المنصورة، مصر .
- شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، تأليف: محمد بن صالح العثيمين، علق عليه:
أبو يعقوب نشأة كمال المصري، ط 1, 1423هـ/2002م، دار الآثار، القاهرة .
- شرح الكوكب المنير، تأليف: محمد الفتوحي، تحقيق: الدكتور: محمد الزحيلي والدكتور: نزير حماد، سنة 1413هـ/1993م، مكتبة العبيكان، الرياض .
- شرح اللمع، تأليف: أبي إسحاق الشيرازي، تحقيق: عبد المجيد التركي، ط 1، سنة دار الغرب الإسلامي .

- شعب الإيمان، تأليف: أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ط 1، سنة 1410هـ، دار الكتب العلمية، بيروت .
- الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي: حياته العلمية وجهوده الدعوية وآثاره الحميدة، تأليف: محمد بن أحمد سيّد أحمد، ط 1، سنة 1419هـ ، المكتب الإسلامي .
- الشيخ بن باز نموذج من الرعيل الأول – محاضرة للشيخ عبد المحسن العباد البدر .
- الشيخ عبد الرحمان السّعدي مفسّرا، إعداد:عبد الله بن سابح الطيار، ط 1، سنة 1421هـ، دار بن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ص 16 .
- الشيخ عبد الرحمان السعدي وجهوده في توضيح العقيدة، تأليف:الدكتور: عبد الرزاق البدر، ط 1، سنة 1411هـ/1990م، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية .

(ص)

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط 3، دار الملايين، بيروت .
- صحيح أبي داود، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، ط 1، سنة 1419هـ/ 1998م، مكتبة الرشد، للمعارف، الرياض .
- صحيح سنن الترمذي، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، ط 1، سنة 1420هـ/ 2000م، مكتبة الرشد، للمعارف، الرياض .
- صحيح السيرة النبوية، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، ط 1، المكتبة الإسلامية، عمان ، الأردن .
- صفة الصفوة، تأليف: أبو الفرج بن الجوزي، تحقيق: محمود فاخوري والدكتور: محمد رواس قلعه جي، ط 2، سنة 1399هـ/1979م، دار المعرفة، بيروت .

(ض)

- ضعيف ابن ماجه، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، ط 1، سنة 1417هـ/1997م مكتبة الرشد، للمعارف، الرياض .
- الضوء اللاّمع لأهل القرن التاسع، تأليف: شمس الدين السخاوي، ضبطه وصحّحه: عبد اللّطيف بن حسن عبد الرحمان، ط 1، سنة 1424هـ/2003م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

(ط)

- طبقات الشافعية الكبرى، تأليف: تاج الدين السبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي والدكتور:
عبد الفتاح محمد الحلو،ط 2، سنة 1413هـ ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع .

- طبقات الشافعية، تأليف: أبو بكر بن قاضي شبهة، تحقيق: الدكتور: الحافظ عبد العليم خان، ط 1، سنة 1407هـ ، عالم الكتب، بيروت .

- طبقات الفقهاء الشافعية، تأليف: أبو عمر بن الصلاح، تحقيق: محي الدين علي نجيب، سنة 1992م، دار البشائر الإسلامية، بيروت .

- طبقات الفقهاء، تأليف: أبو إسحاق الشيرازي، تحقيق: إحسان عباس، ط 1، سنة 1970م، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان .

- طبقات المفسرين، تأليف: أحمد بن محمد الأدروني، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، ط 1, سنة 1997م، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة .

- طبقات المفسرين، تأليف: عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، ط 1, سنة 1396هـ ، مكتبة وهبة القاهرة .

- طبقات فحول الشعراء، تأليف: محمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني،جدة.

(ع)

- العقد المنظوم في الخصوص والعموم، تأليف: القرافي، تحقيق: الأستاذ: محمد علوي نصر، سنة 1418هـ/1997م، المملكة المغربية، وزارة الشؤون والأوقاف الإسلامية .

- علماء نجد خلال ثمانية قرون، تأليف: عبد الله بن صالح آل بسام،ط 2،سنة 1419هـ ، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية .

(غ)

- غاية الوصول شرح لباب الأصول، تأليف: زكريا الأنصاري، الطبعة الأخيرة، شركة مكتبة أحمد بن سعيد بن نبهان، سروبايا، أندونيسيا .

(ف)

- الفتاوى السعدية، تأليف: عبد الرحمان بن ناصر السعدي، ط 1، سنة 1415هـ/ 1995م، عالم الكتب، بيروت، لبنان .

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: ابن حجر العسقلاني، ط 3، سنة 1421هـ/ 2000م ، مكتبة دار السلام الرياض و مكتبة دار الفيحاء دمشق .
- فتح البيان في مقاصد القرآن، تأليف: صديق بن حسن القنوجي البخاري، سنة 1416هـ/ 1996م، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت .
- فتح الرحيم العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام، المستنبطة من القرآن، تأليف: عبد الرحمان بن ناصر السعدي، اعتنى به: عبد الرزاق البدر، ط 3، سنة 1424هـ، دار بن الجوزي .
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف: محمد بن علي الشوكاني، ضبطه: أحمد عبد السلام ط 1، سنة 1415هـ/1994م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .
- فقه الشيخ بن سعدي،تأليف:الدكتور:عبد الله بن الطيار، ط 1، سنة 1421هـ ، دار بن الجوزي، المملكة العربية السعودية .
- فقه اللغة وسر العربية، تأليف: أبي منصور الثعالبي، تحقيق: سليمان سليم البواب، ط 2، سنة 1409هـ/1989م، دار الحكمة للطباعة والنشر، دمشق .

(ق)

- القاموس المحيط، تأليف: الفيروز أبادي، ط 2، المكتبة الحسينية المصرية .
- قواعد الترجيح عند المفسرين –دراسة نظرية تطبيقية– ، تأليف: حسين الحربي، راجعه وقدم له الشيخ: مناع بن خليل القطان، ط 2، سنة 1429هـ/2008م، دار القاسم .
- قواعد التفسير –جمعا ودراسة– ، تأليف: الدكتور: خالد عثمان السبت، ط 1، سنة 1426هـ/2005م، دار بن عفان للنشر والتوزيع القاهرة .
- القواعد الحسان لتفسير القرآن، تأليف: عبد الرحمان بن ناصر السعدي، اعتنى به: عبد الله بن محمد النجدي، ط 1، سنة 1420هـ/1999م، دار الصميعي، الرياض .
- القواعد الفقهية، تأليف: الدكتور: عبد الوهاب الباحسين، ط 1، سنة 1418هـ/ 1998م مكتبة الرشد الرياض .
- القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة، تأليف: عبد الرحمان بن ناصر السعدي، اعتنى به وحققه: خالد بن محمد المشيقح، ط 3، سنة 1424هـ ، دار بن الجوزي .

- القواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها من الأحكام الفرعية، تأليف: علاء الدين البعلي، ضبطه
وصححه: محمد شاهين، ط 1، سنة 1416هـ/1995م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .
- القواعد، تأليف: تقي الدين الحصني، تحقيق: الدكتور: عبد الرحمان الشعلان، ط 1، سنة 1418هـ 1997م، مكتبة الرشد، الرياض .

(ك)

- الكتب الستة: (صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن أبي داود، سنن الترمذي، سنن النسائي، سنن بن ماجه) ، طبعة مصححة و مرقمة ومأخوذة من أصح النسخ من قبل بعض طلبة العلم، بإشراف ومراجعة: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ط 3، سنة 1421هـ/ 2000م دار السلام، المملكة العربية السعودية، الرياض .
- كشاف لمصطلحات الفنون، تأليف: التهانوي، تحقيق: الدكتور: لطفي عبد البديع، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والترجمة والنشر، سنة 1382هـ/1963م .
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تأليف: أبي البقاء الكفوي، حققه: محمد المصري وعدنان درويش،ط 2،سنة 1413هـ/1993م، مؤسسة الرسالة، بيروت .

(ل)

- لباب المحصول في علم الأصول، تأليف: ابن رشيق المالكي، تحقيق محمد غزالي و عمر جابي، ط 1، سنة 1466هـ/2001م، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الإمارات العربية المتحدة .
- لباب النقول في أسباب النزول، تأليف: جلال الدين السيوطي، ط 3، سنة 1984م، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر .
- لسان العرب، تأليف: جمال الدين بن منظور، حققه: عامر أحمد حيدر، راجعه: عبد المنعم جليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان .

(م)

- مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد (4) .
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمان بن محمد بن القاسم وساعده ابنه: محمد .
- مجموع فتاوى ورسائل بن عثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصرالسليمان، دار بن الهيثم .

- المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، تأليف: عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط 1، سنة 1413هـ/1993م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .
- المختارات الجلية من المسائل الفقهية، تأليف: عبد الرحمان بن ناصر السعدي، ط 1، سنة 1415هـ ، دار الوطن، الرياض .
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تأليف: ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي .
- المدخل الفقهي العام، مصطفى الزرقاء، دار الفكر .
- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل،تأليف: عبد القادر بن بدران، صححه وقدم له وعلق عليه: الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط 2، سنة 1401هـ/1981م، مؤسسة الرسالة، بيروت .
- مذكرة أصول الفقه، تأليف: محمد الأمين الشنقيطي، الدار السلفية للنشر والتوزيع، الجزائر
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط 2، سنة 1420هـ/1999م، مؤسسة الرسالة .
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تأليف: أحمد بن علي الفيومي، دار القلم، بيروت، لبنان .
- معجم البلدان، تأليف: ياقوت الحموي، تحقيق: عبد العزيز الحيدي، ط 1، سنة 1410هـ/ 1990م، دار الكتب العلمية .
- المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العم المعاصرين، وهو كتاب إلكتروني أدخله في المكتبة الشاملة خالد لكحل ولا يوجد مطبوع .
- معجم الصحابة، تأليف: عبد الباقي بن قانع أبو الحسين، تحقيق: صلاح بن سالم المصراتي، سنة 1418هـ ، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة .
- معجم المؤلفين، تأليف: عمر رضا كحالة، ط 1، سنة 1414هـ/1993م، مؤسسة الرسالة، بيروت .
- معجم مصنفات الحنابلة، من وفيات: (241- 1420هـ) ، تأليف: عبد الله بن محمد الطريقي، ط 1، سنة 1466هـ/2001م، الرياض .
- معجم مقاييس اللغة، تأليف:أحمد بن فارس، تحقيق:عبد السلام هارون، دار الفكر .

- المفردات في غريب القرآن، تأليف: الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد خليل عيناني، دار المعرفة، بيروت لبنان .
- مقال: "الحاجة إلى قواعد التفسير"، تأليف: الدكتور: مولاي عمر بن حماد، نشر في ملتقى أهل التفسير .
- مقال: "نظرات في مصطلح قواعد التفسير"، تأليف: الدكتور: مصطفى فوضيل، نشر في ملتقى أهل التفسير .
- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تأليف: برهان الدين محمد بن مفلح، تحقيق: عبد الرحمان سليمان العثيمين، سنة 1410هـ/1990م، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية .
- مقدمة في أصول التفسير، تأليف: أحمد عبد الحليم بن تيمية، (ت:729 هـ)، اعتنى به: فواز أحمد زمرلي، ط 2، سنة 1418هـ/1997م، دار بن حزم، بيروت، لبنان .
- مناهل العرفان في علوم القرآن، تأليف: محمد عبد العظيم الزرقاني، ط 1، سنة 1427هـ/ 2006م، دار بن حزم، بيروت، لبنان .
- المواهب الربانية من الآيات القرآنية، تأليف: عبد الرحمان بن ناصر السعدي، اعتنى به: أبو عبد الرحمان سمير الماضي، ط 2، سنة 1417هـ/1996م، رمادي للنشر، المملكة العربية السعودية .
- موسوعة الرد على المذاهب المعاصرة، جمع الباحث: علي بن نايف الشحوذ .
- الموطأ برواية: يحي بن يحي الليثي، تأليف: مالك بن أنس، حققه: الدكتور: عواد بشار معروف، ط 2، سنة 1417هـ/1997م، دار الغرب الإسلامي .

(ن)

- نشر البنود على مراقي السعود، تأليف: سيدي عبد الله إبراهيم العلوي الشنقيطي، ط 1, سنة 1409هـ/2001م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .
- نظرية التقعيد الفقهي وأثرها في اختلاف الفقهاء، محمد الروكي، سنة 1994م .
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تأليف: برهان الدين البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، سنة 1415هـ/1995م، دار الكتب العلمية، بيروت .
- نهاية السول في شرح منهاج الأصول، تأليف: جمال الدين الإسنوي، سنة 1986م، دار عالم الكتب، بيروت .
-

- الوجيز في أصول الفقه، تأليف: عبد الكريم زيدان، ط 7، سنة 1419هـ/1998م مؤسسة الرسالة .

- وفيات الأعيان، تأليف: أبو العباس بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، ط 1، سنة 1994هـ ، دار صادرة، بيروت .

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

شكر وتقدير

المقدمة.....(أ ، ر)

الفصل التمهيدي : ترجمة للشيخ عبد الرحمان بن ناصر السعدي.....(12 –46)

المبحث الأول : الحياة الشّخصية للشيخ عبد الرحمان بن ناصر السّعدي..13

المطلب الأول : شخصية الشيخ بن سعدي وعائلته و ظروف نشأته.....13

الفرع الأول : اسمه ونسبه..... 13

الفرع الثاني : مولده 14

الفرع الثالث : والديه ووفاتهما 14

الفرع الرابع : كفالته 15

الفرع الخامس:الحالة السياسية لهذه للفترة التي نشأ فيها الشيخ بن سعدي..... 15

الفرع السادس: ظروف نشأته..... 17

الفرع السابع : مرضه ووفاته ودفنه..... 17

الفرع الثامن : رثاؤه..... 18

المطلب الثاني : صفات الشيخ بن سعدي..... 20

الفرع الأول : أخلاقه..... 20

الفرع الثاني : زهده..... 20

الفرع الثالث : ورعـــــه..... 21

الفرع الرابع : تواضعه و رجوعه إلى الحق..... 22

الفرع الخامس : جرأته في الحق.....23

الفرع السادس : قوة ذكائه و حفظه..... 24

الفرع السابع : أعماله الخيرية و المناصب التي اشتغلها..... 25

الفرع الثامن : لين جانبه و إنصافه لمخالفيه..... 25
المبحث الثاني : الحياة العلميّة للشيخ بن سعدي..... 27
المطلب الأول : رحلة الشيخ العلمية بين الطّلب و البذل..... 27
الفرع الأول : حفظه للقرآن و بداية طلبه للعلم..... 27
الفرع الثاني : مصادر علمه..... 28
الفرع الثالث : نظرته إلى العلم..... 28
الفرع الرابع : نظرته إلى العلماء.....28
الفرع الخامس : بداية جلوسه للتدريس 29
الفرع السادس : تنظيمه لوقته في التّدريس.....30
الفرع السابع : طريقته في التدريس.....30
الفرع الثامن : شيوخه..... 31
الفرع التاسع: تأثّره بشيخ الإسلام بن تيمية وتلميذه بن قيم الجوزية.. 33
الفرع العاشر : معايشته للواقع..... 35
الفرع الحادي عشر : مذهبه في الفقه..... 36
الفرع الثاني عشر : عقيدته.....37
الفرع الثالث عشر : نصرته للحقّ وردّه على الملحدين.....37
الفرع الرابع عشر : ثناء العلماء عليه.....38
المطلب الثاني : تلاميذه ومؤلفاته.....40
الفرع الأول : تلاميذه.....40
الفرع الثاني : مؤلفاته.....41
أولا : مؤلفاته في التفسير وعلوم القرآن.....42
ثانيا : مؤلفاته في العقيدة.....42
ثالثا : مؤلفاته في الفقه والأصول..... 44
رابعا : مؤلفاته في الحديث..... 45
خامسا : الكتب التي فيها خطب الشّيخ.....45
الفصل الأول : القسم النظري للبحث.....(47 –127)

المبحث الأول : مدخل عام لقواعد التفسير و دراسة تفصيلية لكتاب "القواعد الحسان "..... 48
المطلب الأول : مدخل عام لقواعد التفسير..... 48
الفرع الأول :تعريف القاعدة لغة واصطلاحا..... 48
أ – تعريف القاعدة في اللغة..... 48
ب – تعريف القاعدة اصطلاحا..... 39
الفرع الثاني : تعريف التفسير لغة واصطلاحا..... 51
أ – تعريف التفسير لغة..... 51
ب – تعريف التفسير اصطلاحا..... 52
الفرع الثالث : تعريف " قواعد التفسير" باعتباره لقبا على علم معيّن..... 53
الفرع الرابع : الفرق بين التفسير و قواعد التفسير..... 55
الفرع الخامس:الفرق بين قواعد التفسير وبين علوم القرآن..... 55
الفرع السادس : موضوع علم قواعد التفسير..... 55
الفرع السابع : غاية هذا علم قواعد التفسير..... 56
الفرع الثامن : حكم تعلم قواعد التفسير..... 56
الفرع التاسع : شرف علم. قواعد التفسير..... 56
الفرع العاشر: أهمية معرفة القواعد عموما وقواعد التفسير خصوصا.. 58
الفرع الحادي عشر : استمداد علم قواعد التفسير..... 60
1– القرآن الكريم..... 60
2– السنة النبوية..... 60
3– أقوال الصحابة والتابعين في بعض الآيات..... 61
4 – قواعد اللغة العربية..... 61
5– علم العقيدة والتوحيد..... 61
6– كتب علوم القرآن..... 61
7– مقدمات كتب التفسير..... 61

8- الآثار النظرية المبثوثة في كتب التفاسير..... 61
9 -كتب أصول الفقه..... 61
الفرع الثاني عشر : نشأة علم قواعد التفسير..... 61
الفرع الثالث عشر: المؤلفات في قواعد التفسير.....63
المطلب الثاني : دراسة تفصيلية لكتاب "القواعد الحسان "..... 68
الفرع الأول: تسمية الكتاب ومحتواه..... 68
الفرع الثاني: طبعات الكتاب..... 68
الفرع الثالث : سبب تأليفه..... 68
الفرع الرابع: منهجه فيه.....69
الفرع الخامس : تصنيف القواعد التي ذكرها الشيخ بن سعدي في
كتابه "القواعد الحسان".....70
أولا : قواعد في التفسير.....72
ثانيا : قواعد قرآنية.....72
ثالثا : فوائد ولطائف قرآنية وليست قواعد..... 73
رابعا: قواعد فقهية مستنبطة من القرآن..... 73
المبحث الثاني : دراسة نظرية لقواعد التفسير التي ذكرها الشيخ بن سعدي
في كتابه "القواعد الحسان".....75
المطلب الأول : قاعدة : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.....76
الفرع الأول : معنى القاعدة..... 76
الفرع الثاني : صور القاعدة..... 76
الفرع الثالث : أقوال العلماء في القاعدة..... 77
الفرع الرابع : أدلة القائلين بالقاعدة..... 77
أولا: من المنقول..... 77
ثانيا : من المعقول..... 79
الفرع الخامس : مثال على القاعدة.....79
المطلب الثاني : قاعدة : الألف واللاّم الداخلة على الأوصاف وأسماء

الأجناس تفيد الاستغراق بحسب ما دخلت عليه.....80
الفرع الأول : شرح بعض ألفاظ القاعدة.....80
الفرع الثاني : معنى القاعدة.....80
الفرع الثالث : أقوال العلماء في القاعدة.....81
الفرع الرابع : أدلة القائلين بالقاعدة.....82
الفرع الخامس : أمثلة على القاعدة.....82
المطلب الثالث : قاعدة : إذا وقعت النكرة في سياق النفي أو النهي
أو الشرط أو الاستفهام تدل على العموم.....84
الفرع الأول : شرح بعض ألفاظ القاعدة.....84
الفرع الثاني : معنى القاعدة.....84
أ- وقوع النكرة في سياق النفي.....84
أولا: مستثنيات وقوع النكرة في سياق النّفي في إفادة العموم...85
ثانيا: أدلّة إفادة النكرة للعموم إذا وقعت في سياق النفي.....85
ب – وقوع النكرة في سياق النّهي.....86
ج – وقوع النكرة في سياق الشرط.....86
د – وقوع النكرة في سياق الاستفهام.....86
الفرع الثالث : أمثلة القاعدة.....86
1- مثال النكرة في سياق النفي.....78
2- مثال النكرة في سياق النهي.....78
3- مثال النكرة في سياق الشرط.....78
4- مثال النكرة في سياق الاستفهام.....78
المطلب الرابع : قاعدة المفرد المضاف يفيد العموم كما يفيد ذلك
اسم الجمع.....88
الفرع الأول : شرح بعض ألفاظ القاعدة..... 88
الفرع الثاني : معنى القاعدة.....88
الفرع الثالث : أقوال العلماء في القاعدة.....89

الفرع الرابع : أدلّة القائلين بالقاعدة.....89
الفرع الخامس : أمثلة على القاعدة.....90
المطلب الخامس : قاعدة : مراعاة ما دلّ عليه اللفظ مطابقة و تضمنا ولزوما.....91
الفرع الأول : شرح بعض ألفاظ القاعدة..... 91
الفرع الثاني : معنى القاعدة..... 91
الفرع الثالث : أدلة القاعدة..... 92
الفرع الرابع : أمثلة على القاعدة..... 92
المطلب السادس : قاعدة : الآيات القرآنيّة التي ظاهرها التضادّ يجب حمل كلّ منها على حال بحسب ما يليق ويناسب المقام..... 93
الفرع الأول : شرح بعض ألفاظ القاعدة..... 93
الفرع الثاني : معنى القاعدة..... 93
الفرع الثالث : أسباب وقوع التعارض بين الآيات..... 94
الفرع الرابع : بعض قواعد الجمع بين الآيات المتعارضة ظاهرا..... 94
الفرع الخامس: أمثلة على القاعدة..... 95
المطلب السابع : قاعدة : حذف المتعلّق المعمول فيه يفيد المعنى المناسب له..... 97
الفرع الأول : شرح بعض ألفاظ القاعدة..... 97
الفرع الثاني : معنى القاعدة..... 98
الفرع الثالث : اختلاف العلماء في القاعدة..... 98
الفرع الرابع : أدلّة القائلين بالقاعدة..... 98
الفرع الخامس : أمثلة على القاعدة..... 99
المطلب الثامن : قاعدة : حذف جواب الشرط يدل على تعظيم الأمر وشدّته في مقامات الوعيد..... 100
الفرع الأول : شرح بعض ألفاظ القاعدة.....100
الفرع الثاني : معنى القاعدة..... 100

الفرع الثالث : أمثلة على القاعدة..... 100
المطلب التاسع : قاعدة : بعض الأسماء الواردة في القرآن إذا أفرد دلّ
علة المعنى المناسب له، وإذا قرن مع غيره دلّ على بعض المعنى ودلّ
ماقرن معه على باقيه..... 102
الفرع الأول : شرح بعض ألفاظ القاعدة..... 102
الفرع الثاني : معنى القاعدة..... 102
الفرع الثالث : مثال على القاعدة..... 102
المطلب العاشر : قاعدة : ختم الآيات بأسماء الله الحسنى يدل على أن
الحكم المذكور له تعلق بذكر الاسم الكريم..... 104
الفرع الأول : معنى القاعدة..... 104
الفرع الثاني : أمثلة على القاعدة.....105
المطلب الحادي عشر : قاعدة : الأصل أن الآيات التي فيها قيود لا
تثبت أحكامها إلا بوجود تلك القيود إلاّ في آيات يسيرة.....106
الفرع الأول : شرح بعض ألفاظ القاعدة..... 106
الفرع الثاني : معنى القاعدة..... 106
الفرع الثالث : اختلاف العلماء في هذه القاعدة..... 108
الفرع الرابع : أمثلة على القاعدة..... 108
المطلب الثاني عشر: قاعدة : المحترزات في القرآن تقع في كلّ المواضع
في أشد الحاجة إليها..... 110
الفرع الأول : شرح بعض ألفاظ القاعدة..... 110
الفرع الثاني : معنى القاعدة..... 110
الفرع الثالث : أمثلة على القاعدة..... 110
المطلب الثالث عشر : قاعدة : أركان الإيمان بالأسماء الحسنى ثلاثة
إيماننا بالاسم وبما دل عليه من المعنى و بما تعلق به من الآثار.....112
الفرع الأول : معنى القاعدة..... 112
الفرع الثاني : أمثلة عن القاعدة..... 113

المطلب الرابع عشر : قاعدة : إذا أمر الله بشيء كان ناهيا عن ضدّه وإذا عفا شيء كان آمرًا بضدّه وإذا أثنى على نفسه أو على أوليائه بنفي من النقائص كان ذلك إثباتا للكمال.....114
الفرع الأول : شرح بعض ألفاظ القاعدة.....114
الفرع الثاني : معنى القاعدة.....114
القاعدة الأولى: الأمر بالشّيء نهي عن ضدّه.....114
القاعدة الثانية: النهي عن الشّيء أمر بضدّه.....115
القاعدة الثالثة: إذا أثنى الله على نفسه أو على أوليائه بنفي شيء من النقائص كان ذلك إثباتا للكمال.....116
الفرع الثالث :أمثلة على هذه القاعدة.....116
أ- مثال على الأمر بالشيء نهي عن ضدّه.....116
ب - مثال على النهي عن الشيء أمر بضده.....117
ج- مثال الثناء على الله أو أوليائه بنفي الشيء من النقائص....117
المطلب الخامس عشر : قاعدة : ما أمر الله في كتابه إمّا أن يتوجه إلى من لم يدخل فيه فهذا أمر له بالدخول فيه ، وإمّا أن يوجّه لمن دخل فيه فهذا أمره به ليصحّح ماوجد منه ويسعى في تكميل ما لم يوجد منه...118
الفرع الأول : معنى القاعدة.....118
الفرع الثاني : أمثلة على القاعدة.....119
1 - مثال الأمر الموجّه إلى من لم يدخل فيه.....119
2- مثال الأمر الموجّه إلى من دخل فيه..... 119
المطلب السادس عشر: قاعدة : إذا كان سياق الآيات في أمور خاصة وأراد الله أن يحكم عليها وذلك الحكم لا يختصّ بها بل يشملها ويشمل غيرها، جاء الله بالحكم العام.....120
الفرع الأول : معنى القاعدة.....120
الفرع الثاني : أمثلة على القاعدة.....120
المطلب السابع عشر : قاعدة : كثيرا ما ينفي الله الشيء لانتفاء فائدته

وثمرته المقصودة منه وإن كانت صورته موجودة.....122
الفرع الأول : معنى القاعدة.....122
الفرع الثاني : أمثلة على القاعدة.....123
المطلب الثامن عشر: قاعدة : إذا أراد الله إظهار شرف أنبيائه وأصفيائه
بالصفات الكاملة أراهم نقصها في غيرهم من المستعدّين للكمال.....124
الفرع الأول : معنى القاعدة.....124
الفرع الثاني : أمثلة على القاعدة.....124
المطلب التاسع عشر : قاعدة : ذكر الأوصاف المتقابلات يغني عن
التصريح بالمفاضلة إذا كان الفرق معلوما.....126
الفرع الأول : معنى القاعدة.....126
الفرع الثاني : أمثلة على القاعدة.....126
الفصل الثاني : القسم التطبيقي للبحث.....(128-225)
المبحث الأول : دراسة لكتاب " تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام
المنان ".....129
المطلب الأول : نبذة عامة عن تفسير "تيسير الكريم الرحمان ".....129
الفرع الأول : اسم الكتاب.....129
الفرع الثاني : وصف عام للكتاب.....129
الفرع الثالث : سبب تأليف الكتاب..... 129
الفرع الرابع : نبذة عن مراحل تأليف الشيخ للكتاب.....130
الفرع الخامس : طبعات الكتاب.....130
المطلب الثاني : منهج الشيخ في تفسيره.....132
الفرع الأول : المنهج الإجمالي للشيخ في تفسيره.....132
الفرع الثاني : تفسيره للقرآن بالقرآن.....132
الفرع الثالث : تفسير القرآن بالحديث النبوي.....135
الفرع الرابع : تفسير القرآن بأقوال العلماء.....138
الفرع الخامس : بتفسيره للقرآن باللغة العربية.....141

الفرع السادس : منهجه في تفسير آيات الأحكام.....143
الفرع السابع : منهجه في تفسير آيات القصص.....145
الفرع الثامن : موقفه من الإسرائيليات.....147
أ- الناحية النظرية.....147
ب- الناحية التطبيقية..... 248
الفرع التاسع : منهجه في تفسير آيات العقائد.....150
أ – تقرير العقيد وذلك بأمور منها.....150
1- تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام.....150
2- بيان أدلة توحيد الربوبيّة وأن الله هو الخالق المالك المدبر....150
– دلالة الفطرة.....150
– دلالة النفس.....150
– دلالة الآفاق.....151
3- بيان استحقاق الله عز وجل للعبودية وحده دون من سواه.. 151
4- بيان عقيدة المسلمين في باب الأسماء والصفات..... 151
ب – الرد على المخالفين لهذه العقيدة..... 151
1- مسألة فاعل الكبيرة..... 151
2- مسألة أفعال المكلف هل هو مخيّر فيها أو مجبر عليه.....152
3- مسألة الإيمان بالأسماء والصفات.....152
الفرع العاشر : علوم القرآن في تفسير الشيخ بن سعدي.....153
أولا : الناسخ والمنسوخ.....153
ثانيا : العلوم المستنبطة من القرآن الكريم.....155
أ- ذكر الشيخ عدّة علوم حثّ القرآن على تعلّمها.....156
1- علم التاريخ..... 156
2- علم التسيير..... 156
3- علم الصناعة..... 156
4- اللغة العربيّة..... 156

5- علم التعبير أو الرأى..... 156
6- علم الأنساب.....157
ب – بين الشيخ أنّ القرآن أشار إلى كليّات وعمومات وأصول في
بعض العلوم..... 157
1- علم الطّب..... 157
2- علم الرؤيا..... 157
ج- التحذير من العلوم التي تضرّ النّاس في دينهم أو دنياهم،
كالفلسفة والمنطق..... 157
ثالثا : فواتح السور.....157
رابعا : المكّي والمدني.....158
خامسا : المناسبة بين الآيات والسور.....159
أ-الربـــــــط بين الآيـــــــات.....159
ب- الربط بين السور.....160
الفرع الحادي عشر: القيمة التفسيرية التي أضافها تفسير السعدي
إلى خزانة التفسير.....160
المبحث الثاني : دراسة تطبيقية للقواعد التي ذكرها الشيخ في كتابه
"القواعد الحسان".....162
المطلب الأول : قاعدة : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب....163
الفرع الأول : التصريح بالقاعدة.....163
الفرع الثاني : عدم التصريح بالقاعدة.....165
المطلب الثاني : قاعدة : الألف واللام الداخلة على الأوصاف وأسماء
الأجناس تفيد الاستغراق بحسب ما دخلت عليه.....167
الفرع الأول : دخول الألف واللام على الأوصاف.....167
الفرع الثاني : دخول الألف واللاّم على أسماء الأجناس.....168
أولا: التصريح بأن اللفظ اسم جنس.....169
ثانيا: عدم التصريح بأنّ اللفظ اسم جنس بل يعمم المعنى مباشرة..170

المطلب الثالث : قاعدة : إذا وقعت النكرة في سياق النّفي
أو النّهي أو الشّرط أو الاستفهام دلّت على العموم.....172
الفرع الأول : النكرة في سياق النفي.....172
الفرع الثاني : النكرة في سياق النهي.....173
الفرع الثالث : النكرة في سياق الشرط.....173
الفرع الرابع : النكرة في سياق الاستفهام.....174
المطلب الرابع : قاعدة : المفرد المضاف يفيد العموم كما يفيد ذلك
اسم الجمع.....176
الفرع الأول : التصريح بالقاعدة.....176
الفرع الثاني : عدم التصريح بالقاعدة.....177
المطلب الخامس : قاعدة : مراعاة ما دلّ عليه اللفظ مطابقة
وتضمنا ولزوما.....179
الفرع الأول : دلالة التضمن.....179
الفرع الثاني : دلالة اللّزوم.....180
الفرع الثالث : دلالة التضمن واللزوم.....181
المطلب السادس : قاعدة : الآيات القرآنيّة التي ظاهرها التعارض يجب
حمل كلّ منها على حال بحسب ما يليق ويناسب المقام.....183
المطلب السابع : قاعدة : حذف المتعلق المعمول فيه يفيد تعميم المعنى
المناسب له.....186
الفرع الأول : التصريح بالقاعدة.....186
الفرع الثاني : عدم التصريح بالقاعدة.....187
المطلب الثامن : قاعدة : حذف جواب الشّرط يدلّ على تعظيم الأمر
وشدّته في مقامات الوعيد.....189
المطلب التاسع : قاعدة : بعض الأسماء الواردة في القرآن ، إذا أفرد
دلّ على المعنى المناسب له وإذا قرن مع غيره دلّ على بعض المعنى ودلّ
ما قرن معه على باقية.....192

الفرع الأول : بعض المواضع التي ذكر فيها لفظ مفرد دلّ على جميع المعنى المناسب له.....192
الفرع الثاني : بعض المواضع التي اقترن فيها اسمان فدل أحدهما بعض المعنى التام ودل الآخر على باقية.....193
المطلب العاشر : قاعدة : ختم الآيات بأسماء الله الحسنى يدلّ على أنّ الحكم المذكور له تعلّق بذلك الاسم الكريم.....195
المطلب الحادي عشر : قاعدة : الأصل أنّ الآيات التي فيها قيود لا تثبت أحكامه إلا بوجود تلك القيود في آيات يسيرة.....198
المطلب الثاني عشر : قاعدة : المحترزات في القرآن تقع في كلّ المواضع في أشدّ الحاجة إليها.....201
المطلب الثالث عشر : قاعدة : أركان الإيمان بالأسماء الحسنى ثلاثة : إيماننا بالاسم وبما دلّ عليه من المعنى وبما تعلّق به من الآثار.....204
المطلب الرابع عشر : قاعدة : إذا أمر الله بالشّيء كان ناهيا عن ضدّه، وإذا عفا عن شيء كان آمرا بضدّه ، وإذا أثنى على نفسه أو على أوليائه بنفي شيء من النّقائص كان ذلك إثباتا للكمال.....207
الفرع الأول : الأمر بالشيء نهي عن ضده.....207
الفرع الثاني : النّهي عن الشيء أمر بضده.....208
الفرع الثالث : إذا أثنى تعالى عن نفسه أو على أوليائه بنفي شيء من النّقائص ، كان ذلك إثباتا للكمال.....209
المطلب الخامس عشر : قاعدة : ما أمر الله به في كتابة إمّا أن يوجّه إلى من لم يدخل فيه، فهذا أمره به بالدخول فيه، وإمّا أن يوجّه لمن دخل فيه فهذا أمره به ليصحّح ما وجد منه ويسعى في تكميل ما لم يوجد منه.....211
الفرع الأول : من أمر بأمر قد دخل فيه.....211
الفرع الثاني : من أمر بأمر لم يدخل فيه.....212
المطلب السادس عشر : قاعدة : إذا كان سياق الآيات في أمور خاصّة

وأراد الله أن يحكم عليها وذلك الحكم لا يختصّ بها بل يشملها ويشمل غيرها جاء الله بالحكم العام.....214
المطلب السابع عشر : قاعدة : كثيرا ما ينفي الله الشيء لانتفاء فائدته وثمرته والمقصود منه وإن كانت صورته موجودة.....217
المطلب الثامن عشر : قاعدة : إذا أراد الله إظهار شرف أنبيائه وأصفيائه بالصّفات الكاملة أراهم نقصها في غيرهم من المستعدّين للكمال.....220
المطلب التاسع عشر : قاعدة : ذكر الأوصاف المتقابلات يغني عن التّصريح بالمفاضلة إذا كان الفرق معلوما.....223
الخاتمة.....226
الملحق.....228
ملخص البحث.....234
الملخص باللّغة العربيّة.....235
الملخص باللّغة الإنجليزية.....236
الفهارس:.....237
فهرس الآيات القرآنية الكريمة.....238
فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.....253
فهرس الأعلام المترجم لهم.....254
قائمة المصادر والمراجع.....258
فهرس المواضيع.....269